هُـويَّةُ الْمُسْـلِمِ

حَقِيقَتُها وضَرورةُ الاْعتِزازِ بِها وكَيْفِيَّـةُ الْمُحَافَظَـةِ عَلَيْـهَا وَمَوقِفُهَا مِن الْعَوْلَـمَةِ ومَواجهتُها للمؤَامَراتِ والْمَذَاهِبِ الفِكْرِيّةِ الْمُنحرفة

جمع وإعداد

الدكتور : أحمد خضر حسنين الحسن

إطلالة

قال الله تعالى:

(صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ)

(سورة للبقرة – (1385).

وقال النبي ﷺ: (لا يُؤمِنُ أحدُكُم حتَّى يكونَ هواهُ تَبعًا لما جئتُ بهِ)

حسنه النووي الأربعون النووية.

دعاء نبوي شريف:

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)

رواه أحمد والترمذي وإسناده حسن.

بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الأشياء فقدَّرها تقدِيرًا، وصوَّر شكلَ الإنسانِ فأحسنَه تصويرًا، ومَنحَه العقلَ وجعلَه سميعاً بصيراً وشرَّفه بما عرَّفه به مِن العلم ونوَّر قلبَه تنويراً ؛ وهداه إلى معرفتِه فيا لها نعمةً وفضلاً كبيرًا، وأطلقَ لسانه فأذْعنَ بشكرِه تحميداً وتهليلاً وتكبيراً، وأرسل محمداً صلّى الله عليه وسلّمَ إلى كافَّةِ الخلقِ بشيرًا ونذيراً[1].

فعليه من الله أفضل الصلواتِ وأتمَّ التسليماتِ وأزكَى التحياتِ وأنمى البركاتِ، وعلى آله وصحبه ومَنْ سار على نهجه بعدد الكائنات في جميع الأوقات.

أما بعد: فمن أبرز الأسباب التي دعتني إلى كتابة هذه الرسالة:

1/– اهتزاز بعض الثوابت الإسلامية لدى بعض الناس من عامة المسلمين على مختلف تخصصاتهم ووظائفهم – مرموقة أو غير مرموقة.

وأوضح مثال لذلك قول البعض أنه يجوز الترحم على من مات على غير دين الإسلام وانتشر هذا الكلام عندما قُتلت إحدى المذيعات – شيرين أبو عاقلة – وهي تؤدي عملها كمراسلة لإحدى القنوات مع علمهم أنها نصرانية.

بل طلع علينا في العالم العربي مَن هو في منصب وزير ويزعم أن الجنة ليست خاصة بالمسلمين، وقال : **إنك – أيها المسلم – قد تتفاجأ يوم القيامة بأن يكون معك في الجنة بعض اليهود أو النصارى أو حتى البوذيين؟.**

2– زعم البعض أن فلانا شهيد الوطن أو شهيد كذا وكذا ممن قُتِل وهو يحارب الإسلام طيلة حياته وربما ما ركع لله تعالى يوما من الدهر.

---

[1] - من مقدمة الخازن لتفسيره لباب التأويل في معاني التنزيل.

3- الدعوة إلى سنِّ بعض القوانين التي تخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، بدعوى الحرية وأنه من حق كل إنسان – ولو كان مسلما – أن يختار ما يشاء من العقائد الباطلة والعلاقات الشاذة.

4- ومن الأسباب المهمة الدافعة للكتابة في هذا الموضوع هو ما نراه من جهل واضح بل فاضح لكثير من الطلبة الذين ألحقهم آباؤهم بالمدارس الأجنبية – بل حتى بعض المدارس العربية – التي لا تهتم إطلاقا بمادة العلوم الشرعية – أو كما يسميها البعض مادة التربية الإسلامية – فرأينا من الطلبة من تخرج من الثانوية وهو لا يعرف شيئا عن أركان الإسلام ولا أركان الإيمان ولا أي شئ من قواطع الإسلام ؛ وهؤلاء الطلبة هم ضحايا آباء حسنت نياتهم ولكن قبحت تصرفاهم فجنوا على أبنائهم حيث ظنوا أنهم ضمنوا لهم المستقبل الوظيفي بتعليمهم اللغة الأجنبية [1]؛ ولكن كان ذلك على حساب دينهم فكانت النتيجة جهل هؤلاء الأبناء بالدين وتركهم للصلاة والصيام وعدم إقامة وزن للدين في حياتهم .... وإنا لله وإنا إليه راجعون.

5- وقوف بعض المنتسبين إلى الدعوة إلى الإسلام في وجه المجاهدين في غزَّةِ العِزَّةِ وهم يقاتلون اليهود فهل وجوب جهاد الكفار المعتدين يجهله هؤلاء الدعاة أم أنها اهتزاز

---

1 - تقول الكاتبة أميرة فكري تحت مقال بعنوان بجريدة العرب (المدارس الأجنبية في البلدان العربية.. تعليم عصري يصطدم برؤى ضيقة) :يسعى الآباء والأمهات إلى إلحاق أبنائهم بمدارس أجنبية، وقد تكون دوافعهم مقبولة عند البعض، لا سيما في ظل اعتبار التعليم أساس بناء شخصية الإنسان وتكوينه العقلي والنفسي والاجتماعي.

ومع ذلك، فإن الحديث عن خطورة المدارس الأجنبية على الهوية والثقافة العربيتين، وعن مسألة الانتماء إلى الوطن الأم، لا يتوقف، لا سيما وأن أغلب مناهج هذه المدارس تكون تابعة بالأساس للدولة مالكة المدرسة، التي هي إما أميركية أو بريطانية أو ألمانية أو فرنسية، وغيرها.

وتظل قواعد التعليم في هذه المدارس الأجنبية، ومبادئها وشروطها، هي ما يحول دون أن ينظر إليها الكثير من المعنيين بالشأن التربوي نظرة إيجابية، وذلك في ظل تمسكها بأن تكون مواد اللغة العربية والتاريخ والتربية الدينية والوطنية "استثنائية" وليست أساسية، وإذا تم تدريسها فيكون ذلك على استحياء، فقط لإرضاء الدولة صاحبة الأرض، وهو ما ينتج عنه تخريج طلبة مشوهي الهويّة والثقافة والتاريخ.

المفاهيم وعدم وضوح معالم الهوية الإسلامية في عقولهم التي غلبت عليها الشبهات أو الشهوات ، هؤلاء هم الذين ضل سعيهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

ومن العجائب أنني كنت أتحدث مع أحد الأطباء – وهو داعية أيضا — عن تغير كثير من المفاهيم فحدثني عن رجل وصل إلى السبعين من عمره وهو ممن يصلون في الصف الأول خلف الإمام أنه قال : لا يمكن أن أصدق أن الله تعالى يعذب الأمريكان والأوربيين بالنار وهم الذين صنعوا لنا الطائرات والأجهزة الكهربائية وغيرها من الصناعات الحديثة.

فانظر أخي القارئ الكريم إلى هذا الذي قضى عمره في طاعة الله تعالى ، ثم أضاعها ولن يقبلها الله منه بسبب هذا المفهوم المخالف – الذي يصر عليه – لأنه بكلامه هذا يكون قد كذب آيات صريحة في كتاب الله تعالى توضح بجلاء لا غموض فيه : أن من مات على غير الإسلام فهو خالد في النار ولو صنع ما صنع مما هو في منفعة البشرية .. ولو قدَّم ما قدم من خير[1].

تلك المفاهيم الخاطئة المشار إليها أعلاه تدل على عدم وضوح حقيقةُ هُـويَّةِ الْمُسْـلِمِ في عقول بعض المسلمين وربما هم من الحريصين على تدينهم ، ولكن مثل هذه الزلات لا

---

[1] - قال النووي في شرحه على صيحيح مسلم في حديث عائشة - رضي الله عنها - : (قالت : قلت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه ؟ قال : لا ينفعه ، إنه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين) معنى هذا الحديث : أن ما كان يفعله من الصلة والإطعام ووجوه المكارم لا ينفعه في الآخرة ; لكونه كافرا ، وهو معنى قوله - صلى الله عليه وسلم - : (لم يقل رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين) أي لم يكن مصدقا بالبعث ، ومن لم يصدق به كافر ولا ينفعه عمل . قال القاضي عياض رحمه الله تعالى : وقد انعقد الإجماع على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم ، ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب ، لكن بعضهم أشد عذابا من بعض بحسب جرائمهم.

وقال النووي أيضا في كتابه المجموع شرح المهذب : وأما الصلاة على الكافر، والدعاء له بالمغفرة، فحرام بنص القرآن والإجماع.

أما الدعاء له بالهداية، والدخول في الإسلام، فيجوز.وأما الدعاء له بمنافع الدنيا من مال وولد وشفاء ونحوها، فلا يجوز إن كان محارباً، وإلا فلا بأس بالدعاء له بذلك، بدليل جواز تعزيته في مصابه حيث كان جاراً بالدعاء له بالإخلاف عليه، ونحو ذلك.

تُغفر لهم لأنها مخالفة للعقيدة ولإجماع الأمة؛ ولا عذر لهم عند الله تعالى لأنها – تلك المفاهيم الخاطئة – مما هو معلوم من الدين بالضرورة ولا يُعذَر أحد بجهلها.

ومن هنا أقول : إن البحث في موضوع الهوية من القضايا الأساسية التي شغلت المثقفين في العالم، فالهوية قضية محورية، وعنصراً هاماً في معرفة ما لكل شعب من مناقب ومثالب.

والهوية الإسلامية المتميزة بمرجعيتها الربانية، هي ما يعطي للمجتمع الإسلامي قيمته ويحفظ عليه تماسكه ولا عزة له بدونها.

ولو أدرت – أخي القارئ الكريم – القرص الباحث (الماوس) في الانترنت وبين المواقع الإسلامية خاصة لوجدت عشرات المقالات والبحوث حول هذه القضية المهمة ؛ وقد يسر الله لي أن أنتقي منها ما تمس الحاجة إليه في وقتنا الحاضر فقمت بالتنسيق بين عدد من البحوث المقالات ووضع العناوين المناسبة لها للكشف عن حقيقة هُويَّةُ الْمُسْلِمِ بصورة واضحة جلية .

ثم ألهمني ربي أن أبين أنها – الهوية الإسلامية – تقوم على عدد من العلاقات الوثيقة التي بها يتميز المسلم عن غيره من خلالها وهي : علاقة المسلم بالله العظيم؛ وعلاقته بكتابه الكريم ؛ وعلاقته بنبيه المجتبى الأمين ﷺ وصلة المسلم ببيوت الله تعالى وعلاقته بإخوته المسلمين ثم بينتُ أنَّ هوية المسلم تؤطِّر للعلاقة بغير المسلم.

كما أشرت إلى أنَّ هوية المسلم ترفض كل ما هو مخالف للثوابت الشرعية من الأفكار والمذاهب المنحرفة ؛ وذلك عدد في من الفصول والمباحث تحت بالعناوين التالية :

1- موقف الهوية من العولمة والفرق بينها وبين عالمية الإسلام.
2- الهوية الإسلامية في مواجهة المؤامرات والغزو الفكري.
3- الهوية الإسلامية في مواجهة الإلحاد.
4- الهوية الإسلامية ترفض العلمانية رفضاً باتاً.

5- موقف الهوية الإسلامية من التنويريين.

وقد أسميت هذه الرسالة: هُويَّةُ الْمُسْلِمِ (حَقِيقَتُها وضَرورةُ الاْعتِزازِ بِها وكَيْفِيَّةُ الْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا وَمَوقِفُهَا مِن الْعَوْلَمَةِ ومَواجهتُها للمؤَامَراتِ والْمَذَاهِبِ الفِكْرِيّةِ الْمُنحرفة).

هذا ... واللهَ الكريمَ أسأل أن ينفع الله بها أمتنا الإسلامية في هذه الظروف الحرجة التي تمر بها كما أساله تعالى أن يجعل هذا العمل لوجهه خالصا وأن يتقبل مني ومن القارئ الكريم والقارئة الكريم كل عمل صالح وأن يشفِّع فينا سيدنا وحبيبنا وقرة أعيننا محمد ﷺ وجميع المسلمين والمسلمات إنه مجيب الدعوات.

أخوكم : أحمد خضر حسنين الحسن

بتاريخ :21/ شعبان/ 1446

الموافق : 20/ فبراير/2025

مدخل

نشأة الهوية الاسلامية وضرورة الاعتزاز بها[1]

لا يخفى على أحد أن العرب في جاهليتهم كانوا بحال لا يغبطون عليها، فقد توزعتهم الأديان المختلفة، وعددوا الأرباب، وعقلوا عقولهم عن التفكير، واستحبوا العمى على الهدى، فكانت مكة بحق في جاهليتها معقل الوثنية، فقد وجد حول الكعبة يوم أن فتحها المسلمون (360) صنماً.

وأما حالتهم الاجتماعية لم تكن بأحسن من حالتهم الدينية، فإذا نظرنا إليها وجدناها قرابة مهتوكة الستر، ورحماً مقطعة الأسباب، وقبائل متنافرة متدابرة يتربص بعضها لبعض الدوائر، قد تحجرت قلوبهم، ونزعت الرحمة من نفوسهم، وقد بدأت تفشو في فريق منهم فاشية سوء من قتل الأولاد خشية الإملاق، ووأد البنات أنفة من العار.

وأما على صعيد الناحية الاقتصادية لم يكن لهم من الصناعات شيء ذا غناء، وتجارتهم محصورة في المدن وهي قليلة.

وكان العلم والتعليم عند العرب شيئاً غير مألوف، ومن يعرف القراءة والكتابة منهم أقل من أن يذكر، فكانوا حقاً أمة لا تقرأ ولا تكتب..

وبلاد العرب قبل الإسلام كانت واقعة تحت الاستعمار الروماني والفارسي والحبشي، وبالرغم من أن دولَتْي الفرس والرومان كانتا قد بلغتا شأناً عظيماً في الحضارة المدنية، إلا أنهما انحدرتا بسبب عوامل الفساد والاضطراب التي كانت تدب فيهما، وبخاصة في الناحيتين: الدينية والاجتماعية. فكانت هذه الحالة السيئة مدعاة للجميع لأن يتطلعوا إلى مخرج مما هم فيه.

---

[1] - **الهوية الإسلامية والتحديات التي تواجهها - مادة مرشحة للفوز بمسابقة كاتب الألوكة الثانية – للكاتبة أمل بنت سليم بن سالم العتيبي – بتصرف -.**

ومن واد غير ذي زرع بدأ الإسلام يغمر الكون هادياً العالمين، وبدأت أول آياته تتنزل على محمد الأمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْوَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ سورة العلق (1-5).

فكان الإسلام هو العامل الوحيد الذي جد على العرب فقوم أخلاقهم، وهذب نفوسهم، ووحد كلمتهم، وأعلى شأنهم، وأعز جانبهم، فأصبحوا بهذا الدين أمة عالمة بعد جهالة، ورشيدة بعد غواية، ونابهة بعد خمالة.

وتمضي القرون، وتستمر الدعوة الإسلامية، وتعلو المآذن وتنتشر المساجد شرقاً وغرباً، ويدخل أجناس من البشر في دين الله أفواجاً تطبق هذا الدين وتعمل على نشره.

فتم للمسلمين فتح بلاد فارس كلها وبعض أجزاء الإمبراطورية الرومانية، ورفرفت ألوية المسلمين – إبان حكم الأمويين – على رقعة من الأرض تمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى ما وراء حدود الهند والتركستان شرقاً، ثم إلى بلاد القوقاز وأسوار القسطنطينية شمالاً.

ووجد سكان تلك البلاد التي ساد فيها الإسلام طمأنينة وتسامحاً لم يعهدوه في أزمان حكم عرفت فيها الاضطهادات، من أجل هذا لم يبق الإسلام مقصوراً على العرب، فازدادت أعداد المنضوين للهوية الإسلامية والمندمجين فيها من الفرس والروم والهنود والصينيين... عن اقتناع كامل وعن طيب خاطر. والفضل في هذا عائد إلى عالمية دين هذه الهوية فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍوَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ سورة الحجرات (13).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ سورة الأعراف: (158).

وأما في مجال النهضة العلمية فقد سار التقدم العلمي بخطى سريعة مطردة، وبدأت كنوز المعرفة في البلاد المفتوحة تظهر وتُعرف، وتصل إلى أيدي أمينة تقدر ما تحويه من نفائس، فعرفنا حركة تأليف وترجمة للعلوم الطبيعية– بلغت في المجد ذروتها – حمل العرب والمسلمون لواءها، فسادت اللغة العربية وأصبحت لغة الدين والعلم والدولة والشعر، وإبان حكم الدولة الأموية ازدهرت البصرة والكوفة كمركزين للثقافة والحضارة، وتألقت بغداد في العصور الذهبية للدولة العباسية وأصبحت وجهة العلم والأدب، وصبت فيها أنهار من الذهب من أرجاء الإمبراطورية المترامية، وفي الأندلس وجنوب إيطاليا وصقلية قامت مراكز علمية كانت حواضرها منارات علم ومعرفة.

وكان الفتح الإسلامي وما جاء من بعده من بناء حضاري من أعظم الأسباب التي نبهت الشعوب الأوروبية إلى ضرورة الأخذ بالأسباب التي أخذ بها المسلمون.

فبعثوا بعوثهم إلى عواصم العالم الإسلامي، بغية اقتباس العلم، ومعرفة ما لدى المسلمين من نهضة حضارية، ووجدت بعوثهم أن الدين الإسلامي قد دفع المسلمين من الأبواب العريضة لاقتباس المعارف، والكشف عن أسرار الكون...

واتسع احتكاك الأوربيين الثقافي بالمسلمين في الأندلس والقاهرة ودمشق وبغداد، وسائر العواصم الإسلامية، والمدن الكبرى في العالم الإسلامي، عن طريق التجارات والرحلات...

وأخذ رجال الفكر والعلم في البلاد الأوروبية ينهلون من مناهل علوم المسلمين، وصارت الجامعات تتنافس في اقتناء الكتب العربية، وكان فريق من علماء الغرب يصرح بأن معرفة اللغة العربية ضرورية لمن يريد أن يحيط بحقائق العلم.

وهكذا احتلت الهوية الإسلامية الصدارة في العالم، واستمرت على ذلك ردحا من الزمن، ثم عاشت الأمة الإسلامية معاناة لم يسبق لها مثيل، أضاعت منها ماتلقفته أوروبا وأقامت ركيزتها عليه فكانت النهضة العلمية والانطلاقة الهائلة للمجتمع الغربي.

الفصل الأول

مفهوم الهوية الإسلامية وأثرها على والسلوك

المبحث الأول : مفهوم الهوية الإسلامية في حق الفرد والمجتمع.

المبحث الثاني: أثر الهوية في سلوك المسلم.

المبحث الأول

مفهوم الهوية الإسلامية في حق الفرد والمجتمع [1]

مفهوم الهوية: الهوية مأخوذة من "هُوَ.. هُوَ" بمعنى أنها جوهر الشيء، وحقيقته؛ لذا نجد أن الجرجاني في **كتابه التعريفات** يقول عنها: **بأنها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمالَ النواة على الشجرة في الغيب.**

فهوية الإنسان أو الثقافة أو الحضارة، هي جوهرها وحقيقتها، ولما كان في كل شيء من الأشياء – إنسانًا أو ثقافة أو حضارة – الثوابت والمتغيرات، فإن هويةَ الشيء هي ثوابته، التي تتجدد ولا تتغير، تتجلى وتفصح عن ذاتها، دون أن تخلي مكانها لنقيضها، طالما بقيت الذاتُ على قيد الحياة.

ويكننا تلخيص ذلك : (إن هوية أية أمة هي صفاتُها التي تميزها من باقي الأمم، لتعبِّر عن شخصيتها الحضارية).

ومن معاني الهوية: تعريف الإنسان نفسه؛ فكرًا وثقافة، وأسلوب حياة..، أو هي مجموعة الأوصاف والسلوكيات التي تميّز الشخص عن غيره.

مفهوم الهوية الإسلامية :إِنَّ الْهُوِيَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ هِيَ ذَلِكَ الِانْتِمَاءُ وَالْوَلَاءُ إِلَى تَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِهِ وَشَعَائِرِهِ، وَهِيَ تِلْكَ النَّزْعَةُ وَالْمَيْلُ وَالْغَيْرَةُ عَلَى كُلِّ مَا هُوَ إِسْلَامِيٌّ، وَهِيَ ذَلِكَ الشِّعَارُ الَّذِي يَتَمَيَّزُ بِهِ الْمُسْلِمُ عَنْ غَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَهِيَ الرِّبَاطُ الَّذِي يَرْبِطُ الْمُسْلِمَ

---

[1] - مبحثا هذا الفصل ملخصان من ثلاث مقالات :

المقال الأول : قضايا الشباب (1) فقدان الهوية الإسلامية - ملتقى الخطباء - الفريق العلمي.

والمقال الثاني : الهوية الإسلامية والتحديات التي تواجهها مادة مرشحة للفوز بمسابقة كاتب الألوكة الثانية – للكاتبة أمل بنت سليم بن سالم العتيبي.

والمقال الثالث : اللغة العربية ودورها في حماية الهوية الإسلامية في الهند - د. عبدالسلام حمود غالب – شبكة الألوكة.

بِرَبِّهِ الْوَاحِدِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهِيَ تِلْكَ الصِّبْغَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الَّتِي تَصْطَبِغُ حَيَاةَ الْمُسْلِمِ وَسُلُوكَهُ وَخَطَرَاتِهِ وَكَلِمَاتِهِ: **(صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً)**[الْبَقَرَة: 138].

وَهَذِهِ الصِّبْغَةُ الرَّبَّانِيَّةُ هِيَ الَّتِي يَعْتَزُّ بِهَا الْمُسْلِمُ وَيَفْتَخِرُ وَيَصْدَحُ فِي الْعَالَمِينَ قَائِلًا:

أَبِي الْإِسْلَامُ لَا أَبَ لِي سِوَاهُ إِذَا افْتَخَرُوا بِقَيْسٍ أَوْ تَمِيمِ

وهوية المسلم تتمثل في حفاظه على دينه، واعتزازه به وتمسكه بتعاليمه والتزامه بمنهجه في صغير الأمور وكبيرها ، قال تعالى:﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾؛ والدين في المنظور الإسلامي هو النظام أو المنهج الذي يحكم جميع جوانب الحياة.

والهوية بشكل عام والإسلامية بشكل خاص هي جماع ثلاث ركائز تتمثل فيما يلي:

أولاً: العقيدة التي توفر رؤية كونية (عقيدة التوحيد).

ثانياً: اللسان العربي الذي يجري التعبير به وهو الذي اتخذه القرآن لساناً.

ثالثاً:التراث الثقافي ذو المدى الطويل (المرتبط بوجود المسلم بفكره وقيمه وعاداته وتقاليده).

وقد عكف جماعة من العلماء وطلاب العلم على صياغة مفهوم وتعريف خاص بالهوية، والهوية الإسلامية، وقد جاءت بعض تلك التعريفات على النحو التالي:

قال محمد إسماعيل المقدم: هي حقيقة الشيء، أو الشخص، التي تميّزه عن غيره، فهي ماهيته، وما يوصف وما يعرف به، من صفات عقلية وجسمية، وخلقية، ونفسية.

وكما جاء في حديث صفية عندما سأل عمها أبو ياسر والدها حيي عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: **(أهو هو؟)** ؛**إشارة إلى هوية نبي الله**، وأنه هو الموصوف في التوراة.

والهوية لها علاقة أساسية بمعتقدات الفرد ومسلماته الفكرية، والهوية هي التي توجه لاختيار هذا الفرد عند تعدد البدائل، فأنت إذا عرفت أن هذا هويته – مثلاً – مسلم فالأصل أن هذا المسلم يجتنب لحم الخنزير، ويجتنب الخمر، ولا يفعل كذا وكذا، ويعتقد كذا وكذا، وإذا عرضت عليه عدة اختيارات في أي قضية فطبقاً لانتمائه الاعتقادي وطبقاً لهويته فهذه الهوية هي التي سوف توجه اختياره أمام البدائل المتعددة.

مفهوم هوية المجتمع: كما أن للإنسان هوية، كذلك للمجتمع والأمم هوية، فهناك مجتمع إسلامي، ومجتمع عَلْماني، وهناك النَّصراني، وأيضًا الشيوعي والرأسمالي..، ولكل منها مميزاتها وقِيَمها ومبادئها.

فإذا توافَقت هوية الفرد مع هوية مجتمعه، كان الأمنُ والراحة والإحساس بالانتماء، وإذا تصادمت الهوياتُ، كانت الأزمة والاغتراب، ومن هنا يمكنك فهمُ معنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم : (**بدأَ الإسلامُ غريبًا، وسيعودُ كما بدأَ غريبًا؛ فطُوبى للغُرَبَاءِ**) رواه مسلم.

هذه الهوية هي التي تتبنَّاها النفس، وتعتز بالانتساب إليها، والانتماء لها، والانتصار لها، والموالاة والمعاداة على أساسها، فبها تتحدد شخصية المنتمي وسلوكه، وعلى أساسها يُفاضل بين البدائل.

وبالنسبة للمجتمع تعتبر الحصنَ الذي يتحصن به أبناؤه، والنسيج الضام، والمادة اللاصقة بين لَبِناته، فإذا فُقدت تشتَّت المجتمع، وتنازعته المتناقضات.

لهذا : في المجتمعات الإسلامية يعد الدين الإسلامي الهوية الأساسية والرسمية لها، فهو الانتماء الحقيقي والرمز ومحور حياة المجتمع، من خلالها يتفاعل أفراد المجتمع، وحينما يضعف التمسك بالدين والالتزام به في نفوس الأفراد يظل هو الهوية المفقودة التي نبحث عنها، وذلك بحكم أننا مسلمون أولاً وأخيراً، ولأنه ليس من الممكن أن نختار غير الإسلام هوية ونظل مع ذلك مسلمين، فنحن حينما ابتغينا الإسلام ديناً، فقد ارتضيناه هوية.

المبحث الثاني

أثر الهوية في سلوك المسلم

الهوية تعني كامل الانتماء للدين بكل أبعاده المادية والمعنوية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية ولا تقتصر على مجرد الانتماء العصبي أو القبلي أو العنصري أو الجغرافي، فهي تكامل نفسي فكري، وانتماء جاء تحقيقاً وتطبيقاً لقول الله تعالى: ﴿**صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً**﴾ فالصبغة هي الهوية، والهوية هي الإسلام والإسلام يصبغ الإنسان بصبغة خاصة في عقيدته وفكره ومشاعره وتصوراته وآماله وأهدافه وسلوكه وأعماله.

قال القرطبي في تفسيره للآية السابقة: (فسمى الدين صبغة استعارة ومجازاً حيث تظهر أعماله وسمته على المتدين، كما يظهر أثر الصبغ في الثوب).

وبعبارة أخرى: الهوية هي التي تقوم بتهذيب سلوك المسلم، وسلوكه يكون محدداً في إطار هذه الهوية، حيث يصبح سلوكه له غاية، كما أنها تؤثر تأثيراً بليغاً في تحديد سمات شخصيته، وإطفاء صفة الرجولة والاستقرار والوحدة على هذه الشخصية، وبالتالي إذا تحققت له عناصر وأفكار لهذه الهوية ونتج عنها الانتماء الذي تحدثنا عنه، فلا يمكن أبداً أن يكون صاحبها ذا وجهين يقابل هؤلاء بوجه وهؤلاء وجه كما وصف الله تعالى المنافقين بقوله: (**مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ**) [النساء:143]. **فالشخص الذي حدد هويته لا يمكن أن يقع في هذا التذبذب، ولا يمكن أن تضطرب شخصيته، بل تكون ثابتة ومستقرة وشخصية واحدة، لا يمكن أن تتعدد وجوهه كما يحصل للمنافقين.**

أما بالنسبة للمجتمع ككل فإن الهوية الواحدة أو المتحدة تصبح هي الواحة النفسية التي يلوذ بها أفراد الجماعة، وتكون هي الحصن الذي يتحصنون داخله، والنسيج أو المادة اللاصقة التي تربط بين لبناته، والتي إذا فقدت تشتت المجتمع، وتنازعته التناقضات.

وَالْهُوِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ هِيَ تِلْكَ الْجَامِعَةُ الَّتِي تَجْمَعُ كُلَّ مُسْلِمٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ بِإِخْوَانِهِ مَهْمَا اخْتَلَفَتْ بُلْدَانُهُمْ وَأَلْوَانُهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: (**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً**)[الْأَنْبِيَاءِ:92].

وبعد أن اتضح أثر الهوية الإسلامية على فكر المسلم وسلوكه أختم بالإشارة إلى أن فكر المسلم لا بد من أن يكون وثيق الصلة باللغة العربية التي اختارها الله لتحمل رسالة السماء الخالدة، فهي لغة القرآن الكريم، ولسان الإسلام.

وارتباط اللغة العربية بمصدر الإسلام الأول كتاب الله ، جعل لها وثيق الصلة بالهوية الإسلامية، **فهي لغة فكر وعقيدة، ولا يفهم الدين**، ولا تدرك مقاصده إلا عن طريقها، فهي طريق فهم القرآن والسنة، فأصبحت بذلك إحدى القربات التي يتقرب بها إلى الله تعالى بتعلمها، وقد قرر بعض العلماء أن تعلمها واجب، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وقد اشتملت اللغة العربية على كافة أصناف البلاغة والسمو اللغوي، وكان العرب قبل الإسلام يتكلمون على السليقة دون لحن، ولكن بعد بزوغ شمس الإسلام وانتشاره في المعمورة، واختلاط الفاتحين بغيرهم من أصحاب البلاد المفتوحة، ظهرت بوادر اللحن، الأمر الذي دفع الغيورين على دينهم للمسارعة في وضع قواعد تعصم اللسان من الخطأ أو اللحن في كتاب الله، وتساعد على فهمه، فجُمعت اللغة وتم ضبطها وتحديد ألفاظها، فأدى ذلك إلى ظهور المعاجم اللغوية ونشأة وازدهار علوم اللغة العربية، وظهرت المؤلفات في النحو والصرف والعروض.

وبذا أصبحت اللغة العربية أداة مثلى لنشر الفكر الإسلامي، وركيزة مهمة للهوية الإسلامية، التي جمعت بين أجناس وشعوب، ووحدت بينها تحت راية الإسلام.

الفصل الثاني

مفهوم الاعتزاز بالهوية الإسلامية وصور من التاريخ

المبحث الأول : مفهوم الاعتزاز بالهوية الإسلامية.

المبحث الثاني: صور من الاعتزاز بالهوية الإسلامية في عصر النبوة والخلافة الراشدة.

المبحث الثالث: صور من الاعتزاز بالهوية الإسلامية أيام الخلافة العباسية والأندلسية.

المبحث الرابع: صور من الاعتزاز بالهوية الإسلامية أيام المماليك والدولة العثمانية.

المبحث الخامس: صور من الاعتزاز بالهوية الإسلامية في عصرنا الحاضر.

المبحث الأول

مفهوم الاعتزاز بالهوية الإسلامية[1]

لو أن العزَّة سلعة تباع وتشترى لتهافت عليها طلابها، ولاكتَنَزها ملَّاكها، ولغلا سعرها، ولبُذلت من أجلها الكنوز، ولكن العزَّة منحة ربانية، يهَبها الله تعالى لمن يؤدي من التقوى حقها، ومن المعاصي اجتنابها، وعرَف قيمتها وقدرها، فيحلق في فضاء رحب فسيح، ويشعر بلذة لا تضارعها لذة، وحينها يزداد لله تواضعًا وقربًا، وبالمؤمنين رحمة وليِنًا، وعلى أعداء الله رفعة وأنَفَة وعلوًّا.

معنى العزة : إن العزة في اللغة تدور حول عدة معان : القوة والغلبة، والرفعة والامتناع؛ فهي حالة مانعة للإنسان أن يُغلب أو يمتهن.

قال ابن الجوزي – رحمه الله –: قال بعض المفسرين:

العزة في القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدها: العظمة، ومنه قوله تعالى عن سحرة فرعون: (وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ) [الشعراء:44]،**وقوله عن إبليس:(قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)** [ص:82].

والثاني: المنعة، ومنه قوله تعالى: (أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً) [النساء: 139].

---

1 - مباحث هذا الفصل ملخصة من خمس مقالات :

الأول : محاسن الأخلاق – الشبكة الإسلامية .

الثاني : الاعتزاز بالهوية الإسلامية – للدكتور عمر بن عبد الله المقبل ؛ الثالث : المحافظة على الهوية الإسلامية - للدكتور عبدالرحمن بن سعيد الحازمي.

والرابع : الاعتزاز بالدين – للكتور أمين بن عبدالله الشقاوي.

الخامس : خطبة الاعتزاز بالإسلام (1و2) للكاتب أحمد بن عبدالله الحزيمي – موقع شبكة الألوكة الشرعية.

والثالث:الحمية:منه قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ) [البقرة:206]، **وقوله: (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ)** [ص:2].

ومن ذلك نلحظ أن هناك عزة ممدوحة، وأخرى مذمومة:

فالعزة الممدوحة هي التي لله ولرسوله وللمؤمنين، فهي عزة حقيقية دائمة؛ لأنها من الله وبالله الذي لا يُغالَبُ ولا يُقاوَم سبحانه **(وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) [المنافقون: 8].**

أما عزة الكفار فهي في الحقيقة ذل وهوان، قال الله تعالى: (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً * كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً) [مريم:81، 82].

وقد أخطأ كثير من الناس طريق العز والغلبة والتمكين، فطلبها بعضهم بالمال، وما علم أن هذا المال فتنة ووبال إن لم يؤد صاحبه حق الله تعالى، بل قد يكون هذا المال سبيلاً إلى ذله.

قال الحسن ابصري رحمه الله تعالى: (والله ما أعز أحد الدرهم إلا أذله الله).

وكم رأينا ذلك في دنيا الناس ؛ وبعضهم يتعزز بمنصبه وجاهه، وهو ما قد يحقق له عزّا مؤقتًا، لكنه إن لم يكن على أساس من العدل وحُسن السيرة، فإنه حتمًا لن يدوم، فكم رأينا من رئيس أو زعيم كان يملأ الدنيا ضجيجًا إذا به يصبح أسير القضبان في غياهب السجون؛ فتبدل عزه ذلاً.

وأخطر من ذلك من يطلب العزة عند الكافرين فيواليهم ويميل إليهم، ولو كان على حساب المسلمين!! وهذا وهم، إذ هو في الحقيقة ذُل عاجل، فمن واقع الناس نلحظ أن أول من يتسلط على هؤلاء هم أولياؤهم من الكافرين. قال الله تعالى: **(بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً)** [النساء:138، 139].

فالارتماء في أحضان الكافرين طلبًا للعز هو في الحقيقة أقصر طريق إلى الذل والهوان؛ لأن هؤلاء الكافرين لن يرضوا منَّا بأقل من الكفر: **(وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ)** [البقرة:120].

ومن الناس من يعتز بنسبه وقبيلته، وإن كانوا على غير هدىً، فعن أبي ريحانة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(من انتسب إلى تسعة آباءٍ كفار، يريد بهم عزًّا وفخرًا فهو عاشرهم في النار)**.

والحق الذي لا مراء فيه أن من رام العزة فليطلبها من الله بطاعته، والكف عن معاصيه، وقد لخص عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا المعنى العظيم في كلمات قلائل، يقول فيها: **(إنا كنَّا أذلَّ قومٍ فأعزَّنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزَّ بغير ما أعزَّنا الله به أذلَّنا الله)** .

وقال إبراهيم بن شيبان رحمه الله تعالى : "**الشرف في التواضع، والعز في التقوى، والحرية في القناعة**".

إن المسلم حين يعيش حياة الطاعة فإنه يعيش عزيزًا كريمًا. نعم قد يُبتلى لكنه ذو نفس عزيزة، وقد تَجلَّى ذلك واضحًا في حياة السلف رضي الله عنهم، حتى في أحلك اللحظات وأشد المواقف وأقساها.

المبحث الثاني

صور من الاعتزاز بالهوية الإسلامية في عصر النبوة والخلافة الراشدة

الصورة الأولى: صحابي جليل يعتز بهويته ويجابه اليهود :

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يغضب روى ابن هشام عن عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخرمة عن أبي عوانة: "أن امرأة من العرب قدمت بجلب – ما يجلب إلى السوق للبيع – لها، فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها، فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوأتها، فضحكوا منها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديًّا، وشدَّت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على يهود، فغضب المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع". "فكان هؤلاء أول يهود نقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم"، وكان ذلك في منتصف شوال من السنة الثانية للهجرة.

قال ابن إسحاق: "فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة من الزمن، حتى نزلوا على حكمه، فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول حين أمكنه الله منهم، فقال: "يا محمد، أحسن في مَوَالِيَّ!"، فلم يلتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكرر ثانية فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأدخل يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له صلى الله عليه وسلم: **أَرْسِلْنِي، وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه ظُلَلًا** – لتغير الْوَجْه إِذا اشْتَدَّ غَضَبه –، ثم قال له: **وَيْحَكَ! أَرْسِلْنِي**، قال: لا والله لا أُرْسِلُكَ حتى تحسن في مواليَّ: أربع مئة حاسر، وثلاث مئة دارع، قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة؟! إني والله امرؤ أخشى الدوائر. فقال له رسول الله صلى الله عليه

وسلم: **هم لك، وأمرهم أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروه بها،** فخرجوا إلى أذرعات الشام، وهلك أكثرهم فيها".

فتأمل أخي كيف حرَّك رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيش الإسلامي معلنًا الحرب – التي ستسال فيها الدماء– **من أجل أن امرأة واحدة كُشفت عورتها، فكيف بنا الآن وقد كشفت عورات المسلمات في بقاع الأرض، وانتهكت حرماتهن سجنًا وقهرًا واغتصابًا وقتلًا.. ولا حول ولا قوة إلا بالله[1]!!**

الصورة الثانية: اعتزاز سعد بن معاذ رضي الله عنه بالهوية الإسلامية أمام سيد من سادات قريش :

عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه قال: **(انْطَلَقَ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ مُعْتَمِرًا، قالَ: فَنَزَلَ علَى أُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ أبِي صَفْوَانَ، وكانَ أُمَيَّةُ إذَا انْطَلَقَ إلى الشَّأْمِ، فَمَرَّ بالمَدِينَةِ نَزَلَ علَى سَعْدٍ، فَقالَ أُمَيَّةُ لِسَعْدٍ: انْتَظِرْ، حتَّى إذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ وغَفَلَ النَّاسُ، انْطَلَقْتُ فَطُفْتُ، فَبيْنَا سَعْدٌ يَطُوفُ إذَا أبو جَهْلٍ، فَقالَ: مَن هذا الذي يَطُوفُ بالكَعْبَةِ؟ فَقالَ سَعْدٌ: أنَا سَعْدٌ، فَقالَ أبو جَهْلٍ: تَطُوفُ بالكَعْبَةِ آمِنًا وقدْ آوَيْتُمْ مُحَمَّدًا وأَصْحَابَهُ؟! فَقالَ: نَعَمْ، فَتَلَاحَيَا بيْنَهُمَا، فَقالَ أُمَيَّةُ لسَعْدٍ: لا تَرْفَعْ صَوْتَكَ علَى أبِي الحَكَمِ؛ فإنَّه سَيِّدُ أهْلِ الوَادِي، ثُمَّ قالَ سَعْدٌ: واللَّهِ لَئِنْ مَنَعْتَنِي أنْ أطُوفَ بالبَيْتِ لَأَقْطَعَنَّ مَتْجَرَكَ بالشَّامِ، قالَ: فَجَعَلَ أُمَيَّةُ يقولُ لِسَعْدٍ: لا تَرْفَعْ صَوْتَكَ، وجَعَلَ يُمْسِكُهُ، فَغَضِبَ سَعْدٌ فَقالَ: دَعْنَا عَنْكَ؛ فإنِّي سَمِعْتُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَزْعُمُ أنَّه قَاتِلُكَ، قالَ: إيَّايَ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: واللَّهِ ما يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ إذَا حَدَّثَ، فَرَجَعَ إلى امْرَأَتِهِ، فَقالَ: أمَا تَعْلَمِينَ ما قالَ لي أخِي اليَثْرِبِيُّ؟ قالَتْ: وما قالَ؟ قالَ: زَعَمَ أنَّه سَمِعَ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أنَّه قَاتِلِي، قالَتْ: فَوَاللَّهِ ما يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ، قالَ: فَلَمَّا خَرَجُوا إلى بَدْرٍ وجَاءَ الصَّرِيخُ، قالَتْ له امْرَأَتُهُ: أمَا ذَكَرْتَ ما قالَ لكَ**

---

1 - مقال : بعنوان : تأملات تاريخية - (8) جيوش من أجل امرأة - أحمد عبد الحافظ - طريق الإسلام.

أَخُوكَ اليَثْرِبِيُّ؟ قالَ: فأرَادَ أنْ لا يَخْرُجَ، فَقالَ له أبو جَهْلٍ: إنَّكَ مِن أشْرَافِ الوَادِي، فَسِرْ يَوْمًا أوْ يومَيْنِ، فَسَارَ معهُمْ، فَقَتَلَهُ اللَّهُ) رواه البخاري .

ويظهر في الموقف السابق شجاعة سعد وشدته على الكافرين، واعتزازه بدينه، فمع أنه بمكة لوحده، إلا أنه كان يهدد سادات قريش في عقر دارهم.

الصورة الثالثة : سيدنا عمر رضي الله عنه واعتزازه بالهوية الإسلامية:

خَرَجَ عُمَرُ الْفَارُوقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى الشَّامِ وَمَعَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فَأَتَوْا عَلَى مَخَاضَةٍ، وَعُمَرُ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ، فَنَزَلَ عُمَرُ وَخَلَعَ خُفَّيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَلَى عَاتِقِهِ، وَأَخَذَ بِزِمَامِ نَاقَتِهِ فَخَاضَ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ تَفْعَلُ هَذَا، تَخْلَعُ خُفَّيْكَ وَتَضَعُهُمَا عَلَى عَاتِقِكَ، وَتَأْخُذُ بِزِمَامِ نَاقَتِكَ، وَتَخُوضُ بِهَا الْمَخَاضَةَ؟ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ أَهْلَ الْبَلَدِ اسْتَشْرَفُوكَ" – أَيْ: رَأَوْكَ – فَقَالَ عُمَرُ: "**أَوَّهْ! لَو يَقُلْ هَذَا غَيْرُكَ أَبَا عُبَيْدَةَ؛ جَعَلْتُهُ نَكَالاً لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللَّهُ بِالإِسْلاَمِ، فَمَهْمَا نَطْلُبُ الْعِزَّةَ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللَّهُ بِهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ**" رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ.

وَفِي رِوَايَةٍ – أَخْرَجَهَا ابْنُ الْمُبَارَكِ – قَالَ عُمَرُ: "إِنَّكُمْ كُنْتُمْ أَذَلَّ النَّاسِ، وَأَقَلَّ النَّاسِ، وَأَحْقَرَ النَّاسِ، فَأَعَزَّكُمُ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، فَمَهْمَا تَطْلُبُوا الْعِزَّ بِغَيْرِهِ يُذِلَّكُمُ اللَّهُ" .

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْمِنَنِ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يُوَفَّقَ إِلَى دِينٍ عَظِيمٍ كَدِينِ الْإِسْلَامِ، وَمِنْ حَقِّ شَخْصٍ يَدِينُ بِهَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ أَنْ يُفَاخِرَ بِهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَدْيَانِ. فَمُجَرَّدُ أَنَّكَ مُسْلِمٌ هَذِهِ تَكْفِيكَ لِتُكْسِبَكَ الْعِزَّةَ، فَلَا اعْتِزَازَ بِجِنْسٍ، وَلَا اعْتِزَازَ بِلَوْنٍ، وَلَا اعْتِزَازَ بِنَسَبٍ، وَلَا بِبَلَدٍ وَلَا اعْتِزَازَ بِلُغَةٍ، وَلَا افْتِخَارَ بِمَالٍ أَوْ ثَرْوَةٍ، فَكُلُّهَا عِزَّةٌ جَوْفَاءُ، تَقُومُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ، تَقُومُ عَلَى تَصَوُّرَاتٍ خَاطِئَةٍ وَقِيَمٍ زَائِلَةٍ. أَمَّا الاعْتِزَازُ بِاللهِ فَبَاقٍ دَائِمًا لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، وَلِذَلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [المنافقون: 8].

الصورة الرابعة : اعتزاز عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه بالهوية الإسلامية أمام ملك الروم:

في قصة عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه، حين وقع أسيرًا في أيدي الروم، وعلم به ملكهم، فأتى به وراوده عن دنيه، فأبى عبد الله، فعرض عليه الملك نصف ماله فأبى، فحبسه، وآذاه، ومنع عنه الطعام والشراب، ووضع بجواره لحم خنزير وخمرًا، فلما انقضت ثلاثة أيام أخرجوه ولم يذق منها شيئًا، ولما سألوه قال: والله لقد كان أحلَّه لي – لأنه مضطر – ولكن ما كنت لأشمتكم بدين الإسلام. فيطلب منه الملك أن يقبِّل رأسه مقابل إطلاق سراحه، فيشترط ابن حذافة إطلاق سلاح جميع أسرى المسلمين، ويوافق الملك، فيقبِّل ابن حذافة رأسه، ويرجع إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ومعه أسرى المسلمين، فيقوم عمر ويقبِّل رأس ابن حذافة، وهو يقول: حق على كل مسلم أن يقبل رأس ابن حذافة.

الصورة الخامسة : اعتزاز ربعي بن عامر رضي الله عنه بالهوية الإسلامية أمام الفرس:

جاء في البداية والنهاية لابن كثير – رحمه الله – قال: (ثم بعَث إليه – أي إلي **رستم** قائد الفرس – سعد رسولًا آخر بطلبه، وهو ربعي بن عامر، فدخل عليه وقد زيَّنوا مجلسه بالنمارق المذهَّبة، والزرابي الحرير، وأظهر اليواقيت واللآلئ الثمينة، والزينة العظيمة، وعليه تاجه، وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير مِن ذهب، ودخل رِبعي بثياب صفيقة، وسيف وتُرس، وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضة على رأسه، فقالوا له: ضَعْ سلاحك، فقال: إني لم آتِكم، وإنما جئتُكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعتُ، **فقال رستم:** ائذنوا له، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق، فخرَّق عامتها، فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج مَن شاء مِن عبادة العباد إلى عبادة الله، ومِن ضيق الدنيا إلى سَعتها، ومِن جَور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن

قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبدًا حتى نفضيَ إلى موعود الله، قالوا: وما موعود الله؟ قال: الجنةُ لمن مات على قتال مَن أبى، والظفَر لمن بقِي، فقال رستم: قد سمعت مقالتكم، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟ قال: نعم، كم أحب إليكم؟ أيومًا أو يومين؟ قال: لا، بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا، فقال: ما سنَّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث، فانظر في أمرك وأمرهم، واختَرْ واحدة من ثلاث بعد الأجل، فقال: أسيدُهم أنت؟ قال: لا، ولكن المسلمون كالجسد الواحد، يُجير أدناهم على أعلاهم، فاجتمع رستم برؤساء قومه، فقال: هل رأيتم قط أعزَّ وأرجح من كلام هذا الرجل؟ فقالوا: معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا وتدعَ دِينك لهذا الكلب! أما ترى إلى ثيابه؟! فقال: ويلكم! لا تنظروا إلى الثياب، وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة، إن العرب يستخفون بالثياب والمأكل، ويصونون الأحساب).

فقد لَخَّصَ رِبْعِيُّ بْنُ عَامِرٍ هَذِهِ الْعِزَّةَ فِي مَعْرَكَةِ الْقَادِسِيَّةِ حِينَمَا دَخَلَ عَلَى رُسْتُمَ الْكَافِرِ بِفَرَسِهِ لِيُلَقِّنَهُ وَيُلَقِّنَ التَّارِيخَ دَرْسًا فِي الافْتِخَارِ بالدِّينِ، فَقَالَ لَهُ رُسْتُمُ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟ فَقَالَ رِبْعِيُّ بْنُ عَامِرٍ بِعِزَّةِ الْمُسْلِمِ: (اللَّهُ ابْتَعَثْنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَى سِعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ).

المبحث الثالث

صور من الاعتزاز بالهوية الإسلامية أيام الخلافة العباسية والأندلسية

الصورة الأولى: في أيام الخلافة العباسية : موقف هارون الرشيد رحمه الله مع (نقفور) ملك الروم[1]:

جاء في الموسوعة التاريخية (الدرر السنية): اضطُرَّت دولةُ الروم أمام ضربات الرشيد المتلاحقة إلى طلب الهدنة والمصالحة، فعقدت "إيريني" ملكة الروم صُلحًا مع الرشيد، مقابل دفع الجزية السنوية له في سنة (181هـ - 797 م)، وظلت المعاهدة سارية حتى نقضها إمبراطور الروم، الذي خلف إيريني في سنة (186هـ - 802م).

وكتب إلى هارون الرشيد : (**مِن نقفور ملك الروم إلى ملك العرب، أما بعد فإن الملكة إيريني التي كانت قبلي أقامتك مقام الأخ، فحملت إليك مِن أموالها، لكن ذاك ضعف النساء وحمقهن، فإذا قرأت كتابي فاردُدْ ما حصل قبلك من أموالها، وافتدِ نفسك، وإلا فالحرب بيننا وبينك**).

فلما قرأ هارونُ هذه الرسالة ثارت ثائرته، وغضب غضبًا شديدًا، وكتب على ظهر رسالة الإمبراطور: (**مِن هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأتُ كتابك يا بن الكافرة، والجواب ما تراه دون أن تسمعه، والسلام**).

وخرج هارونُ بنفسه في عام (187 هـ - 803م)، حتى وصل "هرقلة"، وهي مدينة بالقرب مِن القسطنطينية، واضطر نقفور إلى الصلح والموادعة، وحمل مال الجزية إلى الخليفة كما كانت

---

1 - أبو جعفر هارون بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور (149 هـ - 193 هـ)، الخليفة العباسي الخامس. ولد في مدينة الري عام 149 هـ (766) وتوفي في مدينة طوس (مشهد اليوم) عام 193 هـ (809)، وبويع بالخلافة ليلة الجمعة التي توفي فيها أخوه موسى الهادي عام 170 هـ، وكان عمره آنذاك 22 سنة، وأمه الخيزران بنت عطاء وهي أم ولد يمانية جرشية.

تفعل "إيريني" من قبل، ولكنه نقض المعاهدة بعد عودة الرشيد، فعاد الرشيد إلى قتاله في عام (188هـ - 804م) وهزمه هزيمةً منكرة، وقتل مِن جيشه أربعين ألفا، وجُرح نقفور نفسه، وقبِل الموادعة، وفي العام التالي (189هـ - 805م) حدث الفداءُ بين المسلمين والروم، ولم يبقَ مسلمٌ في الأسر.

الصورة الثانية: في أيام الدولة الأندلسية :

جاء في سيرة حروب الحاجب المنصور ابن أبي عامر حاكم الأندلس أنه سَيَّر جيشًا كاملاً لإنقاذ ثلاث من نساء المسلمين كنَّ أسيرات لدى مملكة نافار (أقصى الجنوب الفرنسي وشمال أسبانيا النصرانية).

ذلك أنه كان بينه وبين مملكة نافار عهد، وكانوا يدفعون له الجزية، وكان من شروط هذا العهد ألاَّ يأسروا أحدًا من المسلمين أو يستبقوهم في بلادهم.

غير أنه قد حدث أمرٌ استفز المنصور وجيَّش من أجله الأندلس بكاملها، فتأمل ما يقوله ابن عذارى المراكشي عن هذا الأمر في كلمات بديعة وعبارات أنيقة، أجمل ما تقرأه من حال أمة عزيزة كريمة: (**ومن أوضح الأمور هنالك، وأفصح الأخبار في ذلك، أن أحد رسله (رسل المنصور)** كان كثير الانتياب، لذلك الجناب، فسار في بعض مسيراته إلى غرسية (ت 390هـ / 1000م) صاحب البشكنس - مملكة نبره أو نافار النصرانية - فوالى في إكرامه، وتناهى في برّهِ واحترامه، فبينا هو يجول في ساحتها إذ عرضت له امرأة قديمة الأسر فكلمته، وعرَّفته بنفسها وأعلمته، **وقالت له: أيرضى المنصور أن ينسى بتنعمه بوسها ؛ وزعمت أن لها عدة سنين بتلك الكنيسة محبسة، واستحلفته بأغلظ الأيمان، وأخذت عليه في ذلك أوكد مواثيق الرحمن.**

فلمَّا وصل إلى المنصور عرَّفه بما يجب تعريفه به وإعلامه، وهو مصغٍ إليه حتى تم كلامه، فلما فرغ قال له المنصور: هل وقفت هناك على أمر أنكرته، أم لم تقف على غير ما ذكرته؟

فأعلمه بقصة المرأة وما خرجت عنه إليه، وبالمواثيق التي أخذت عليه. فعتبه ولامه، على أن لم يبدأ بها كلامه، ثم أخذ للجهاد من فوره، وعرض من من الأجناد في نجده وغوره، وأصبح غازيًا على سرجه فعنف أرساله — سفراءه – ، وقال لهم –أي المنصور: كان قد عاقدني أن لا يبقى ببلاده مأسورةٌ ولا مأسور، ولو حملته في حواصلها النسور، وقد بلغني بعد بقاء فلانة المسلمة في تلك الكنيسة، ووالله لا أنتهي عن أرضه حتى أكتسحها.

فأرسل إليه – صاحب البشكنس – المرأة في اثنتين معها، وأقسم أنه ما أبصرهنَّ ولا سمع بهنَّ، وأعلمه أن الكنيسة التي أشار بعلمها، قد بالغ في هدمها، تحقيقًا لقوله، وتضرع إليه في الأخذ في بطوله، فاستحيا منه، وصرف الجيش عنه، وأوصل المرأة إلى نفسه، وألَّف توحشها بأنسه، وغيَّر من حالها، وعاد بسواكب نعماه على جدبها وإمحالها، وحملها إلى قومها، وكحلها بما كان شرد من نومها". **فهل رأت أمة من الكرامة والعزة مثل ما كان من أمر الحاجب المنصور ابن أبي عامر**(366هـ- 392هـ)، **المجاهد الذي لا يهزم، غزا في حياته أربعًا وخمسين غزوة، لم يُهزم أبدًا في واحدة منها**[1].

على العكس من واقعنا كما صوره الشاعر عمر أبو ريشة:

أُمّتِي كمْ غصةٍ داميةٍ ... خَنقتْ نجوى عُلاكِ في فَمي

اسمَعِي نَوْحَ الحَزانَى واطْربِي ... وانظُري دَمعَ اليتامى وابْسُمي

ودَعي القادةَ في أهوائِها ... تَتَفانَى في خَسيسِ المَغنمِ

رُبَّ وا معتصِماهُ انطلَقَتْ ... مِلءَ أفواهِ البناتِ اليُتَّمِ

لامَستْ أَسماعَهم لكنَّها ... لم تُلامسْ نَخوةَ المعتَصِمِ

---

1 - مقال : بعنوان : تأملات تاريخية - (8) جيوش من أجل امرأة - أحمد عبد الحافظ - طريق الإسلام – بتصرف يسير.

المبحث الرابع

صور من الاعتزاز بالهوية الإسلامية أيام المماليك والدولة العثمانية

الصورة الأولى : في أيام الدولة المملوكية[1] :

مما يتصل بالاعتزاز بالإسلام ما حصل في سنة 699هـ، وذلك أن ملك التتر غازان قدم إلى دمشق فخرج إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، واجتمع به وكلمه بغلظة، فكف الله يد غازان عنه، وذلك أنه قال لترجمان الملك غازان، قل له: أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاض وإمام وشيخ ومؤذنون على ما بلغنا؛ فغزوتنا، وأبوك وجدك هولاكو كانا كافرين، وما عملا الذي عملت .. عاهدا فوفيا، وأنت عاهدت فغدرت، وقلت فما وفيت. وجرت له مع غازان وقطلوشاه وبولاي أمور قام فيها كلها لله، وقال الحق ولم يخش إلا الله. وحضر قضاة دمشق وأعيانها إلى مجلس غازان، فقدم إليهم غازان طعامًا فأكلوا إلا ابن تيمية رحمه الله، فقيل: ألا تأكل؟ فقال: كيف آكل من طعامكم وكله مما نهبتم من أغنام الناس، وطبختموه مما قطعتم من أشجار الناس، ثم إن غازان طلب منه الدعاء، فقال في دعائه: اللَّهم إن كنت تعلم أنه إنما قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وجهادًا في سبيلك فأيده وانصره، وإن كان للملك والدنيا والتكاثر فافعل به واصنع... يدعو عليه، وغازان يؤمن على دعائه، وقضاة دمشق قد خافوا القتل وجمعوا ثيابهم خوفًا أن يبطش به غازان فيصيبهم من دمه، فلما خرجوا

---

1 - يُقسم المُؤرخون الدولة المملوكيَّة إلى فرعين أو دولتين هُما: دولة المماليك البحريَّة ودولة المماليك البُرجيَّة. حكم المماليك البحريَّة من سنة 648 هـ المُوافقة لِسنة 1250 م إلى سنة 784 هـ المُوافقة لِسنة 1382 م، وكان أكثرهُم من التُرك والمغول. وحكم المماليك البُرجيَّة من سنة 784 هـ المُوافقة لِسنة 1382 م إلى سنة 923 هـ المُوافقة لِسنة 1517 م، وكانوا من الشركس. والمماليك أُصُولهم رقيقٌ مُحاربين، استقدمهم الخُلفاء العبَّاسيين الأوائل من تركستان والقوقازوغيرها وجعلوهم حُرَّاسًا لهم وقادةً لِجُيُوش المُسلمين،

قال قاضي القضاة ابن الصعري لابن تيمية رحمه الله: كدت تهلكنا معك، ونحن ما نصحبك من هنا، فقال: ولا أنا أصحبكم[1].

الصورة الثانية : في أيام الخلافة العثمانية: اعتزاز السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله بالهوية الإسلامية:

مما يتصل بالاعتزاز بالإسلام ما حصل للسلطان عبدالحميد الثاني رحمه الله عندما أتى إليه اليهود وعرضوا عليه تسليم فلسطين مقابل مبالغ مالية من الذهب الخالص، فكان جوابه: (إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهبًا فلن أقبل، إن أرض فلسطين ليست ملكي، إنما هي ملك الأمة الإسلامية، وما حصل عليه المسلمون بدمائهم لا يمكن أن يباع، وربما إذا تفتت امبراطوريتي يومًا يمكنكم أن تحصلوا على فلسطين دون مقابل) .

يقول المستشرق الغربي (شاتلي): إذا أردتم أن تغزوا الإسلام وتكسروا شوكته، وتقضوا على هذه العقيدة التي قضت على كلّ العقائد السابقة واللاحقة لها، والتي كانت السبب الأول والرئيسي لاعتزاز المسلمين وشموخهم، وسبب سيادتهم وغزوهم للعالم، فعليكم أن توجهوا جهود هدمكم إلى نفوس الشباب المسلم، والأمة الإسلامية بإماتة روح الاعتزاز بماضيهم، وكتابهم – القرآن – وتحويلهم عن كلّ ذلك بواسطة نشر ثقافتكم وتاريخكم، ونشر روح الإباحية، وتوفير عوامل الهدم المعنوي[2].

---

1 - الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله للشيخ محمد عزيز شمس، والشيخ علي العمران، بإشراف الشيخ بكربن عبد الله أبوزيد رحمه الله - ص686 - 687.

[2] من كتاب حقبة من التاريخ للشيخ عثمان بن محمد الخميس، مقدمة الشيخ الدكتور محمد أحمد إسماعيل المقدم للكتاب - طبعة دارالإيمان - مصر..

المبحث الخامس

صور من الاعتزاز بالهوية الإسلامية في أيام الاستعمار وفي عصرنا الحاضر

الصورة الأولى: اعتزاز الشيخ بديع الزمان النورسي رحمه الله بالهوية الإسلامية أمام مصطفى كمال أتاتورك الخبيث[1]:

لقد فرض مصطفى كمال أتاتورك (1881-1938م) على الشعب التركي المسلم علمانية متوحشة، ضاهت العلمانية الملحدة التي فرضتها الأحزاب الشيوعية على المجتمعات التي حكمتها. فالطبيعة قد أصبحت بديلا عن الله، والدين والتراث والقيم والأخلاق، بل والتاريخ، وحتى الزي والعادات والتقاليد قد غدت رجعية تسوق المتهمين بها إلى أعواد المشانق!

وأمام هذا التحدي، طلّق الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي (1924-1379هـ ، 1877-1960م) السياسة، وعكف على القرآن الكريم وحراسة الإيمان الديني، وقرر أن يستدل بالطبيعة (التي أرادوها إلها) على وجود الله! مستخدما في ذلك العلوم الطبيعية والمنطق والاستدلال العقلي. وكانت "رسائل النور" هي أداة هذه الدعوة التي ركزت على حراسة الإيمان، ونقض الإلحاد.

ومع ذلك، لم تترك الدولة العلمانية النورسي، وإنما جعلت حياته سلسلة من السجن والنفي والحصار والمحاكمات!

ففي سنة 1948م ألقي القبض عليه مع 15 من مريديه وطلابه، بتهمة تأليف جماعة سياسية، ونشر أفكار معادية للنظام القائم، وإطلاق صفة الدجال السفياني على أتاتورك!

---

[1] - نقلا عن مقال : فكروثقافة - للدكتور محمد عمارة – موقع الشبكة الإسلامية.

وفي دفاع النورسي أمام المحكمة عن نفسه تلاميذه ودعوته، قال ضمن ما قال:

(إنني أعلن بصراحة تامة أننا لسنا مع زعيم أصدر حسب هواه أوامر في قوة القانون بتحويل جامع "أيا صوفيا" إلى دار للأصنام، وجعل مقر المشيخة الإسلامية العامة مدرسة للبنات! ولا نجد أنفسنا ملزمين بقبول أمر واقع كهذا إطلاقا، إنه لا يمكن لأي شعب أن يعيش بدون دين، هذا دستور عام معترف به في الدنيا كلها، وإن الكفر المطلق يسبب لصاحبه عذابا أشد إيلاماً من عذاب جهنم في الدنيا نفسها).

ثم خاطب النورسي قضاته، متحديا:

(ألا فلتعلموا جيدا بأنه لو كان لي من الرؤوس بعدد ما في رأسي من شعر، وفصل كل يوم واحد منه عن جسدي، فلن أحني هذا الرأس، الذي نذرته للحقائق القرآنية، أمام الزندقة والكفر المطلق، ولن أتخلى أبدا عن هذه الخدمة الإيمانية النورية، ولا يمكنني أن أتخلى.

وما دامت مبادئ الجمهورية لا تتعرض للملاحدة وفقا لمبدأ حرية الضمير والوجدان، فمن الأولى والأحق أن لا تتعرض لأولئك الذين لا علاقة لهم بالدنيا، ولا يجادلون مع أهلها، ويعملون لآخرتهم وإيمانهم ووطنهم بشكل نافع.

كما لا يحق لأرباب السياسية أن يحملوا الشعب على التخلي عن الصلاح والتقوى الذين هما بمثابة الغذاء والعلاج ومن أهم الاحتياجات الضرورية لهذا الشعب منذ ألف عام.

لقد ثبت ثبوتا قاطعا أنه لا يمكن لأي شعب أن يعيش بدون دين، وثبت أيضا أن الشرق، من الوجهة الدينية، لا يشبه أوروبا، وأن الإسلام لا يشبه المسيحية، لا من حيث الحياة الدنيوية ونظرتها إلى الجماعة والفرد، ولا من حيث الحياة الآخرة، وأنه لا يمكن لأي رقي أو حضارة أن يملأ فراغ التدين الذي أصبح حاجة فطرية لشعب هذا الوطن).

هكذا دافع النورسي (وهو مكبل بالحديد) عن إسلام الشعب التركي، وحاكم العلمانية والإلحاد.

وإن الناظر في حياة وحالة الإسلام في تركيا اليوم، يدرك كيف حكمت محكمة التاريخ لصالح النورسي!

الصورة الثانية : اعتزاز الشيخ عبد الحميد الجزائري رحمه الله بالهوية الإسلامية:

في أيام الاستعمار الفرنسي للجزائر استدعى المندوب السامي الفرنسي في سوريا **الشيخ عبدالحميد الجزائري وقال له: إما أن تقلعَ عن تلقين تلاميذك هذه الأفكار**، وإلا أرسلت جنودًا لإغلاق المسجد الذي تنفُثُ فيه هذه السموم ضدنا، وإخماد أصواتك المنكرة، فأجاب الشيخ عبد الحميد: أيها الحاكم، إنك لا تستطيع ذلك، واستشاط الحاكم غضبًا: كيف لا أستطيع؟ قال الشيخ: إذا كنتُ في عُرسٍ هنأت وعلمت المحتفلين، وإذا كنتُ في مأتمٍ وعظت المعزين، وإن جلستُ في قطارٍ علَّمت المسافرين، وإن دخلت السجن أرشدت المسجونين، وإن قتلتموني ألهبت مشاعر المواطنين، وخيرٌ لك أيها الحاكم ألا تتعرَّض للأمة في دِينها ولغتها.

الصورة الثالثة : اعتزاز للعلامة ابن عاشور[1] رحمه الله بالهوية الإسلامية في مواجهة الحبيب بورقيبة:

---

1 - ولد العلامة المفسر محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور في سبتمبر/ أيلول 1879 في ضاحية المرسى بالعاصمة تونس، أي قبل عامين من دخول المستعمر الفرنسي تحت دعاية الحماية عام 1881، ونشأ في أسرة علمية وسياسية عريقة تمتد أصولها إلى الأندلس، تقلد أبناؤها مناصب هامة في القضاء والإفتاء والتدريس.

توفي العالم محمد الطاهر بن عاشور في 12 أغسطس/ آب 1973 عن سن تناهز 94 عامًا في مدينة المرسى في العاصمة تونس، وترك إرثًا معرفيًا عظيمًا أثّث المكتبة الإسلامية، فكانت كتاباته بمثابة ثورة على التقليد الأعمى والجمود والتكلس العقلي.

كان للعلامة ابن عاشور مواقف مشرّفة في التصدّي لمحاولات المحتل الفرنسي تغيير الهوية الإسلامية للشعب التونسي، وهي سياسة اعتاد عليها الفرنسيون وأي مستعمر آخر في البلاد التي يحتلونها وتقطنها شعوب إسلامية، لمسخ ثقافتها وربطها بالقاطرة الاستعمارية.

فمن مواقف العلاّمة بن عاشور التي نقشت في سجل التاريخ موقفه من دعوة رئيس تونس السابق الحبيب بورقيبة، العمال إلى الإفطار في رمضان بدعوى زيادة الإنتاج، على أن يقضي العمال ما فاتهم من صيام إذا توفّرت الظروف المناسبة لهم أو عندما يحالون إلى التقاعد! كانت دعوة مشبوهة في تحميل شهر من أشهر السنة مسؤولية ضعف الإنتاجية، يراد بها التشكيك في جدوى ركن الصيام، علماً بأن الاتحاد السوفياتي انهار اقتصادياً وكان الصيام محظوراً في جمهورياته الإسلامية الخاضعة لاحتلاله.

كان رد العلاّمة ابن عاشور واضحا على دعوة الرئيس بورقيبة العمال للإفطار في رمضان: **(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)** (البقرة – 183) ؛ ثم قال: **(وصدق الله وكذب بورقيبة)** يرددها العلامة ابن عاشور ثلاث مرات.

وبذلك قطع العلاّمة ابن عاشور الشك باليقين وأبرأ ذمته أمام الله وأمام المسلمين، الأمر الذي دفع بورقيبة إلى إحالة العلاّمة ابن طاهر إلى التقاعد من الجامعة الزيتونية، ثم أمر

ويعتبر (كتاب تفسير التحرير والتنوير) من أهم التفاسير في العصر الحديث، وهو محصلة 50 سنة من العمل والاجتهاد، مقدمًا بذلك إضافة علمية نوعية في مجال التفسير، وذلك بالإضافة إلى ما يقرب من 40 مؤلفًا في العلوم الشرعية واللغة والآداب، نذكر من بينها:

1 /تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد؛ المعروف بـ(التحرير والتنوير من تفسير القرآن الكريم) - (30 جزءًا). **2 /مقاصد الشريعة الإسلامية.**

3 /التوضيح والتصحيح حاشية على التنقيح للقرافي في أصول الفقه."

4 /أليس الصبح بقريب؟ التعليم العربي الإسلامي: دراسة تاريخية وآراء إصلاحية.

5 /كشف المغطى من المعاني والألفاظ الو اقعة في الموطأ. **6 /نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرازق.** **7/ النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح.**

بإغلاقها لمواقفها المشرّفة في الدفاع عن الهوية الإسلامية في تونس أمام زحف الثقافة الاستعمارية الاستبدادية الفرانكفونية. رحم الله العلامة ابن عاشور، وجزاه الله خير الجزاء عن الإسلام والمسلمين.

الصورة الرابعة : اعتزاز الشيخ عبد الحميد كشك رحمه الله بالهوية الإسلامية:

عُرف الشيخ كشك بالجرأة في الحق، وعرف كذلك بأسلوبه الساخر وسرعة البديهة.

كان له خط سياسيٌ يستمده من الإسلام، وكان –رحمه الله– يعدّ أيَّةَ سياسة تتخذها الدولة يجب أن يكون أساسها من الدين، وإذا خرجت عنه فهي دولة فاشلة، والأسوة في ذلك دولة الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين.

اعتقل الشيخ كشك لأول مرة عام 1965 في عهد عبد الناصر وكان عمره حينها 32 عاماً، وقضى في المعتقل عامين ونصفاً، تنقل خلالها بين عدة سجون ومعتقلات، إلا أن السجن لم يثنه عن مواقفه السياسية.

احتدت معارضة وانتقادات الشيخ كشك – رحمه الله – ضد السلطة في مصر بشكل أكبر وأوضح عام 1976 حين أبرمت مصر اتفاقية كامب ديفيد مع الكيان الصهيوني؛ فقد اتهم الحكومة المصرية بخيانة الإسلام، وظل يهاجم الدولة إلى أن اعتقل عام 1981، ضمن اعتقالات سبتمبر الشهيرة، وصاحب خروج الشيخ كشك من المعتقل، قراراً بمنعه من الخطابة ومن إلقاء الدروس، إلا أنه لم يتوقف عن المقولات والمواقف المثيرة في عهد مبارك.

جرأة الشيخ كشك وجسارته رغم المنع من الخطابة : كما قلنا إن الشيخ كشك – رحمه الله – كان قد مُنع من الخطابة ومن إلقاء الدروس إلا أن ذلك لم يمنعه من أن يقف في سرادق عزاء الأستاذ عمر التلمساني المرشد العام للإخوان المسلمين عام 1986 ويلقى فيه خطبة عصماء، قال فيها:

اسألوا التاريخ عن الجبابرة، اسألوا التاريخ عن القياصرة، اسألوا التاريخ عن الأباطرة، اسألوا التاريخ أين الجبابرة، أين الذين كانوا يقولون لن نرحل، اسألوا التاريخ عنهم أين هم الآن، أين الذي نادى بأعلى صوته وقال لن أرحل، اسألوا التاريخ عن هؤلاء، اسألوا التاريخ عن هؤلاء.

ولي في فناء الخلق أكبر عِبرة لمن كان في بحر الحقيقة راق

شُخوص وأشكال تمر وتنقضي فتفنى جميعاً والمُهمين باق

اسألوا التاريخ... اسألوا التاريخ عن هتلر، اسألوا التاريخ عن موسوليني، اسألوا التاريخ عن لينين، اسألوا التاريخ عن ستالين، اسألوا التاريخ عن فاروق، اسألوا التاريخ عن عبد الناصر، اسألوا التاريخ عن السادات، اسألوا التاريخ عن جبابرة الشرق والغرب، اسألوا التاريخ عنهم أين هم الآن... أين هم الآن... البقاء للواحد القهار... البقاء لله وحده... أين الذي كان إذا أشار بإصبعه امتلأت السجون وغصَّت المُعتقلات، أين الذي وقف أمام قبر لينين وأقسم بالله أنه لن يرحل، اسألوا التاريخ يا من تمرون بكوبري القبة، ويا من تمرون بمدينة نصر (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ * وَبِاللَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) [الصافات: 137، 138].

الفصل الثالث

هوية المسلم توثق علاقته بربه الخالق العظيم

المبحث الأول : المفهوم الشامل لعلاقة العبد بربه جل وعلا.

المبحث الثاني : علينا أن نصلح علاقتنا بربنا جل وعلا.

المبحث الثالث : معرفة الله تعالى هي أقصر الطرق لإصلاح علاقتنا به.

المبحث الأول

المفهوم الشامل لعلاقة العبد بربه جل وعلا [1]

ليس هناك من علاقة يحقق بها الإنسان هدف وجوده، ويرقى بها أرفع درجات مجدِهِ، وينال عليها أسمى نياشين إنجازاته، سوى العلاقة مع الله؛ إن توثَّقت سعِدَ وأنِسَ، وإن ضعُفت انهار ويئِس، ومهما مَلَكَ الإنسان من الماديات، تبقى الروح تحتاج إلى قوة أعلى، والى شعور أكمل، ولن يكون ذلك إلا في الصلة بالله، والارتباط به، والاعتصام والقرب منه، واللجوء إليه، وهذا هو جوهر الدين؛ صلة الروح بخالقها، وعلاقتها بموجدها ورازقها، الجميع يحتاج إلى هذه الصلة بلا استثناء، ولن تعيش بطمأنينة وسعادة ما دمتَ قاطعًا صلتك به، وكانت علاقتك به علاقة غائبة بعيدة، ضعيفة هشَّة.

معنى العبودية: الخضوع والتذلل والانقياد لله – عز وجل – بطاعة أوامره، وترك نواهيه، والوقوف عند حدوده تقربا إليه سبحانه، ورغبة في ثوابه، وحذرا من غضبه وعقابه، فهذه هي العبودية الحقة، ولا تكون إلا لله، قال تعالى: (**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ**) سورة الأنعام (162).

إن العبودية قضية كلية تهيمن على حياة المسلم، فهو حين يسعى في الأرض لطلب الرزق يعبد الله؛ لأن ربه يأمره بذلك في قوله: (**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**) سورة الملك (15) وهو حين ينام فهو ينام ليتقوى على عبادة الله تعالى، كما قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: (**أحتسب نومتي كما أحتسب قومتي**) أي: إنه يحتسب الأجر في نومه، كما يحتسب الأجر في قيامه لليل، بل إن المسلم لا يرضى إلا أن يكون تمتعه بالطعام والشراب والنكاح في ميزان حسناته كما قال رسول الله

---

[1] - **هذه المباحث الثلاثة قد لخصتهما من مجموعة مقالات من عدد من المو اقع الإسلامية وسالة لي بعنوان حسن الإفادة في مفهوم وأهمية العبادة (منشورة في موقع صيد الفوائدة ضمن سلسلة رسائل راحة الأرواح).**

صلى الله عليه وسلم: "**وفي بضع أحدكم صدقة**"، **قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال:** (**أرأيتم لو وضعها في الحرام أكان عليه وزر**"؟ **قالوا: نعم، قال: فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**).

وطريق الوصول إلى هذه المرتبة العظيمة أن يستحضر العبد ذكر ربه، وهو يعمل في شتى مجالات الحياة، فيسأل نفسه هل هو في الموضع الذي يرضى ربه عنه أم يسخط عليه؟ فإذا كان في موضع الرضا فليحمد الله، وليزدد من الخير، وإن كان على غير ذلك فليستغفر الله، وليتب إليه، كما هو حال عباد الله المتقين الذين وصفهم الله بقوله: (**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**) آل عمران (135).

وهكذا كانت العبادة في حس سلفنا الصالح من الصحابة ومن بعدهم، فلم يحصروها قط في إطار الشعائر التعبدية بحيث تصبح اللحظات التي يقومون فيها بأداء تلك الشعائر هي وحدها لحظات العبادة، وتكون بقية حياتهم "خارج العبادة" إنما كان في حس أحدهم أن حياته كلها عبادة، وأن الشعائر إنما هي لحظات مركَّزة يتزود فيها الإنسان بالطاقة الإيمانية التي تعينه على أداء بقية العبادات المطلوبة منه، ولذلك كانوا يحتفون بها احتفاء خاصا كما يحتفي المسافر بالزاد الذي يعينه على الطريق وباللحظة التي يحصل فيها على الزاد.

وهكذا كل من تعلق قلبه بشيء غير الله من أهواء نفسه، فإن حصل له رضي، وإن لم يحصل له سخط، فهو عبد ما يهواه رقيق له، إذ الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته، ثم بقدر ما تستعبده هذه الشهوات أو بعضها بقدر ما تضعف عبوديته لربه سبحانه، فإن استحكمت عبوديته لتلك الشبهات والأهواء حتى صدته عن الدين بالكلية فهو مشرك كافر، وإن صدته تلك الأهواء والشهوات عن بعض ما يجب عليه،

أو زينت له فعل بعض ما يحرم عليه – مما لا يخرج فاعله من الدين – فقد نقص من عبوديته لربه وإيمانه به بقدر ما صد عنه.

وبهذا المفهوم الدقيق والمعنى الشامل للعبادة ندرك: أن عبادة الله هي غاية الوجود الإنساني كله، كما قال تعالى: (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**) الذاريات (56) ومن ثم لم ينحصر مفهوم العبادة في نطاق الشعائر التعبدية وحدها، فالشعائر التعبدية لا يمكن – بداهة – أن تكون هي محل العبادة المطلوبة من الإنسان، فما دامت غاية الوجود الإنساني – كما تنص الآية الكريمة – محصورة في عبادة الله، فأنى يستطيع الإنسان أن يوفي العبادة المطلوبة بالشعائر التعبدية فحسب؟!

كم تستغرق الشعائر من اليوم والليلة؟ وكم تستغرق من عمر الإنسان؟ بقية العمر؟ وبقية الطاقة؟ وبقية الوقت؟ أين تنفق وأين تذهب؟ تنفق في العبادة أم في غير العبادة؟ وإن كانت في غير العبادة، فكيف تتحقق غاية الوجود الإنساني التي حصرتها الآية حصرا كاملا في عبادة الله؟ وكيف يجوز للإنسان – من عند نفسه – أن يجعل لوجوده – أو لجزء من وجوده – غاية لم يأذن بها الله؟.

المبحث الثاني

علينا أن نصلح علاقتنا بربنا جل وعلا

إن الله رب العالمين الذي يجب عليك أن تصلح علاقتك به هو من لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يعلم الظاهر والباطن، ويعلم ما تعلم وما لا تعلم، وما تُخفِي وما تُعلِن، ويعلم دقائق الأمور، ويعلم سريرتك وعلانيتك، يعلم نياتك وخواطرك؛ قال سبحانه: **(يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا)** [سبأ: 2]، **وقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ)** [آل عمران: 5].

فربٌّ هذا علمه، وإله هذه إحاطته، ألَا يستحق أن نهتم بعلاقتنا معه، وأن نحسن الصلة به؟ أيها العبد المسلم، لا تقدِّم على علاقتك مع الله أحدًا من البشر، اجعلها هي حبلك المتين، وركنك الشديد، وعروتك الوثقى، وميثاقك الذي لا يُنقَض، لا تكن صلتك به في المواسم ثم تنتهي، ولا تجعلها عند الشدائد، ثم تنساه في حال الرخاء، فالله دائم وباقٍ، لا يفنى ولا يزول، فاجعل ذكره حيًّا دائمًا في قلبك ببقاء أنفاسك. عباد الله، الذي يجب أن يكون عليه الفرد في العلاقة مع الله جل جلاله هو لسان حال الشاعر؛ حين يقول:

فليتك تحلو والحياة مريـرة ... وليتك ترضى والأنام غِضابُ

وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خـرابُ

إذا نلتُ منك الود فالكل هينٌ ... وكل الذي فوق التراب ترابُ

العلاقة مع الله مؤنِسة، جابرة، أبدية، مختلفة، عندما يحبك الله، سينعكس حبه على وجهك وأخلاقياتك، سيُسخر لك الأرض ومن عليها، حتى تكره التعلق بأحد سواه،

فتحب ما يحب، وتبغض ما يبغض، ستجده دائمًا معك، ستشعر معه بالحماية والوقاية والأمان التام.

مهما تعددت علاقاتك مع من حولك، فإن علاقتك بالله تعالى تبقى أساس كل العلاقات، كل علاقة مهما بلغت من المودة، فلا بد لها من انقطاع أو فراق بالموت، إلا علاقة المؤمن بربه وخالقه، فلا تنتهي أبدًا.

العلاقة بالله هي العلاقة الوحيدة الناجحة والمستمرة، علاقة لا يشوبها شكٌّ، ولا غدر، ولا مصلحة، علاقة مطمئنة مريحة، واضحة الملامح والأهداف ، قال الله تعالى: (وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ) [التوبة: 111]، وقال سبحانه: (وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ) [البقرة: 40]، وقال أيضًا: (قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ) [البقرة: 80].

مهما تهتَ في مسارح الحياة، فلا تنسَ علاقتك مع الله، تحسَّسْها كأعظم شيء تخاف فقدانه، حافظ عليها كما تحافظ على روحك؛ لأنك بها كل شيء، وبدونها لا شيء.

المبحث الثالث

معرفة الله تعالى هي أقصر الطرق لإصلاح علاقتنا به

بناءً على ما سبق نقول : من صلحت علاقته بالله، صلحت علاقته بمن حوله، وصلحت كل أحواله، من صلحت علاقته بالله، تيسرت أموره، وانفرجت همومه، وأُجيبت دعوته؛ وفي الحديث: "تعرف إلى الله في الرخاء، يعرفك في الشدة".

واعلم أخي القارئ الكريم أنَّ الوصول إلى معرفة الله تعالى بأسمائه الحسنى يحتاج منا إلى بذل الوقت والجهد وذلك لغلاء هذه المعرفة وأهميتها في زيادة الإيمان والتقرب إلى الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم : (تعرَّف إلى الله في الرخاء يَعْرِفْك في الشدة) [1] .

قال ابن رجب رحمه الله – في شرحه : (معرفة العبد لربه نوعان :

أحدُهما: المعرفةُ العامة : وهي معرفةُ الإقرار به والتَّصديق والإيمان، وهذه عامةٌ للمؤمنين.

والثاني: معرفة خاصة : تقتضي ميلَ القلب إلى الله بالكلية، والانقطاعَ إليه، والأُنس به، والطمأنينة بذكره، والحياء منه، والهيبة له، وهذه المعرفة الخاصة هي التي يدور حولها العارفون.

كما قال بعضهم : مساكينُ أهلُ الدُّنيا، خرجوا منها وما ذاقوا أطيبَ ما فيها، قيل له: وما هو؟ قال: معرفةُ الله عز وجل.

وقال أحمدُ بنُ عاصم الأنطاكيُّ : (أحبُّ أنْ لا أموتَ حتّى أعرفَ مولاي ، وليست معرفته الإقرار به ولكن إذا عرفته استحييت منه) [2] .

إن العبد إذا عرف الله جل وعلا عظّمه حق تعظيمه، لأن هذه المعرفة تجعله يعبد الله وهو

1/ رواه الترمذي والحاكم، قال الحاكم: صحيح، و أقره الذهبي، وقال الألباني (حسن) حديث 6290 في صحيح الجامع.

2/ جامع العلوم والحكم – لابن رجب – شرح الحديث التاسع عشر.

يعلم من هو الله الذي يعبده ويتقرب إليه، بخلاف الذي يعبد الله وهو لا يعرفه حق المعرفة فإن عبادته لربه ستكون عبادة ضعيفة باهتة.

فالذي يعرفه سيعبده بإجلال وخضوع ووقار وخشوع .وكلما زادت عظمة الله في قلبه كلما ازداد شوقاً له، وحباً لعبادته، والتقرب إليه، لأنه يعلم أنه يتقرب إلى رب عظيم كريم، بيده مقاليد السموات والأرض، وعنده مفاتيح كل شيء، وكل شيء تحت أمره وقهره وتصرفه سبحانه، (**فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**) [يس : 83].

ومن هنا ندرك السر في كثرة عبادة السلف لربهم، وتضحيتهم من أجله، وبذلهم للغالي والرخيص في سبيله، لأنهم عرفوا الله معرفة أجبرتهم على إخلاص العبادة له فضحوا في سبيله بكل شوق ومحبة، أما نحن اليوم فسبب بعدنا عن ربنا هو أننا ما عرفناه حقاً، فتقاعسنا عن عبادته، وتركنا أوامره، وارتكبنا المعاصي، وفعلنا المخالفات، وضيعنا العبادات.

كل هذا لأن قلوبنا ما عرفت الله حق معرفته، وإلا فهل يُعقَل أن يكذب الإنسان أو يزني أو يسرق أو يأكل الحرام وهو يعرف ربه معرفة يقينية، ويعلم أن الرب –جل جلاله– يراه ويسمعه، ويطلع على جميع أحواله، ويعلم كل أسراره، كيف سيعصيه إذا كان يعرفه بهذه المعرفة [1].

ووعلامة ابن القيِّم رحمه الله تعالى كلام قيم في هذا المقام حيث يقول في كتاب الفوائد :

فائدة : من الناس من يعرف الله بالجود والإفضال والإحسان . **ومنهم** من يعرفه بالعفو والحلم والتجاوز . **ومنهم** من يعرفه بالبطش والانتقام **ومنهم** من يعرفه بالعلم والحكمة **ومنهم** من يعرفه بالعزة والكبرياء **ومنهم** من يعرفه بالرحمة والبر واللطف .

1/ معرفة الله وخطورة الجهل به – موقع ملتقى الخطباء - بتصرف .

ومنهم من يعرفه بالقهر والملك و**منهم** من يعرفه بإجابة دعوته وإغاثة لهفته وقضاء حاجته .

وأعم هؤلاء معرفة من عرفه من كلامه فإنه يعرف ربّاً قد اجتمعت له صفات الكمال ونعوت الجلال منزه عن المثال برئ من النقائص والعيوب له كل اسم حسن وكل وصف كمال فعال لما يريد فوق كل شيء ومع كل شيء وقادرٌ على كل شيء ومقيمٌ لكل شيء آمرٌ ناهٍ متكلِّمٌ بكلماته الدينية والكونية **أكبر** من كل شيء **وأجل** من كل شيء ، **أرحم** الراحمين **وأقدر** القادرين **وأحكم** الحاكمين فالقرآن أنزله لتعريف عباده به وبصراطه الموصِّل إليه وبحال السالكين بعد الوصول إليه .

ويقول في موطن آخر من كتابه الفوائد أيضا :

ومن أعز أنواع المعرفة معرفة الرب سبحانه بالجمال وهي معرفة خواص الخلق وكلهم عرفه بصفة من صفاته وأتمهم معرفة من عرفه بكماله وجلاله وجماله سبحانه ليس كمثله شيء في سائر صفاته ولو فرضت الخلق كلهم على أجملهم صورة وكلهم على تلك الصورة ونسبت جمالهم الظاهر والباطن إلى جمال الرب سبحانه لكان أقل من نسبة سراج ضعيف إلى قرص الشمس .

ويكفي في جماله أنه لو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سبحاته ما انتهى إليه بصره من خلقه [1].

ويكفي في جماله أن كل جمال ظاهر وباطن في الدنيا والآخرة فمن آثار صنعته فما الظن بمن صدر عنه هذا الجمال .

ويكفي في جماله أنه له العزة جميعا والقوة جميعا والجود كله والإحسان كله والعلم كله

1- هذا جزء من حديث رواه مسلم ونصه قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله عزوجل لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط، ويرفعه، ويرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، لوكشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) .

والفضل كله ولنور وجهه أشرقت الظلمات كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الطائف **أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة** [1].

ويصف أحد الباحثين هذا الواقع الذي يعيشه بعض المسلمين قائلاً [2] :

واقع مخجل:

- **واقع مخجل** أن تجد كثيرًا من الناس يعرفون عن كل شيء شيئًا، فإذا تعلق الأمر بالله ومعرفته، فوجئت أنهم لا يعرفون شيئًا!

- **واقع مخجل** أن تجد الرجل يتحدث عدة لغات أجنبية بطلاقة، فإذا جاء إلى تلاوة آية من كتاب الله فكأنه أجنبي!

- **واقع مخجل** أن ترى الرجل عند الحديث عن السياسة محللًا بارعًا، وعند الحديث عن الكرة أو سوق العمل أو الموضة أو غيرها، تراه عالِمًا بالآراء مُفنِّدًا لها!

لكن لو طلبت منه أن يتكلم عن الله تعالى عدة دقائق، فلربما لا يستطيع، ولقد جرَّبتُ ذلك كثيرًا، وسألت كثيرًا منهم: ماذا تعرف عن اسم الله الصمد؟ أو القُدُّوس؟ أو المُقِيت؟ أو المَجيد؟ أو الحَكَم؟ فالجواب: لا جواب! إذًا كيف تعبدُ الله وأنت لا تعرفه؟! فأول الفتوح معرفة الله.

1- هذا جزء من حديث ونصه قال صلى الله عليه وسلم : (اللَّهُمَّ إليكَ أشْكو ضَعفَ قُوَّتي وقِلةَ حيلَتي وهَواني على الناسِ يا أرحَمَ الراحِمينَ، أنتَ أرحَمُ الراحِمينَ، وأنتَ ربُّ المُستَضعَفينَ، إلى مَن تَكِلُني إلى عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُني يَلْقاني بالغِلْظةِ والوَجهِ الكَريهِ، أمْ إلى صَديقٍ قَريبٍ مَلَّكْتَه أمْري، إنْ لم يكُنْ بكَ غَضَبٌ عليَّ فلا أُبالي، غيرَ أنَّ عافيتَكَ أوسَعُ لي، أعوذُ بنورِ وَجْهِكَ الذي أضاءَتْ له السمَواتُ، وأشرَقَتْ له الظلُماتُ، وصلَحَ عليه أمرُ الدُّنيا والآخِرةِ أنْ يَنزِلَ بي غضَبُكَ، أو يَحِلَّ بي سَخَطُكَ، ولكَ العُتْبى حتى تَرْضى، ولا حَولَ ولا قُوةَ إلَّا بكَ). ذكره ابن القيم في زاد المعاد، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريجه : رجاله ثقات إلا أن فيه تدليس ابن إسحاق .

2 / مقتبس من مقال بعنون : لذة معرفة الله - د. شريف فوزي سلطان – شبكة الألوكة الشرعية .

الفصل الرابع

هوية المسلم توثق علاقته بالقرآن الكريم

مدخل : القرآن الكريم منة الله تعالى لهذه الأمة.

المبحث الأول : نماذج من حال السلف مع القرآن الكريم.

المبحث الثاني : واجباتنا تجاه القرآن الكريم .

مدخل

القرآن الكريم منة الله تعالى لهذه الأمة المرحومة

إنّ أعظمَ نعمة امتنّ الله بها على أمة الإسلام إنزال القرآن؛ ذلك الكتاب الذي لا غموض فيه ولا التباس، قال الله تعالى ممتناً: ﴿ **لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ [الأنبياء: 10]، وقال الله تعالى لنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم: ﴿**وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ** ﴾ [الزخرف: 44].

فإنزال الكتاب على هذه الأمة هو أكبر النعم، والنعمُ بعده موازنةً به مزيدُ فضل وإحسان من الغني الكريم؛ وأنَّى لهذه الأمة التي أعزها الله بالإسلام والقرآن أن تجد عزة في سواه، وأن تتبوأ ذرى المجد بغيره.

والقرآن هو حبل الله المتين الذي من تمسك به نجا وأفلح في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾ [آل عمران: 103]، وفي الطبري وابن كثير والقرطبي، "**حبل الله**: القرآن".

ورحم الله الإمام الشاطبي إذ يقول في حرز الأماني:

وبعدُ فحَبلُ الله فينا كتابُه فجاهِد به حِبلَ العِدا مُتحبِّلا

وأخلِق به إذ ليس يخلُق جِدّة جديدًا مُوالِيه على الجِد مُقبلا

ما مثلنا إلا كقوم في أرض تعج بالسباع، ولا سبيل للأمان فيها إلا بالدخول في حصن وحيد بها، فالحصن كتاب الله، والسباع ما نرى من الفتن التي تدع الحليم حيراناً، فعن الحارث قال: "دخلت المسجد فإذا أناس يخوضون في أحاديث، فدخلت على علي فقلت: ألا ترى أن أناسًا يخوضون في الأحاديث في المسجد؟ فقال: قد فعلوها؟ قلت: نعم قال: أما إني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ستكون فتن، قلت: وما

المخرج منها؟ قال: كتاب الله، كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل، ليس بالهزل، هو الذي من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، فهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم ينته الجن إذ سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: 1]، هو الذي من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم) أخرجه الترمذي وأحمد.

ولهذا كان السلف الصالح رضي الله عنهم يعظمون كتاب الله ويؤمنون بأنه كلام الله المعجز الذي لا يشبهه شيء من كلام البشر، ولا يقدر على مثله أحد من الخلق، وكانوا يتلونه حق تلاوته، ويقيمون حروفه، ويتدبرون آياته، ويعتبرون بمواعظه، ويتفكرون في عجائبه، ويعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، ويتعمقون في معانيه وفي علومه، ويبحثون في عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه، ويظهرون مواضع الإعجاز فيه، ويدعون إليه ويذبون عنه تحريف الغاليين وطعن الملحدين، وكانوا لا يقدمون عليه شيئاً من قياس أو استحسان أو ذوق أو ما شابه، وكانوا يقفون عند تلاوته لطلب معاني ما أحب مولاهم أن يفهموه عنه أو يقوموا به له بعد ما يفهمونه، ومما يبين ذلك ما أخرجه ابن جرير عن ابن مسعود قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن. وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا إذا علموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميعا.

المبحث الأول

نماذج من حال السلف مع القرآن الكريم

إن الناظر في حياة السلف يجد حرصهم الشديد على الإكثار من تلاوته ؛ وإليك نماذج يسيرة:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرف قدوم الأشعريين وهم قوم أبي موسى الأشعري رضي الله عنه من أهل اليمن بقوله: **(إني لأعلم قدوم الأشعريين – أي إلى المدينة – ومنازلهم بها ولمّا أرهم، كانوا يُدوون بالقرآن كدوي النحل في الليل).**

وهذا تميم الداري رضي الله عنه : قال مسروق: قال لي رجل من أهل مكة: هذا مقام أخيك تميم الداري، صلَّى ليلةً حتى أصبح أو كاد، يقرأ آية يردِّدها ويبكي ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾ [الجاثية: 21].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : **(من أحبَّ أن يحبَّهُ اللهُ ورسولُهُ فلينظر: فإن كان يحبُّ القرآنَ، فهو يحبُّ اللهَ ورسولَه)** (ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات).

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه : لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم .

ويروى عن معاذ رضي الله عنه قال : سيبلى القرآن في صدور أقوام، كما يبلى الثوب . فيتهافت، فيقرءونه لا يجدون له شهوة.

قلت : يعني أنهم لا يجدون له لذة بل هي تلاوة جافة لا خشوع فيها ولا حلاوة لها بل ليس فيها شوق إلى جنة أو خوف من نار .

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: يوشك أن يدرس الإسلام، كما يدرس وشي الثوب . ويقرأ الناس القرآن لا يجدون له حلاوة.

وعن أبي العالية رحمه الله قال: سيأتي على الناس زمان، تخرب فيه صدورهم من القرآن، وتبلى كما تبلى ثيابهم، وتهافت فلا يجدون له حلاوة، ولا لذاذة[1].

وقال أبو محمد الجريري رحمه الله تعالى : من استولت عليه النفس، صار أسيرا في حكم الشهوات، محصورا في سجن الهوى . فحرم الله على قلبه الفوائد، فلا يستلذ بكلامه، ولا يستحليه، وإن كثر ترداده على لسانه .

وكان قتادة رحمه الله يختم القرآن في سبع، فإذا جاء رمضان ختم في كلِّ ثلاث، فإذا جاء العشر ختم في كلِّ ليلة .

ولَمَّا حضرت الوفاة أبا بكر بن عياش رحمه الله بكت أخته، فقال لها: «ما يُبكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية، فقد ختم أخوك فيها ثمانية عشر ألف ختمة .

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى : تفقدوا الحلاوة في الصلاة، وفي القرآن، وفي الذكر فإن وجدتموها فامضوا وأبشروا، وإن لم تجدوها فاعلموا أن الباب مغلق[2] .

---

1 - هذه الآثار من تفسير ابن رجب الحنبلي.

2 - تفسير ابن رجب الحنبلي.

المبحث الثاني

واجباتنا تجاه القرآن الكريم [1]

اعلم أخي القارئ الكرم أن لهذا الحصن الحصين والدرع المتين، وكلام رب العالمين، حقوقٌ يجب أداؤها، وواجباتٌ لا بد من القيام بها، وفي ما يلي بيانُ بعضها:

الحق الأول : الحق الإيمان والتصديق: وهذا الحق لا يكون العبد مسلماً إلا بأدائه، وهو الذي من أجله قام سوقُ الجنة والنار، وجردت سيوف الجهاد، وسالت دماء الأطهار والكفار، وقد تكررت الأوامر الإلهية به، مبينة أنه من أوجب الواجبات؛ قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾ [النساء: 170]، وقال الله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾ [النساء: 136]، قال القرطبي والبغوي والشوكاني والواحدي وغيرهم: "**الكتاب الذي نزل على رسوله هو القرآن**".

وقد قال الله تعالى في صفة عباده المؤمنين: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ**﴾ [القصص: 52]، وقال مادحًا لهم أيضًا: ﴿**وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**﴾ [المائدة: 83].

---

[1] - نقلا عن مقال : من حقوق القرآن الكريم – للأستاذ مروان محمد أبو بكر – موقع شبكة الألوكة الشرعية – (بتصرف وزيادات من مصادر أخر).

الحق الثاني : حق التعظيم والإجلال والحب له: لا أحد ينازع في أن الكلام يشرُف بشرف قائله، فكلما كان القائلُ عظيم القدر كانت كلماته كذلك، ولذا قيل في منثور الأدب: كلامُ الملوك ملوكُ الكلام، فإن كان هذا في حق البشر – ولله المثل الأعلى– فكيف بكلام خالق البشر؟ وإن تعظيم القرآن من تعظيم الله تعالى؛ فمن كان يرجو لله وقارًا عظم كتابه وأجلّه ومجّده، ولقد كان عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه يأخذ المصحف فيضعه في وجهه ويقبله ويبكي ويقول: (كلام ربي كلام ربي) رواه الطبراني في المعجم الكبير.

ولإيضاح وجوب تعظيمه أقول[1]: حضرتُ قبل سنوات حفل تخريج لمجموعة من الحفظة الجدد وكان من بين المتكلمين أحد الدعاة فقال في استفتاح كلمته: قد يقول لك صبي : اشتريتُ سيارة ، وقد يقول لك شاب فقير : اشتريتُ سيارة ، وقد يقول لك شاب غني : اشتريتُ سيارة ، وقد يقول لك وزير : اشتريتُ سيارة.

هؤلاء الأربعة قالوا نفس الجملة ولكن هل ما يُفهم منها معنىً واحداً أم أنه يختلف باختلاف القائل .. واضح أن الصبي يعني بقوله : اشتريت سيارة أنها سيارة ليلعب بها لا ليركبها – وقد تكون دون ريموت – بينما الشاب الفقير قد اشترى سيارة لا تسوى العشرة ألف ريال بينما الشاب الغني قد اشترى سيارة تزيد على السبعين ألف ريال وأما الوزير فسيارته لها شأن آخر...ففهمنا من هذا المثال أن الكلام على قدر المتكلم به فانظر عندما أقول لك : قال الله تعالى في كتابه العظيم.

قلت : على ضوء كلام هذا الداعية الموفق فلا يجوز لنا حمل ما قاله الوزير على ما أراده الصبي وإلا نكون قد استهزأنا به ولم نحترمه كما يجب ،، ومن هنا وجب تعظيم كلام الله تعالى وذلك لعظمته سبحانه وجلاله وكبريائه.

---

[1] - نقلا عن رسالتي : ماذا تنوي عندما تتلو آيات الذكر الحكيم ؟ - ص (12) . (منشورة في موقع صيد الفوائد).

وهكذا كان الصحابة يُجلُّون القرآن ويعظِّمونه بينهم، ثم سار الركب حتى عظَّم التابعون والصالحون مِنْ بعدهم كتابَ الله سبحانه.

لا يخفى على أحدٍ منَّا أنَّ القلب إذا أحبَّ شيئًا تعلَّق به، واشتاقَ إليه اشتِياقًا عظيمًا، وشغف به، وانقَطَع عمَّا سِواه، والقلب إذا أحبَّ القرآن تلذَّذ بقِراءته، واجتمع على فهمه ووعيه؛ فيحصل بذلك التدبُّر المكين والفهم العميق، وإذا لم يُوجَد الحبُّ فإنَّ إقبال القلب على القُرآن يكون صعبًا، وانقيادُه إليه يكون شاقًّا، لا يحصل إلاَّ بمجاهدة ومغالبة؛ ولهذا قال أبو عُبَيد رحمه الله تعالى : **(لا يسأل عبدٌ عن نفسه إلاَّ بالقرآن؛ فإن كان يحبُّ القُرآن فإنَّه يحب الله ورسوله)**[مصنف ابن أبي شيبة 10/ 485.].

إنَّ العبد إذا تعلَّق قلبُه بكتاب ربه، فتيقَّن أنَّ نجاحه ونجاته وسعادته وقوَّته في قراءته وتدبُّره، تكون هذه البداية للانطلاق في مَراقِي النجاح، وسُلَّم الفلاح في الدنيا والآخرة.

فأرجو منك أنْ تَفتَح له قلبك، ونفسك وبيتك؛ حيث أدعوك لأنْ تجعل القرآن رفيقَك في حياتك، ففيه النور والخير والبركة، فلا تنام حتى تَقرَأ وِردَك القُرآني، وتخيَّل لو استمررت على هذا المِنوال متدبِّرًا وخاشعًا وداعيًا اللهَ كلَّ يوم، كيف تصير حياتُك؟ وكيف تَصِير أسرتك؟ وكيف يَصِير بيتك؟ ألا يكثر فيه الخير ويذهب الشقاق والنِّزاع، ويحل محلهما التفاهُم والتوادُّ بين أفراد أسرتك، ويبارك الله في رزقك وصحَّتك؟ [1].

الحق الثالث : الخشوع عند تلاوته أو الاستماع إليه : إنما يخشع المرء المسلم عند تلاوة القرآن على قدر عظمة ومحبة القرآن في قلبه على النحو الذي ذكرناه سابقا ، ومن الأدلة على هذا الحق :

1/ كيف تحب القرآن وتحيا به؟ - للكاتب الدكتور. بن يحيى الطاهر ناعوس – موقع الألوكة الشرعية – بتصرف .

مدْح الله تعالى المخبتين إذا قرئ القرآن الكريم فقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: 83]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة: 15].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: 107 – 109]، وقال تعالى:﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم: 58].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن مسعود: (اقرأ علي)، قال: (أقرأ عليك وعليك أنزل"؟ قال: "إني أحب أن أسمعه من غيري" قال: "فقرأت عليه من أول سورة النساء إلى قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 41]، **فبكى)** متفق عليه.

ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت عائشة رضي الله عنها في مرضه قال: **(مروا أبا بكر فليصل بالناس)**، قالت فقلت: **(يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه)** متفق عليه.

الحق الرابع : حق تلاوته: تلاوة القرآن من الحقوق الجليلة التي أمر الله بها نبيه والأمةَ بعده؛ فقال تعالى لنبيه: ﴿ **وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**﴾ [المزمل: 4]، وأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدلنا على هذا الحق بطريقة فريدة في القرآن، إذ قال: ﴿**إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ**﴾ [النمل: 91، 92].

وقد مدح الله تعالى الذين يتلون القرآن حق التلاوة فقال: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ**﴾ [البقرة: 121]، وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أن الماهر بالقرآن في معيَّة الملائكة الكرام فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**مَثَلُ الذي يَقْرَأُ القُرْآنَ وهو حافِظٌ له، مع السَّفَرَةِ الكِرامِ البَرَرَةِ ، ومَثَلُ الذي يَقْرَأُ وهو يَتَعاهَدُهُ، وهو عليه شَدِيدٌ؛ فَلَهُ أجْرانِ**) رواه البخاري ولمسلم لفظ مقارب له.

وأي فضل أجل وأعظم من بذل الجهد في قراءة القرآن وإمتاع النظر بآياته، وقد أوضح النبي صلى الله عليه وسلم ثواب التلاوة؛ فعن عبد الله بن مسعود يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (آلم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**) رواه الترمذي.

ويومَ يقوم الناس لرب العالمين يأتي القرآنُ شفيعاً لأصحابه؛ فعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيامُ: أيْ ربِّ منعتُه الطعامَ والشهوات بالنهار فشفِّعني فيه، ويقول القرآن: منعتُه النوم بالليل فشفعني فيه قال: فيشفعان**) مسند أحمد، والمستدرك،قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وقد سبق في المبحث الأول بيان حال السف مع تلاوتهم للقرآن الكريم.

الحق الخامس : حق حفظه: وحافظ القرآن أولى بهذا الفضل المذكور في حق التلاوة؛ لأن الحفظ يشمل التلاوة، ولما في الحفظ من مشقة ولما يتميز به الحافظ من كون الوحي في صدره يقرأه متى شاء، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتَقِ ورتل كما كنت ترتل في الدنيا؛ فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها**) رواه أبو داود.

فتخيل أخي نفسك في الجنة تقرأ الآية فتعلو بها درجة، واسأل نفسك الآن كم درجة تريد أن ترتقي؟ وليكن جوابك عملاً فالدرجة في الجنة بآية من القرآن، الثمن معروف والجزاء كذلك.

تنبيه: وعلى المسلم أن يعلم أن الله تعالى لم يكلفه حفظ القرآن كاملاً، وأن الواجب عليه من ذلك ما يؤدي به صلاته، ويستشفي به إذا مرض، والصحابة لم يكن جميعهم يحفظ القرآن كاملاً، وكذلك لم يكن منهم من لا يحفظ منه شيئا.

الحق السادس : حق التدبر: قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ [القمر: 17]، **قال ابن كثير:** "أي سهلنا لفظه ويسرنا معناه لمن أراده ليتذكر الناس"، فهو كتاب سهل الله ألفاظه فهي سهلة عذبة تدعو قارئها للتأمل والتدبر والاعتبار والاتعاظ، قال تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [ص: 29].

قال الطبري رحمه الله تعالى: (يعني ليتدبر هذا القرآن من أرسلناك إليه من قومك يا محمد صلى الله عليه وسلم).

وقد جاء التوبيخ والتبكيت لمن غفل عن التدبر؛ فقال الله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: 82]، **قال الشوكاني رحمه الله تعالى:** "دلت هذه الآية على وجوب التدبر للقرآن ليعرف معناه".

وقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: 82]، **قال الشوكاني:** "المعنى: أنهم لو تدبروه حق تدبره لوجدوه مؤتلفاً غير مختلف، صحيح المعاني قوي المباني بالغاً في البلاغة إلى أعلى درجاتها (**اختلافاً كثيراً**) أي: تفاوتاً وتناقضاً.

فالله تعالى كما سهل ألفاظه للقارئين فقد سهل معناه للمتدبرين، فلا اختلاف في أحكامه، ولا تضارب في أخباره، بل يصدق بعضه بعضاً، ويوافق بعضه بعضاً.

وقد بين الله عز وجل سبب إعراض المعرضين عن تدبر كتابه الكريم فقال: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ [محمد: 24].

فسبب انصراف المنصرفين عن كتاب رب العالمين ما في قلوبهم من الأقفال، فمن وجد في نفسه انصرافاً عن تدبر القرآن، فليعلم أنه مبتلى ابتلاءً عظيماً وليستعن بفالق الإصباح ليزيل ما بقلبه من غشاوة لينعم بضياء القرآن.

ولقد حفظ ابن عمر سورة البقرة في سنين ذوات عدد، إذ كان يقف عند كل آية منها متدبرًا متفكرًا، قال مجاهد بن جبر (عرضت المصحف علي ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلي خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها) [ذكره الطبري وابن كثير] .

وقال ابن أبي مليكة: (رأيت مجاهدا سأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه، ويقول له ابن عباس: (اكتب حتى سأله عن التفسير كله)[ذكره ابن كثير].

وقد كان اهتمام السلف بالقرآن تدبراً وتفسيراً اقتداء منهم بالنبي صلي الله عليه وسلم، الذي كان لا يمر على القرآن إلا متفهماً متدبراً، وقد سمع عليه الصلاة والسلام امرأة ذات ليلة تقرأ ﴿**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ**﴾ [الغاشية: 1]، فقام يستمع ويقول: **(نعم قد جاءني)** [ذكره ابن كثير].

وقد ثبت أنه عليه الصلاة والسلام (**كان إذا مر بآية رحمة سأل، وإذا مر بآية عذاب تعوذ**) رواه أحمد وابن خزيمة.

وقد نبغ في معرفة معاني القرآن من الصحابة جماعةٌ منهم ابنُ عباس، قال الأعمش عن أبي وائل: "استخلف عليٌ رضي الله عنه عبدَ الله بن عباس رضي الله عنهما على الموسم، فخطب الناس فقرأ في خطبته سورة البقرة، وفي رواية سورة النور، ففسرها تفسيراً لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا"[ذكره ابن كثير].

الحق السابع : حق العمل: والعمل بالقرآن من أهم غايات إنزاله، والحقوق الأخرى تبع لهذا الحق، إذ لا يمكن أن يعمل بالقرآن إلا من تلاه وتدبره وعظّمه، وقد كان السلف يقرؤون القرآن قراءة من وطن نفسه على العمل به، والقيام بأوامره، والانتهاء عن نواهيه، قال ابن

مسعود رضي الله عنه: "**إذا سمعت قول الله تعالى (يا أيها الذين امنوا) فأرعها سمعك، فإنها خير يأمر به، أو شر ينهى عنه**"[ذكره ابن كثير].

ولما نزلت آية الحجاب بادر نساء الصحابة إلى الالتزام بها.

ولما قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: 90، 91]، قال عمر رضي الله عنه: "انتهينا انتهينا" رواه الترمذي والنسائي .

ولما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى حرم الخمر؛ فمن أدركته هذه الآية وعنده منها شيء فلا يشرب ولا يبع) رواه مسلم **فلبث المسلمون زماناً يجدون ريحها في طرق المدينة لكثرة ما أهرقوا منها.**

فانظر إلى سرعة استجابتهم للعمل بكتاب الله تعالى، وكذا في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام، كيف تلقوا الأمر بالقبول؟ وما كان تحويل القبلة إلا امتحانا لهم قال سبحانه: **﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾** [البقرة: 143]، فنجحوا في ذلك الامتحان، فمن حديث البراء: "كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده – أو قال أخواله – من الأنصار، وأنه صلى قِبَل بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا، وكان يعجبه أن تكون قبلتُه قِبَل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم، فخرج ممن صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: (**أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَل مكة، فداروا كما هم قِبَل البيت**) متفق عليه[1].

[1] - تنبيهات:

الحق الثامن :حق التحاكم إلى القرآن: وهو ضرب من ضروب العمل بالقرآن، وإنما خُص هنا بالذكر لأهميته ولما تواتر فيه من نصوص دالة على عظمه ومكانته؛ قال الله تعالى: ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ [المائدة: 50].

فالعجب كل العجب ممن قرأ هذا القرآن وعرَف ما فيه من صدق الأخبار وعدل الأحكام ثم يسعى لغير هذا المنهج المعصوم المحفوظ من التبديل والتحريف المنزل من اللطيف الخبير إلى غيره من المناهج التي وضعها القاصرون عن معرفة أسرار التشريع التي اختص بها الرب جل وعلا؟! فما أكثرَ ما يتناقض هؤلاء فيُحلون اليوم ما حرّموه بالأمس.

والله هو خالق الإنسان، العالم بما يصلحه وما يضره؛ قال الله تعالى: ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الملك: 14].ولما كان الله تعالى هو الخالق وحده فهو كذلك الحاكم وحده ، قال الله تعالى: ﴿**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ**﴾ [الأعراف: 54].

ولقد جاءت الشريعة جامعة لما فيه الخير، قائمة بما يحتاجه الناس في دنياهم وأخراهم، فما أحرى بالمسلم أن يجعل الشريعة إمامه وقائده، ليسعد في الدنيا وينجو في الآخرة؛ قال الله

•حق العمل يعني العمل بالأوامرواجتناب النواهي كذلك، فما عمل بالقرآن من لم يجتنب نواهيه.

•العمل بالقرآن معنى شامل، فالقرآن جاءنا بالعقيدة التي لا يصح اعتقاد غيرها، والشريعة التي لا يصح الاحتكام لسواها، فالعمل بالقرآن ينبغي أن يكون عقيدة وسلوكاً.

•حق العمل بالقرآن إنما يؤدى شيئاً فشيئاً، ويسدد المسلم فيه ويقارب، فالقرآن شامل للحياة كلها عقيدة وعبادة وأخلاقاً ومعاملات وآداباً، وقد كان النبي صلي الله عليه وسلم يعمل به في ذلك كله، قالت عنه عائشة رضي الله عنها: "كان خلقه القرآن"رواه أحمد أي يأتمر بأوامره، وينتهي عن نواهيه، ويتخلق بأخلاقه، ويتأدب بآدابه.

تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الجاثية: 18].

الحق التاسع : حق التبليغ: ومن حقوق القرآن التي دل عليها الشرع حق تبليغه للآخرين وتعليمه لهم، وإن في ذلك الأجر العظيم والخير العميم والثواب الجزيل، ويحصل ذلك لمن علم ولو شيئاً قليلاً من القرآن، والقرآن لا يقال فيه قليل، وقد حض عليه النبي صلى الله عليه وسلم على تبليغه بقوله: (**بَلِّغُوا عَنِّي ولو آيَةً**)رواه البخاري والترمذي.

قال بعض الفضلاء في شرحه : (**بَلِّغُوا**) تكليف (**عَنِّي**) تشريف (**ولو آيَةً**) تخفيف.

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قام بهذا الحق فقال: (**نضَّرَ اللَّهُ امرأً سمِعَ منَّا شيئًا فبلَّغَهُ كما سمعَ، فربَّ مبلَّغٍ أوعى من سامِعٍ**) رواه الترمذي وقد سمع من النبي صلي الله عليه وسلم ما أنزل إليه رب العز والجلال من القرآن والسنة.

وبيَّن النبي صلى الله عليه وسلم فضل معلِّم القرآن فقال: (**خَيْرُكُمْ مَن تَعَلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ**) رواه البخاري والترمذي.

فلا أحد أولى من أهل القرآن الذين تعلموه وعلموه بالخيرية، فإنَّ شرَفهم مِن شرف القرآن، ورفعتَهم بسبب ما في صدورهم من الذكر الحكيم، وهي نعمة حق لغيرهم أن يغبطهم عليها، فعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**لا حَسَدَ إلَّا في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتاهُ اللَّهُ القُرْآنَ فَهو يَتْلُوهُ آناءَ اللَّيْلِ وآناءَ النَّهارِ، ورَجُلٌ آتاهُ اللَّهُ مالًا فَهو يُنْفِقُهُ آناءَ اللَّيْلِ وآناءَ النَّهارِ**) رواه البخاري ومسلم.

الحق العاشر : حق الاستشفاء:

قال الله تعالى: ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا**﴾ [الإسراء: 82].

قال الرازي في تفسيرها : (ولفظة (**مِن**) ههنا ليست للتبعيض بل هي للجنس كقوله : (**فاجتنبوا الرجس من الأوثان**) الحج : (30) **والمعنى** : وننزل من هذا الجنس الذي هو قرآن ما هو شفاء ، فجميع القرآن شفاء للمؤمنين.

واعلم أن القرآن شفاء من الأمراض الروحانية ، وشفاء أيضا من الأمراض الجسمانية :

أما كونه شفاء من الأمراض الروحانية فظاهر ، وذلك لأن الأمراض الروحانية نوعان : **الاعتقادات الباطلة والأخلاق المذمومة :**

أما الاعتقادات الباطلة فأشدها فسادا الاعتقادات الفاسدة في الإلهيات والنبوات والمعاد والقضاء والقدر ، والقرآن كتاب مشتمل على دلائل المذهب الحق في هذه المطالب ، وإبطال المذاهب الباطلة فيها ، ولما كان أقوى الأمراض الروحانية هو الخطأ في هذه المطالب ، والقرآن مشتمل على الدلائل الكاشفة عما في هذه المذاهب الباطلة من العيوب الباطنة لا جرم كان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض الروحاني.

وأما الأخلاق المذمومة : فالقرآن مشتمل على تفصيلها وتعريف ما فيها من المفاسد والإرشاد إلى الأخلاق الفاضلة الكاملة والأعمال المحمودة.

فكان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض فثبت أن القرآن شفاء من جميع الأمراض الروحانية.

وأما كونه شفاء من الأمراض الجسمانية فلأن التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الأمراض ، ولما اعترف الجمهور من الفلاسفة وأصحاب الطلسمات بأن لقراءة الرقى المجهولة والعزائم التي لا يفهم منها شيء آثارا عظيمة في تحصيل المنافع ودفع المفاسد) انتهى كلام الرازي رحمه الله تعالى.

وقال الله تعالى: ﴿ **قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى** ﴾ [فصلت: 44]، فهذا بيان من الله ليس بعده بيان، فمن لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله، ومن لم يستغن بالقرآن فلا أغناه الله، وقد أنزل الله تعالى المعوذتين يستشفي بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر الذي أصابه، وقد كان الصحابة الكرام يستشفون بالقرآن هم وغيرهم، فعن أبي سعيد الخدري قال: نزلنا منزلا فأتتنا امرأة فقالت: إن سيد الحي سليم لدغ فهل فيكم من راق؟ فقام معها رجل منا ما كنا نظنه يحسن رقية فرقاه بفاتحة الكتاب فبرأ، فأعطوه غنمًا وسقونا لبناً، فقلنا: **(أكنت تحسن رقية؟)** فقال: **(ما رقيته إلا بفاتحة الكتاب)**، قال: فقلت: **(لا تحركوها حتى نأتي النبي صلى الله عليه وسلم)**، فأتينا النبي صلى الله عليه وسلم فذكرنا له ذلك فقال: **(ما كان يدريه أنها رقية؟ اقسموا واضربوا لي بسهم معكم)** رواه أبو داود.

قال ابن قيم الجوزية: (ولو أحسن العبد التداوي بالفاتحة لرأى لها تأثيراً عجيبًا في الشفاء، ومكثت بمكة مدة تعتريني أدواء ولا أجد طبيبًا ولا دواء فكنت أعالج نفسي بالفاتحة فأرى لها تأثيرًا عجيباً، فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألماً، وكان كثير منهم يبرأ سريعاً، ولكن ههنا أمر ينبغي التفطن له، وهو أن الأذكار والآيات والأدعية التي يستشفى بها ويرقى بها هي في نفسها نافعة شافية ولكن تستدعى قبول المحل وقوة همة الفاعل وتأثيره، فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل أو لعدم قبول المنفعل أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء، كما يكون ذلك في الأدوية والأدواء الحسية فإن عدم تأثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضائه أثره، فإن الطبيعة إذا أخذت الدواء بقبول تام كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول، وكذلك القلب إذا أخذ الرقى والتعاويذ بقبول تام وكان للراقى نفس فعالة وهمة مؤثرة في إزالة الداء) (الداء والدواء).

الفصل الخامس

هوية المسلم توثق علاقته بنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم

استفتاح : قصيدة رائعة في مدح الحبيب صلى الله عليه وسلم.

المبحث الأول : محبة الحبيب صلى الله عليه وسلم في قلب كل مسلم.

المبحث الثاني : العلامات الدالة على محبته صلى الله عليه وسلم وسلم.

استفتاح

قصيدة رائعة في مدح الحبيب صلى الله عليه وسلم

بُعِثَ الأمينُ الى الخلائِقِ نُورا ... وهُدىً أتى للعالَمينَ بَشيرا

أهلاً بهِ أملاً أضاءَ قُلوبَنا ... لولا محمدُ أظلمَتْ دَيجُورا

بالوَحْيِ جاءَ وبِالمُنيرِ مَحَجَّةً ... وفمٍ يَضُوعُ مدى الزمانِ عبيرا

بالمَكْرُماتِ مَناقباً يُصْلِحْنَنا ... وبكلِّ آياتِ الحِسابِ نذيرا

هي بِعثةٌ فيها معاجِزُ جَمَّةٌ ... سطَعَتْ بِخَيْرِ المُرسَلينَ ظُهُورا

سجدتْ جوارُحُهُ جميعا عابداً ... للهِ ربّاً خالقاً وخبيرا

مِنْ قبلِ أنْ تَرِدَ الرسالةُ دعوَةً ... للعالمين أتَتْ لتنشُرَ نُورا

هُوَ للبريّةِ ترجُمانُ مَكارِمٍ ... تَهَبُ المُصابِرَ جَنّةً وسُرورا

وُلدَ النبيُّ محمدٌ علَمُ الهدى ... فهوُ السبيلُ الى الجِنانِ مَصِيرا

وهو الحَريصُ على العبادِ رعايةً ... رُوحِي فِداهُ مُحققاً تحريرا

لم يسترِحْ طولَ الحياةِ مُجاهِداً ... رَغَمَ النّوائبَ بِغْضَةً ونُفُورا

حتى علا صوتُ المؤذِّنِ هاتِفاً ... بالمُؤمنينَ ألا اشكُرُوا تكبيرا

المبحث الأول

محبة الحبيب صلى الله عليه وسلم في قلب كل مسلم

لا يزال المسلم بخير وعلى خير إذا تعلَّق قلبه بحب نبيّه الكريم صلى الله عليه وسلم ، بل هي من علامات النُّبل والكرامة وكمال الإيمان، وليس أدل على ذلك من قول عمر رضي الله عنه: (**يا رَسولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن كُلِّ شَيْءٍ إلَّا مِن نَفْسِي، فَقالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: لَا، والَّذي نَفْسِي بيَدِهِ، حتَّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْكَ مِن نَفْسِكَ، فَقالَ له عُمَرُ: فإنَّه الآنَ، واللَّهِ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن نَفْسِي، فَقالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: (الآنَ يا عُمَرُ)** ؛ أخرجه البخاري في صحيحه.

قال ابن حجر رحمه الله :(قال الخطابي:حب الإنسان نفسه طبع وحب غيره اختيار بتوسط الأسباب، وإنما أراد عليه الصلاة والسلام حب الاختيار إذ لا سبيل إلى قلب الطباع وتغييرها عما جبلت عليه. قال ابن حجر: "قلت فعلى هذا جواب عمر أولاً كان بحسب الطبع، ثم تأمل فعرف بالاستدلال أن النبي صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه لكونه السبب في نجاته من المهلكات في الدنيا والآخرة، فأخبر عما اقتضاه الاختيار، ولذلك حصل الجواب من النبي صلى الله عليه وسلم بقوله (الآن يا عمر) أي الآن عرفت فنطقت بما يجب) اهـ [1] .

ولكن للأسف الشديد في زمننا هذا أضحى حب النبي صلى الله عليه وسلم لسانًا لا قلبًا، قولاً لا فعلاً، وانتكسَت الفِطرة فعمَّت الفِتَن، وكَثُر الخبَث، وتعلَّقت القلوب بالمُمثلين والمُمثِّلات، والمُغنين والمغنيات، والراقصين والراقصات، واللاعبين واللاعبات، وفي هذا إسناد الأمر لغَير أهلِه.

---

1 / فتح الباري – لابن حجر – (375/3) .

وقد أوجب الله عز وجل علينا محبة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأن يكون هذا الحب أكثر من حب الآباء والأبناء، والإخوة والزوجات والأموال.

وهدد الله عز وجل من يحب شيئًا من ذلك أكثر من حبه لله عز وجل، أو لرسوله صلى الله عليه وسلم أو للجهاد في سبيل الله، فقال تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ**﴾ [التوبة: 24]، ثم فسَّقهم الله عز وجل بخاتمة الآية، **فقال**: ﴿**وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [التوبة: 24].

فهذا الحب للنبي صلى الله عليه وسلم واجب على الأعيان، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: **(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)** متفق عليه.

ومن تأمل الخير الواصل إليه من جهة النبي صلى الله عليه وسلم علم أنه أحق بالمحبة والتوقير والتعظيم والاتباع من الآباء والأمهات، فإذا كان الآباء والأمهات سببًا في الحياة الفانية، فالنبي صلى الله عليه وسلم سبب في الحياة الدائمة الباقية؛ بل هو – بأبي وأمي – أحب إلينا من أنفسنا، كما قال الله عز وجل: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: 6].

ولهذا الحب الكامل للنبي صلى الله عليه وسلم علامات، فمن وجدت فيه هذه العلامات فقد كمل حبه للنبي صلى الله عليه وسلم، وليبشر بحلاوة الإيمان وصحبة النبي عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثاني

العلامات الدالة على محبته صلى الله عليه وسلم

من أهم هذه العلامات الدالة على محبته صلى الله عليه وسلم وسلم [1]:

العلامة الأولى: أن المسلم لو خُيِّر بين فقد غرض من أغراضه، أو فقد رؤية النبي صلى الله عليه وسلم أن لو كانت ممكنة، فاختار فقد غرض من أغراضه على فقد رؤية النبي صلى الله عليه وسلم فهو عند ذلك موصوف بالأحبية المذكورة، وقد توفرت هذه العلامة في الصحابة الكرام، فكانوا يحرصون على صحبة النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة.

قال أنس رضي الله عنه: "لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء، ولما لحق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى أظلم منها كل شيء، وما نفضنا الأيدي عن دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنكرنا قلوبنا" رواه الترمذي.

وأخرجه الدارمي بلفظ: (ما رأيت يوما قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم وما رأيت يوما كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم).

ولما علمت فاطمة رضي الله عنها شدة حب الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم قالت لأنس رضي الله عنه: "يا أنس، أطابت نفوسكم أن تحثوا التراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فسكت أنس رعاية لحالها، ولسان حاله يقول: ما طابت نفوسنا بذلك، ولكن قهرناها على ذلك، استجابة لأمره، صلى الله عليه وسلم.

---

1 - منتقاة من مجموعة مقالات من شبكة الألوكة.

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يا رسول الله، إنك لأحب إلي من نفسي، وإنك لأحب إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك، فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك، عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإني إذا دخلت الجنة خشيت ألا أراك"، فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: 69].

العلامة الثانية: بذل النفس والمال دون رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فمن علامات حب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من حب النفس: أن يبذل العبد نفسه وماله حتى يسلم رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

كان أبو طلحة الأنصاري يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد: نحري دون نحرك يا رسول الله، وكان يجوب عليه بترس، ووقاه طلحة بن عبيدالله أحد العشرة المبشرين بيده؛ فَشُلَّت يده.

لما أسر خبيب بن عدي، وعذب عذابًا شديدًا بمكة، قال له أحد المشركين أتحب أن محمدًا مكانك، وأنت معافى في أهلك ومالك، فقال: والله ما أحب أن أكون معافى في أهلي ومالي، ويشاك محمد صلى الله عليه وسلم بشوكة، وفي ذلك قيل:

أَسَرَتْ قُرَيْشٌ مُسْلِمًا ... فَمَضَى بِلاَ وَجَلٍ إِلَى السَّيَّافِ

سَأَلُوهُ هَلْ يُرْضِيكَ أَنَّكَ سَالِمٌ ... وَلَكَ النَّبِيُّ فِدًى مِنَ الإِتْلاَفِ

فَأَجَابَ كَلاَّ لاَ سَلِمْتُ مِنَ الرَّدَى ... وَيُصَابُ أَنْفُ مُحَمَّدٍ بِرُعَافِ

وترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دجانة بنفسه، ويقع النبل في ظهره وهو منحنٍ عليه، حتى كثر فيه النبل.وفي رواية: وهو لا يتحرك.

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد لطلب سعد بن الربيع رضي الله عنه، وقال لي: (إن رأيته فأقرئه مني السلام، وقل له: يقول لك رسول الله: كيف تجدك؟) قال: فجعلت أطوف بين القتلى، فأصبته في آخر رمق وبه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم، فقلت له: يا سعد، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليك السلام، ويقول لك: خبرني كيف تجدك؟ قال: على رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام، وعليك السلام، قل له: أجدني أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن يخلص إلى رسول اللهصلى الله عليه وسلم وفيكم شفر يطرف، قال: وفاضت نفسه رضي الله عنه) رواه الحاكم (221/3) وقال: صحيح الإسناد.

العلامة الثالثة:المسارعة إلى امتثال أوامره، واجتناب نواهيه:

لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة الكرام بالخروج إلى حمراء الأسد لتتبع جيش أبي سفيان الغد من غزوة أحد، ما قالوا: عدنا بالأمس، وفينا من الجراح والقتلى، ولكنهم استجابوا لأمر الله عز وجل وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، وإن كان شاقًّا على النفس، من حبهم لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم وسجل الله عز وجل لهم ذلك في كتابه الخالد، **فنزل قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾** [آل عمران: 172 - 174].

ومن ذلك مسارعتهم إلى إراقة الخمر بعد تحريمها: روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (فإني لقائم أسقي أبا طلحة وفلانًا وفلانًا، إذ جاء رجل فقال: وهل بلغكم

الخبر؟ فقالوا: وما ذاك؟ قال: حرمت الخمر، قالوا: أهرق هذه القلال يا أنس، قال: فما سألوا عنها، ولا راجعوها بعد خبر الرجل).

العلامة الرابعة: نصر سنته، والذب عن شريعته:

فمن ذلك إصرار أبي بكر الصديق رضي الله عنه على بعث جيش أسامة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وارتداد من ارتد من الأعراب، وقد أشار عليه بعض الصحابة بإبقائه بالمدينة فقال رضي الله عنه: (أنا أحبس جيشًا بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقد اجترأت على أمر عظيم، والذي نفسي بيده لأن تميل العرب أحب إلي من أن أحبس جيشًا بعثهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

وفي رواية عند الطبري قال: (والذي نفس أبي بكر بيده، لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته).

ومن ذلك فرح حرام بن ملحان بالشهادة، وهو يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم: روى البخاري عن أنس رضي الله عنه :(أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث خاله أخ لأم سليم في سبعين راكبًا، فانطلق حرام أخو أم سليم وهو رجل أعرج، ورجل من بني فلان، قال حرام: كونوا قريبًا حتى آتيهم، فإن آمنوني كنتم قريبًا مني، وإن قتلوني أتيتم أصحابكم، فقال: أتؤمنوني أن أبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فجعل يحدثهم فأومؤوا إلى رجل، فأتاه من خلفه فطعنه، قال همام: أحسبه حتى أنفذه بالرمح، قال: الله أكبر، فزت ورب الكعبة).ويجب على كل مسلم أن يفدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وماله وأهله وولده، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [التوبة: 120].

وقد يسأل سائل وكيف أنصره صلى الله عليه وسلم في هذا العصر وبيننا وبين وفاته أكثر من 1400 عام؟

الجواب [1]: إن الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم والقيام بنصرته يمكننا أن نقول يتلخص في عدة وسائل:

أولا: القيام بجميع ما سبق ذكره من علامات المحبة ووجوب الطاعة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتلخص ذلك في فعل الواجبات وترك المحرمات الكبائر والصغائر، والمسارعة إلى التوبة عند الوقوع في شيء من الذنوب والمعاصي.

ثانيا: المحاولة الجادة لتطبيق الخُلُقَ الكريم: الذي كان يتخلق به الحبيب صلى الله عليه وسلم وذلك مطلوب من كل مسلم سواء كان في أرض الإسلام أو يعيش بين ظهراني الكفار، لأن حسن المعاملة مع الكفار هو الذي يجب الاهتمام به في هذا الزمان: الوفاء بالوعد؛ والدقة في المواعيد والبعد عن الكذب والمراوغة في الكلام والتعامل، إذ هذا لا يليق بالإنسان لكونه إنساناً فضلاً عن المسلم.

ويدخل في هذا الباب إحسان العمل وإتقانه: قدر الاستطاعة إذ أن الحبيب صلى الله عليه وسلم حثنا على إحسان العمل وإكماله حتى في حالة ذبح البهيمة لئلا تتعذب قبل الموت، فإذا كان الإحسان مطلوب في الموت الذي هو إنهاء الحياة فيكف لا يتطلب في الحياة لأجل الإحياء (**وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**) سورة البقرة (195).

---

[1] - نقلا عن رسالة لي بعنوان : مُخْتَصَرُ الْكَلامِ فِي حُقُوقِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - ص (127) وما بعدها – منشورة في موقع صيد الفوائد.

ثالثا: الإقبال على دراسة السيرة النبوية وفقهها:

ونشر ذلك في المساجد والبيوت وعيرها من الأماكن، إذ في ذلك إحياء للقلوب ونصرة لحبيبها صلى الله عليه وسلم ، ولا يكفي نشر سيرته بين المسلمين بلغاتهم فقط بل لا بد من ترجمة السيرة لأهل الأرض قاطبة بجميع اللغات التي يتكلمون بها، لكي يقفوا على حقيقة النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ من المعلوم أن الكفرة لديهم صورة قاتمة في أذهانهم عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا بد من تغيير هذه الصورة وهذا يحتاج إلى تضافر الجهود ويحتاج إلى تضحية بالمال والوقت وخصوصاً ممن يعيشون في أوربا وأمريكا واستراليا وغيرها.

ثم إن هذا النشر للسيرة ليس شرطا أن يكون عبر الكتب والمجلات فحسب: بل لا بد من نشره على مواقع "الانترنت" بشتى اللغات ويشترك فيمن يكتبون السيرة أن يكونوا فاهمين لها عالمين بها حتى لا تقع أخطاء فتضيع الجهود سدى لمجرد خطأ غير مقصود من إنسان صالح النية ولكنه فاسد التصرف.

رابعا: من نصرة النبي صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه:

الرد على الشبهات التي تظهر بين الحين والآخر، ومن تلك الشبهات: ما يقوله بعض الحاقدين على الإسلام: أن الإسلام انتشر بالسيف وأن محمداً صلى الله عليه وسلم كان مزواجاً وحاشاه، ومن ذلك طعنهم في تعدد الزوجات وميراث المرأة وشهادتها أمام القضاء وغيرها، ولا يكفي ما كتب سابقا في الرد على هذه الشبهات بل لا بد من كتابة جديدة وبأسلوب جديد، لأن العصر قد تغير والمفاهيم قد تبدلت، فما كان يقنع القارئ قبل خمسين سنة فقد لا يقتنع به القارئ في هذه السنوات إذ كل كاتب يخاطب أهل عصره.

خامساً: من نصرته صلى الله عليه وسلم ن يقوي المسلمون أنفسهم اقتصاديا وعسكريا:

وقبل هذا وذاك تقوية الإيمان وإقامة شرع الرحمن حتى نصبح أمة مهابة لا يجرؤ أحد على النيل من نبيها صلى الله عليه وسلم ولا من أي شيء من مقدساتها، ولعلنا للوصول إلى هذه الوسيلة من وسائل نصرة الحبيب صلى الله عليه وسلم نحتاج إلى جهود كبيرة وأوقات طويلة بل قد تفني أجيال وأجيال حتى نصل إلى هذا الهدف الذي هو من أسمى أهداف الأمة الإسلامية.

سادسا: ولو سائل الإعلام دور كبير في نصرة البشير النذير المصطفى صلى الله عليه وسلم :

أن على يقين أن وسائل الإعلام المختلفة في غاياتها والمنتشرة في العالم الإسلامي لها دور كبير بل يقع على عاتقها واجب ألا وهو :**تبصير الناس بعلو قدر النبي صلى الله عليه وسلم وبتعريفهم بسيرته وأخلاقه وشمائله وخصائصه ومعجزاته ومواقفه ونشر أحاديثه التي ترشد الناس إلى ما ينفعهم في دينهم ودينهم وأخراهم. ما لو قامت به لسهلت وتيسرت غالبية الوسائل السابقة في نصرت الحبيب صلى الله عليه وسلم**، وذلك لأن وسائل الإعلام لها تأثير كبير في توجيه الناس وصياغة أفكارهم إما إلى الخير وإما إلى الشر، فلو أحسن القائمون عليها عرض كل ما يتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم مما أشرت إليه لكان حال المسلمين غير ما ترى .

وأنا على قناعة بأن وسائل الإعلام إذا اتجهت لإظهار تاريخ الأمة وخاصة فيما يتعلق بالسيرة النبوية العطرة وسير أصحابه والتابعين لهم بإحسان فإن آمال وتطلعات الأمة عامة وشبابها خاصة سوف تتغير تغيراً كبيراً إلى أحسن وإلى أداء رسالتهم في الحياة.

ولست أعني هنا الشاشة الصغيرة فحسب بل أعني الصحف والمجلات وغيرها؟ ونظرة سريعة إلى ما يعرض من خلالها يعلم المسلم أن نسبة التوجه فيها الإسلامي قد لا يصل 10% مما هو في نفس الإسلام ويتحمل الإعلاميون جانبا كبيرا من وزر ضياع شباب الأمة ذكوراً وإناثاً، فماذا هم قائلون لله تعالى حين يسألهم ما ذا أجبتم المرسلين.

سابعاً: وللمدرسين والأساتذة الجامعيين والمؤسسات التعليمية دور كبير في نصرة الحبيب صلى الله عليه وسلم ، لو قاموا به لفتحوا أبواباً من الخيرات أمام الشباب، ألا وهو: إقامة شعائر الإسلام كالصلاة وحسن الأدب والأخلاق في حرم المدارس والجامعات، وعدم التهاون مع كل طالب أو طالبة يتساهل في أمر دينه وبخاصة الصلاة والأدب مع أساتذته ومن هم أكبر منه سنا بل لا بد من العقوبة الصارمة، إن في ذلك نصرة عظيمة لشرع الله، لأن المشاهد وللأسف حتى أكثر الجامعات والمدارس عدم الاكتراث بالصلوات الخمس، قد تجد من يتعمد جعل محاضرته أو حصته في وقت الصلوات ليضيع على الطلبة صلواتهم، أليس هذا النوع ممن يحارب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم مع ذلك يزعم أنه مسلم.

تنبيه : وهناك مؤسسات فاعلة في الشباب كالأندية والمجلات والملاحق الرياضية يجب عليها أن تقوم بما أشرت إليه في دور المؤسسات التعليمية من الحرص على شعائر الإسلام وآدابه.والله أعلم.

الفصل السادس

تعلق المسلم ببيوت الله تعالى دليل على هويته الإسلامية

استفتاح : قصة رائعة في محبة المسجد والتعلق به.

المبحث الأول : الصلاة في المسجد نعمة الله تعالى وتوفيق.

المبحث الثاني : صفات الْمُعَلَّقَة قلوبُهُم ببيوت الله تعالى.

استفتاح

قصة رائعة في محبة المسجد والتعلق به

استفتح بهذه القصة إنها ممتعة جداً جداً.... يقول أحدهم: ركبنا أنا وخالي سيارتنا، وأخذنا طريق العودة بعد أن صلينا الجمعة في مكة، وبعد قليل ظهر لنا مسجد مهجور كنا قد مررنا به سابقا أثناء قدومنا إلى مكة، وكل من يمر بالخط السريع يستطيع أن يراه، مررت بجانب المسجد وأمعنت النظر فيه ... ولفت انتباهي شئ ما سيارة فورد زرقاء اللون تقف بجانبه، مرت ثواني وأنا أفكر ما الذي أوقف هذه السيارة هنا؟ ثم اتخذت قراري سريعا، خففت السرعة ودخلت على الخط الترابي ناحية المسجد وسط ذهول خالي وهو يسألني: ما الأمر؟ ماذا حدث؟

أوقفنا السيارة في الأسفل ودخلنا المسجد، وإذا بصوت عالي يرتل القرآن باكيا، ويقرأ من سورة الرحمن فخطر لي أن ننتظر في الخارج وأن نستمع لهذه القراءة، لكن الفضول قد بلغ بي مبلغه لأرى ماذا يحدث داخل هذا المسجد المهدوم ثلثه، والذي حتى الطير لا تمر به.

دخلنا المسجد وإذا بشاب وضع سجادة صلاة على الأرض وفي يده مصحف صغير يقرأ فيه، ولم يكن هناك أحدا غيره، وأؤكد لم يكن هناك أحدا غيره. قلت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فنظر إلينا وكأننا افزعناه ومستغربا حضورنا، ثم قال: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

سألته: صليت العصر؟ قال لا. قلت: لقد دخل وقت صلاة العصر ونريد أن نصلي. ولما هممت بإقامة الصلاة، وجدت الشاب ينظر ناحية القبلة ويبتسم لمن ولماذا؟ لا أدري.

وفجأة سمعت الشاب يقول جملة أفقدتني صوابي تماما، قال بالحرف الواحد: أبشر، وصلاة جماعه أيضا. نظر إلي خالي متعجبا، فتجاهلت ذلك ثم كبرت للصلاة وعقلي مشغول بهذه

الجملة: (**أبشر، وصلاة جماعه أيضا!**) من يكلم وليس معنا أحد؟ المسجد كان فارغا مهجورا، هل هو مجنون؟

بعد الصلاة أدرت وجهي لهم، ونظرت للشاب وكان ما زال مستغرقا في التسبيح، ثم سألته كيف حالك يا أخي؟ فقال بخير ولله الحمد. قلت له: سامحك الله، شغلتني عن الصلاة؟ سألني لماذا؟

قلت: وأنا أقيم الصلاة سمعتك تقول: (**أبشر، وصلاة جماعه أيضا!**). ضحك ورد قائلا: وماذا في ذلك؟ قلت: لا شيء ولكن مع من كنت تتكلم؟

ابتسم ثم نظر للأرض وسكت لحظات وكأنه يفكر: هل يخبرني أم لا؟

تابعت قائلا: ما أعتقد أنك بمجنون، شكلك هادئ جدا، وصليت معنا وما شاء الله. نظر إلي، ثم قال: كنت أكلم المسجد. كلماته نزلت علي كالقنبلة جعلتني أفكر فعلا: هل هذا الشخص مجنون!

قلت له: نعم، كنت تكلم المسجد! وهل رد عليك المسجد؟ تبسم ثم قال: ألم أقل لك: إنك ستتهمني بالجنون؟ وهل الحجارة تتكلم؟ هذه مجرد حجارة ؟

تبسمت وقلت كلامك صحيح وطالما أنها لا ترد ولا تتكلم، لم تكلمها؟

نظر إلى الأرض فترة وكأنه ما زال يفكر، ثم قال دون أن يرفع عينيه : أنا إنسان أحب المساجد كلما عثرت على مسجد قديم أو مهدم أو مهجور أفكر فيه أفكر عندما كان الناس يصلون فيه وأقول لنفسي: يا الله كم هذا المسجد مشتاق لأن يصلي فيه أحد؟ كم يحن لذكر الله أحس به أحس إنه مشتاق للتسبيح والتهليل، يتمنى لو آية واحدة تهز جدرانه، وأحس أن المسجد يشعر أنه غريب بين المساجد، يتمنى ركعة، سجدة ولو عابر سبيل يقول: الله أكبر. فأقول لنفسي: والله لأطفئن شوقك، والله لأعيدن لك بعض أيامك أدخل فيه، وأصلي

ركعتين لله ثم اقرأ فيه جزءًا كاملا من القرآن الكريم. لا تقل: إن هذه فعل غريب، لكني والله أحب المساجد.

دمعت عيناي، نظرت في الأرض مثله لكي لا يلحظ دموعي من كلامه من إحساسه، من أسلوبه، من فعله العجيب، من رجل تعلق قلبه بالمساجد ولم أدري ما أقول له واكتفيت بكلمة جزاك الله كل خير، سلمت عليه وقلت له لا تنساني من صالح دعائك ثم كانت المفاجاة المذهلة وأنا أهم بالخروج من المسجد قال وعينه مازالت في الأرض أتدري بماذا أدعو دائما وأنا أغادر هذه المساجد المهجورة بعد أن أصلي فيها؟

نظرت إليه مذهولا إلا أنه تابع قائلا: اللهم يا رب، اللهم إن كنت تعلم أني آنست وحشة هذا المسجد بذكرك العظيم، وقرآنك الكريم لوجهك يا رحيم. فآنس وحشة أبي في قبره وأنت أرحم الراحمين. حينها شعرت بالقشعريرة تجتاح جسدي وبكيت وبكيت كطفل صغي[1].

[1] - من كتاب في بطن الحوت - للدكتور محمد العريفي – بتصرف.

المبحث الأول

الصلاة في المسجد نعمة الله تعالى وتوفيق

من أعظم النعم التي أنعم الله بها علينا أن نحافظ على الصلاة، فالصلاة معراج المؤمن، وهي الصلة بين العبد وربه، فهل حار من كان متصلاً بمولاه؟! وهل ضل من اهتدى بمخاطبة ربه؟! وهل شقي من كان قصده الحق جل شأنه لا يسأل أحداً سواه؟!

من هنا خصنا الحق تبارك وتعالى بالظل في رحمته وفي ظله يوم القيامة بالمحافظة والتعلق بالصلاة، وجعلنا ثالث سبعة يظلهم الله عز وجل بظله يوم لا ظل إلا ظله: (رَجُلٌ قَلْبُه مُعَلَّقٌ بالمساجد) متفق عليه.

وهذه عمارة المساجد حقًا, كما قال تعالى: (**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنْ الْمُهْتَدِينَ**) [التوبة: 18]، وقال عز من قائل: (**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمْ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**) [النور: 36-38].

فمن أراد أن يُشْرِق قلبه بنور الله، فعليه أن يتصف بصفات هؤلاء الرجال، التي منها عمارة المساجد، وليس المقصود بتلك العمارة أداء الصلوات فيها فقط، ولكن لا بد كذلك من تعلُّق قلبه بها، كما في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، (رَجُلٌ قَلْبُه مُعَلَّقٌ بالمساجد).

قال النووي في شرحه: معناه شديد الحب لها، والملازمة للجماعة فيها، وليس معناه دوام القعود في المسجد، وقال ابن حجر في الفتح: ظاهره أنه من التعليق كأنه شُبِّه بالشيء

المعلق في المسجد، كالقنديل مثلاً؛ إشارة إلى طول الملازمة بقلبه، وإن كان جسده خارجًا عنه، ويدل عليه رواية الجوزقي: كأنما قلبه في المسجد.

ويُحتمَل أن يكون من العَلاقة، وهي شدة الحب، ويدل عليه رواية أحمد (**رَجُلٌ قَلْبُه مُعَلَّقٌ**) وكذا رواية سلمان (**مِنْ حُبِّها**)، وزاد مالك: (**إذا خرج منه حتى يعود إليه**)، وهذه الخَصلة هي المقصودة من هذا الحديث[1].

جاء في فيض القدير للمناوي: قلبه معلق بالمساجد من شدة حبه إياها، لَمَّا آثر طاعة الله وغلب عليه حبُّه، صار قلبه ملتفتًا إلى المسجد، لا يُحِب البَرَاح عنه؛ لِمَا وجد فيه من رَوْح القُربة، وحلاوة الخدمة، فآوى إلى الله مؤثِرًا فأظله[2].

قال المباركفوري في التحفة: لأن المؤمن في المسجد كالسمك في الماء، والمنافق في المسجد كالطير في القفص، فإن القلوب كثيرةُ التقلبات والتحولات، فلِلْقَلبِ من اسمِه حظٌّ ونصيب، ونستطيع أن نُشَبِّهها بالإناء، فيمكن أن يُغرَف به ماءٌ عذبٌ، ويمكن أن يُغرَف به ماءٌ أُجَاجٌ، وهكذا القلب، يمكن أن يتقبل الخير، ويمكن أن يتقبل الشر، ويمكن أن يتقبل الخير والشر، وهو إلى ما غلب أقرب، ولذلك فقد جاء الثناء والمدح لأصحاب القلوب الخيرة – نسأل الله أن يجعلنا منهم – فقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن من سبعة الأصناف الذين يمتَنُّ الله عليهم بالإظلال تحت ظل عرشه يومَ لا ظل إلا ظله؛ (**ورجل قلبه معلَّقٌ في المساجد**).

وقد روي عن سعيد بن المسيب رحمه الله أنه قال: (من جلس في المسجد؛ فإنما يُجَالِس ربه عز وجل).

---

[1] - فتح الباري – لابن حجر- (145/2).

[2] - فيض القدير – (4- 89).

فبالله عليك، هل من يجالس ربه في بيته، بالذكر، وتدبُّرِ القرآن، وتعلُّمِ العلم وتعليمه، كمن يجلس أمام تفاهات التمثيل، وسفاسف اللهو واللعب، وخُزَعْبِلات الصحف والمجلات؟.!

رجل تعلق قلبه بالمساجد، كلما نودي للصلاة فيها سارع إليها وإليه بشوقٍ وشديدِ رغبة؛ لينال القلب ارتياحه الذي لا يتهيأ بمتاع الدنيا وإنْ عَظُم، فسبيله في ذلك سبيل من كان يأمر بلالاً رضي الله عنه: **(أَرِحنا بها يا بلال)** صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وإذا قُضِيَت الصلاة ظلَّ القلب معلَّقًا بالمسجد، وإن خرج منه الجسد، حتى يعود إليه مرة أخرى.

المبحث الثاني

صفات الْمُعَلَّقَة قلوبُهُم ببيوت الله تعالى

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله، في وصف الرجل المعلَّق قلبُه بالمساجد: فهو يحب المسجد ويألفه لعبادة الله فيه، فإذا خرج منه تعلَّق قلبه به حتى يرجع إليه، وهذا إنما يحصل لمن ملك نفسه، وقادها إلى طاعة الله، فانقادت له؛ فإن الهوى إنما يدعو إلى محبة مَواضِع الهوى، واللعب المباح أو المحظور، ومواضع التجارة واكتساب الأموال، فلا يَقْصُر نفسه على محبة بقاع العبادة إلا من خالف هواه، وقدَّم عليه محبةَ مولاه، فهو ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿**رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ** ﴾ [النور: 37]، وقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (**لا يُوَطِّنُ الرجلُ المساجدَ للصلاة والذكر إلا تَبَشْبَشَ اللهُ به مِنْ حِينِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ كما يتبشبش أَهْلُ الغائب بغائبهم إذا قَدِم عَلَيْهِمْ**).

وما كان هذا التعلُّق أن يأتِيَ من فراغ، ولكنه ثمرة التعلق بالله سبحانه وتعالى، محبةً وإنابةً ورغبة ورهبة وخوفًا ورجاءً وإخلاصًا وتوكُّلاً وذلاً وتعبُّدًا، فالتعلق بالله عز وجل وحده هو الغاية العظمى والنجاة الحقة.

وإليك الآن بعض فات هءلاء الرجال الصالحين:

1 –حب صلاة الجماعة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**صلاة الرجل في الجماعة تضعُف على صلاته في بيته وفي سوقه خَمْسًا وعشرين درجة، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة، لم يَخْطُ خطوة إلا رُفِعَت له بها درجة، وحُطَّ عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه، ما دام في مصلاه: اللهم صلِّ عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة**) رواه البخاري ومسلم.

وعن سعيد بن المسيب، قال: **(من حافظ على الصلوات الخمس في جماعة فقد ملأ البَرَّ والبحر عبادة)**.وعنه أنه قال: **(ما فاتتني الصلاة في الجماعة منذ أربعين سنة)**.

2 –كثرة الخطى إلى المساجد: عن عثمان رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(من توضأ فأسبغ الوضوء، ثم مشى إلى صلاة مكتوبة، فصلاها مع الإمام، غُفِر له ذنبه)** رواه ابن خزيمة، وصححه الألباني.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا)** قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **(إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرِّبَاط)** كررها ثلاث مرات؛ أخرجه مسلم.**وقوله: (فذلكم الرباط)** أي: المرابطة في سبيل الله؛ أي: كأنك تحمي منطقة أو ثغرًا من ثغور حدود المسلمين ؛ وهذا من عظيم نِعَم الله وفضله علينا، فالجالس في المسجد في انتظار الصلاة، كالقائم على الثغور في المناطق التي يقاتل فيها المسلمون!

وليس هذا بعجيب؛ لأن الذي يُرابط في سبيل الله يمكث مُرابطًا مدة محدودة، أما المحافظ على الصلاة دائمًا فكالمرابط عليها طوال العام! إنه يمنع نفسه من الشهوات خمس مرات في اليوم والليلة، ويذهب ليرابط في سبيل الله تعالى.

3 –الصلاة لوقتها: عن ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(أَحَبُّ الأعمال إلى الله الصلاةُ لوقتها، ثم بِرُّ الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله)**؛ حديث صحيح.

4 –الحرص على الصف الأول وتكبيرة الإحرام: عن أنس مرفوعًا: **(من صلَّى للهِ أربعين يومًا في جماعةٍ، يدركُ التَّكبيرةَ الأولى كُتِبَ له براءتانِ : براءةٌ من النارِ، وبراءةٌ من النِّفاقِ)** أخرجه الترمذي واللفظ له، وأحمد.

5 –انتظار الصلاة بعد الصلاة: عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**المسجد بيت كل تقي، وتكفَّلَ الله لمن كان المسجدُ بيتَهُ بالرَّوح والرحمة، والجواز على الصراط إلى رضوان الله، إلى الجنة**)؛ رواه الطبراني والبزار، وصحَّحه الألباني.وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**من غدا إلى مسجدٍ لا يريدُ إلا أن يتعلَّمَ خيرًا أو يُعلِّمَه، كان له كأجرِ حاجٍّ، تامًّا حجَّتُه**)؛ قال الألباني في صحيح الترغيب:. حسن صحيح.

6 –عمارة المساجد والإنفاق عليها: عمارة المساجد من علامات الإيمان بالله والخشية، قال الله تعالى : ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾ [التوبة: 18].

والعمارة في الآية هنا: المراد بها إقامة البناء وتشييده، يؤكد ذلك حديث الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**من بنى مسجدًا يبتغي به وجه الله بَنَى الله له مثلَهُ في الجنة**).

لقد سطر لنا التاريخ مآثر أقوام، كان لهم مع المساجد شأن، وأيُّ شأن! فهل سمعتم بالمسمَّى بحمامة المسجد؟

وهل أتاكم نبأ الربيع بن خُثَيْم الذي يقول: إني لآنَسُ بصوت عصفور المسجد أشدَّ من أُنْسِي بزوجتي! وهل سمعتم بمن يقول: إذا أذَّن المؤذن فإن لم تجدوني في المسجد فاطلبوني في المقبرة.

هل سمعتم بمن مكث أربعين سنة، لا يؤذِّنُ المؤذن لصلاة إلا وهو في المسجد؟ وكم من أقوام في القديم والحديث قُبِضَت أرواحهم، وهم في المساجد!

وكم في المساجد من هم في أشد أحوال المرض، وهم معذورون.

لقد حدَّثَ من رأى أحد كبار السن في إحدى القرى، وهو ضرير ولا يجد من يقوده، يخرج من بيته، ويضع يده على طرف حَبْل يوصله إلى المسجد، ولما سُئِلَ عنه أَخْبَرَ بأنه ربط الحبل بين باب بيته والمسجد؛ ليصل إليه ويعود، ولا تفوته صلاة!

الفصل السابع

هوية المسلم توثق علاقته بإخوته المؤمنين

المبحث الأول : الأخوة بين المؤمنين عقيدة ومحبة.

المبحث الثاني : مواثيق المحبة والأخوة بين المؤمنين.

المبحث الثالث : الأخوة الإيمانية : فضائل وحقوق.

المبحث الأول

الأخوة بين المؤمنين عقيدة ومحبة [1]

رابطة الأخوة الإسلامية من أعظم أركان الهوية الإسلامية قال تعالى: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء:92] **تربط هذه العقيدة الإسلامية** -التي هي الركن الأعظم في الهوية الإسلامية- **المسلم بأخيه، حتى يصير المسلم وأخوه كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، فربط الإسلام لك بأخيك كربط يدك بمعصمك، ورجلك بساقك، كما قال صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وتَرَاحُمِهِمْ، وتَعاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَدَاعَى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمَّى)** أخرجه البخاري ومسلم.

ومن الأشياء البديعة أن القرآن الكريم يطلق النَّفْسَ ويريد بها أخاك في الإسلام وفي الهوية الإسلامية؛ تنبيهاً على أن رابطة الإسلام تجعل أخا المسلم كنفسه، **كما قال تعالى: (وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ)** [البقرة:84].

والمقصود: لا تخرجون إخوانكم في العقيدة وفي الهوية الإسلامية من دياركم، فأطلق على الإخوان الأنفس، مما يدل على قوة الاندماج والذوبان في الهوية الإسلامية.

وقال تعالى: (لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا) [النور:12]، **والمقصود:** ظنوا بإخوانهم خيراً، فعبر عن الإخوان بالأنفس، **وقال تعالى: (وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ)** [الحجرات:11] أي: لا تلمزوا إخوانكم على أصح التفسيرين.

---

[1] - ما ورد في هذا الفصل ملخص من عدد من المقالات : المقال الأول :الهوية الإسلامية[1] للشيخ : محمد إسماعيل المقدم – محاضرات مفرغة - الشبكة الإسلامية ؛ والمقال الثاني : الأخوة الإيمانية: فضائلها وعلاماتها (خطبة) -د. محمود بن أحمد الدوسري والمقال الثالث : الأخوة الإيمانية: مواثيقها وحقوقها - الشيخ عبدالله بن صالح القصيّر – شبكة الألوكة الشرعية .

إذاً: العقيدة –كما قلنا– هي المادة اللاصقة التي تربط لبنات المجتمع الإسلامي، وإذا وجدت فإنها تتلاشى معها جميع الروابط النسبية والعصبية، حيث لا يمكن أن تقع، كما قال تعالى: (لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) [المجادلة:22]**، إذ لا رابطة نسبية أقرب من رابطة الآباء والأبناء والإخوان والعشائر، ومع ذلك فالإيمان هو الفيصل في هذه القضية، يقول تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)** [التوبة:71]**، ويقول تعالى: فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا)** [آل عمران:103].

هذه الرابطة التي تجمع المختلف وتؤلّف المختلف هي رابطة لا إله إلا الله، هذه الرابطة تجعل المجتمع الإسلامي كله كأنه جسد واحد كالبنيان يشد بعضه بعضاً.

ولم تربط فقط بين أهل الأرض من المؤمنين، وإنما أيضاً ربطت بين حملة العرش ومن حول العرش من الملائكة وبين بني آدم المؤمنين في الأرض، مع ما بينهم من الاختلاف؛ فإن هؤلاء ملائكة وهؤلاء بشر من بني آدم، وهم مختلفون في الخلق والتكوين، لكن مع ذلك فإن الانتماء للهوية الإسلامية يربطك ليس فقط بالمؤمنين على وجه الأرض، وإنما يربطك بكل هذا الكون المؤمن، وتشعر بالولاء له، لا كما يفترض الغربيون الجهلة بالله وبسننه عز وجل، حيث يجعلون الإنسان دائماً في حالة صراع مع الطبيعة.

كذلك إذا أحب الله عبداً في السماء، نادى جبريل: إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في ملائكة كل سماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وهذا مظهر من مظاهر هذا التوحد مع الكائنات من حولنا. يقول تبارك وتعالى: **(الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ)** [غافر:7].

انظر إلى كلمة: (**وَيُؤْمِنُونَ بِهِ**) **هي المادة اللاصقة**، (**وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا**) وهذا هو الرابط في العقيدة والهوية الإسلامية، (**رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ**) [غافر:7].

وتأمل قول الله سبحانه وتعالى في أبي لهب عم النبي صلى الله عليه وسلم: (سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ) [المسد:3]، **وقابل ذلك بمكانة سلمان الفارسي ، وبلال الحبشي رضي الله عنهما ، فما خوطبوا أبداً على أساس أن هويتهم أن هذا عربي، وهذا فارسي، وهذا حبشي، كلا! وإنما كلهم متساوون كأسنان المشط أمام هذه العقيدة وهذا التوحيد.**

يقول الشاعر:

لَقد رفعَ الإسلامُ سلمانَ فارسٍ وقد وضعَ الكفرُ الشريفَ أبا لهبِ

عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم انظر ما آل إليه، وقد أجمع العلماء على أن الرجل إذا مات وليس له من الأقرباء إلا ابن واحد كافر فتركته وميراثه يئول إلى إخوانه المسلمين بأخوة الإسلام؛ لأن هذه هي القرابة الحقيقية، ولا يكون الإرث لولده لصلبه الذي هو كافر، مع أن الميراث دليل القرابة، فدل ذلك على أن الأخوة الدينية أقرب من البنوة النسبية.

ويقول صلى الله عليه وسلم: (المسلِمونَ تتَكافأُ دماؤُهُم. ويَسعى بذمَّتِهم أدناهم، ويردُّ عليْهم أقصاهم، وَهم يدٌ على من سِواهم) أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد.

فوصفهم بصفة الإسلام، وما قال: المصريون، وما قال: الشاميون، وما قال: اليمانيون، وإنما قال: المسلمون.وهكذا كل خطاب في القرآن (يا أيها الذين آمنوا) لم يخاطب قوماً غير أهل الهوية الإسلامية.

واعتبر أيضاً هذا المعنى بقول الله تبارك وتعالى مخاطباً نوحاً عليه السلام في شأن ابنه الكافر حيث قال: (**قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ**) [هود:46] **وفي قراءة:**

(**أنه عَمِلَ غير صالح**) وهو ابنه من صلبه، ولكن الميزان عند الله سبحانه وتعالى في ضوء الهوية الإسلامية ومدار الأهلية هو القرابة الدينية، ولذا قال سبحانه: (**قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ**) **لماذا؟** (**إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ**) لم يكن معك على عقيدة التوحيد، ولم يكن مندمجاً في الهوية الإسلامية كما قال أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه: (**ألا وإن ولي محمد صلى الله عليه وسلم من أطاع الله وإن بعدت لحمته، ألا وإن عدو محمد من عصى الله وإن قربت لحمته**).

واعتبر ذلك أيضاً بقصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه الكافرين، وتأمل قوله عز وجل: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ) [الممتحنة:4].

المبحث الثاني

مواثيق الأخوة بين المؤمنين

يقول الشيخ عبدالله بن صالح القصيّر :

فقد أحكم الله تبارك وتعالى بفضله الرابطة الدينية والأخوة الإيمانية بين المؤمنين برباط وثيق، بل بعدة مواثيق تجعلهم أمة واحدة بالإيمان والتقوى، وبنيانًا قويًّا واحدًا متشابكًا متماسكًا يشد بعضه بعضًا، وجسدًا واحدًا إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

وإليك بيان هذه المواثيق:

الميثاق الأول: أنهم عباد الله، الإلهِ الحق، الذي لا خالق غيره، ولا رب ولا معبود بحق سواه، وقد رضوا به ربًّا وتعبدوا له بما شرع تقرُّبًا وحبًّا، وقد خاطبهم بقوله: ﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾ **[الأنبياء: 92]**.

فمن طاعته وتحقيق عبادته بما يرضيه التحاب والتواد فيه، وترك التقاطع والتشاجر والتهاجر الذي يغضبه ويؤذيه.

الميثاق الثاني: وهم أيضًا أمة القرآن الذي أرسى قاعدة الأخوة الإيمانية بين المؤمنين بقوله:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: 10].

ويثني عليهم بما هم عليه من التذلل لبعضهم، والتراحم فيما بينهم، فهم أحبة متراحمون فيما بينهم، أعزة أشداء على أعدائهم: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: 54] .

وقال تعالى : ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29] **فمتى ما نقص التذلل والتراحم فيما بينهم دلّ على نقص دينهم، وتركهم العمل ببعض كتاب ربهم.**

الميثاق الثالث: وهم كذلك أمة الإسلام الذي شرعه الله لهم، فأكمله، وأتم به النعمة عليهم، ورضيه لهم دينًا، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : (قالوا يا رَسولَ اللَّهِ، أيُّ الإسْلَامِ أفْضَلُ؟ قالَ: (مَن سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِن لِسَانِهِ، ويَدِهِ ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم) رواه البخاري ومسلم.

ومن كمال الإيمان والتلذذ بحلاوته أن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، فإذا نقص حبه لأخيه في الدين – من غير مسوغ شرعي – دلّ ذلك على نقص إيمانه؛ لتقصيره في حق إخوانه.

الميثاق الرابع: وهم أتباع لنبي واحد هو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وأشرف المرسلين الذي أرشدهم بقوله: **(وكونوا عباد الله إخوانًا)**، وقوله: **(المسلمُ أخو المسلمِ لا يَظْلِمُه، ولا يَخْذُلُه، ولا يَحْقِرُه، بحَسْبِ امرِئٍ مِن الشرِّ أن يَحْقِرَ أخاه المسلمَ)** رواه مسلم، وإخباره صلى الله عليه وسلم أنَّ **(أوثقُ عُرى الإيمانِ الحبُّ في اللهِ والبغضُ فيه)** رواه أحمد وغيره، وأنه تنال به ولاية الله تعالى.

الميثاق الخامس: وهم أرحام يرجعون إلى أصل واحد، فالتواد بينهم والتعاطف والتواصل من صلة الرحم التي يصل الله تعالى ببره وإحسانه من وصلها، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾** [النساء: 1].

فصلة الرحم من قوة الدين، وقطيعتها من ضعف الدين، فالتقي وَصُول كريم عند الله، والشقي قَطُوع هين على الله، ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: 13].

فكل هذه الروابط والمواثيق القوية المحكمة تقتضي من أهلها أن يتحابوا، ويتوادوا، ويتناصروا، ويتزاوروا، ويتباذلوا في الله، وأن يتعاونوا على فعل الطاعات، وترك المخالفات، وأداء الحقوق الواجبات، والإحسان في سائر الأوقات، وأن يتواصوا بالحق ويتواصوا بالصبر وبالمرحمة؛ رغبةً إلى الله تعالى، ورجاءً له، ورهبةً منه وخوفًا، وسعيًا في تحقيق مراضيه، وفرارًا مما يغضبه ويؤذيه، **يقول تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: 57].**

المبحث الثالث

الأخوة الإيمانية فضائل وحقوق

أولاً : فضائل الأُخوة الإيمانية : من أهمها:

1/ تذوُّق حلاوة الإيمان؛ لقول النبيّ صلى الله عليه وسلم: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ»، وذَكَرَ منها: «أَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ» رواه البخاري.

2/ الأُخوة الإيمانية تُؤدِّي إلى مَحبَّةِ الله للمُجتمع المسلم؛ ففي الحديث القدسي الذي يرويه النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن ربِّه: «يقول اللهُ تعالى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ» صحيح – رواه أحمد. **ومفهوم المخالفة في الحديث: أنَّ العداوة والتناحر والتباغض بين أفراد المجتمع يَستجلب سَخَطَ اللهِ عليهم جميعًا.**

3/ الأُخوة الإيمانية سبيلٌ إلى ظِلِّ عرش الرحمن سبحانه وتعالى، يوم لا ظِلَّ إلاَّ ظله، حيث يكون العبد أحوج ما يكون إلى بادرة أمان؛ فقد قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ»، وذَكَرَ منهم: «وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ» رواه البخاري ومسلم.

4/ الأُخوة الإيمانية سبيل إلى التَّلذُّذِ بالعبادة، والخشوعِ فيها؛ بأن يحضر المسلمُ الصلاةَ وليس في قلبه غِلٌّ، أو حقد، أو حسد، على أحدٍ من إخوانه المسلمين؛ لأنَّ مَن امتلأ قلبه بهذه الأمراض كيف يتلذَّذ بعبادة، ويخشع قلبه؟! ولهذا امتن الله تعالى على المؤمنين بأنْ ألَّفَ بين قلوبهم، فقال سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: 103].

وقد أوجب الله تعالى على كل مسلم حقوقًا لأخيه لابد أن يؤديها إليه ولو أساء إليه، تعبدًا لله تعالى وتقربًا إليه، ولهذا يؤديها المؤمن الحق لله، ولا ينتظر من أخيه جزاءً ولا شكرًا له؛ لأنه يطلب ثوابه من ربه؛ وعليه فإنه لا يتأثر بحسن المعاملة، ولا يمنع ويتغير لسوء المقابلة.

ثانياً :للإخوة الإيمانية حقوق :فمن تلك الحقوق:

1/ أنْ يشعر المسلمُ بأنه ظَهِيرٌ للمؤمنين في السراء الضراء، وأنَّ قوته لا تتحرك في الحياة وحدها إلاَّ إذا تساندت مع قوى إخوانه المؤمنين؛ لذا وَجَبَ عليه أن يعمل من أجل هذا التَّسانُد لِيَشُدَّ من أزر نفسه وإخوانه، يقول النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ» رواه البخاري.

2/ التَّناصُر بين المسلمين؛ من أجل إحقاق الحق، وإزهاق الباطل، وردع المُعتدي، وإجارة المهضوم، ونُصرة المظلوم، فلا يجوز خذلان المسلم وتركه وحده في المُعترَك، ولا بد من الوقوق بجانبه؛ لإرشاده إنْ ضلَّ، وحَجْزِه إنْ تطاول، والدفاعِ عنه إنْ هُوجِمَ واسْتُبِيح، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» رواه البخاري. **ونصرته إنْ كان ظالمًا ردعُه عن ظُلمِه، بأنْ تردعَه عن الظلم، فلا تتركه يتمادى فيه، وحتى يثوبَ إلى رُشدِه، ويُقلِعَ عن غَيِّه.**

3/ مراعاة هذا الإخاء؛ حتى لا يعدو عليه بما يُكَدِّره، فلا يجوز لمسلمٍ أنْ يُسَبِبَ لأخيه قلقًا، أو تخويفًا، أو هَلَعًا، أو فَزَعًا، أو كُلَّ ما يؤدي إلى إيذاء أخيه والاعتداء عليه؛ ولذا قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ؛ فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ» رواه مسلم. **وقال أيضًا: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»** رواه مسلم.

4/ ابتداؤه بالسلام، ورده التحية بمثلها أو أحسن منها، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: 86]، ولقوله صلى الله عليه وسلم: (حَقُّ المُسْلِمِ علَى المُسْلِمِ سِتٌّ قيلَ: ما هُنَّ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: إذا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عليه، وإذا دَعاكَ فأجِبْهُ، وإذا اسْتَنْصَحَكَ فانْصَحْ له، وإذا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وإذا مَرِضَ فَعُدْهُ وإذا ماتَ فاتَّبِعْهُ) متفق عليه.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : أنَّ رَجُلًا سَأَلَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أيُّ الإسْلَامِ خَيْرٌ؟ قالَ: تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وتَقْرَأُ السَّلَامَ علَى مَن عَرَفْتَ ومَن لَمْ تَعْرِفْ (وأن تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف) متفق عليه.

فالبادئ بالسلام هو أولى الاثنين بالله عزَّ وجلَّ، والبخيل من بخل بالسلام أو رده؛ وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (والَّذي نفسي بيدِه لا تدخلوا الجنَّةَ حتَّى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتَّى تحابُّوا أولا أدلُّكم علَى شيءٍ إذا فعلتُموهُ تحاببتُم أفشوا السَّلامَ بينَكم).

5/ إجابة الدعوة، لقوله صلى الله عليه وسلم: (وإذا دَعاكَ فأجِبْهُ) وخاصة وليمة العرس؛ لأحاديث تدل على وجوب إجابتها ما لم يكن ثَمّ منكر.

6/ النصيحة؛ ولا سيما عند طلبها، لقوله صلى الله عليه وسلم: (وإذا اسْتَنْصَحَكَ فانْصَحْ له)، وقال صلى الله عليه وسلم: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ . قُلْنا: لِمَنْ؟ قالَ: لِلَّهِ ولِكِتابِهِ ولِرَسولِهِ ولأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وعامَّتِهِمْ) رواه مسلم.

والنصيحة: هي حيازة الحظ أو الخير للمنصوح له، فتدله على خير ما تعلمه له، وتحذره وتنهاه عن شر ما تعلمه له، وغايتها وكمالها أن تحب له من الخير ما تحب لنفسك، وتكره له

من الشر ما تكره لنفسك، فإذا استنصحك في أمر زواج أو وظيفة أو شخص، فأخلص له في النصيحة، واختر له ما تختار لنفسك.

قال ابن بطال – رحمه الله – في هذا الحديث:أن النصيحة تُسمَّى دينًا وإسلامًا، وأن الدين يقع على العمل كما يقع على القول، قال: والنصيحة فرضٌ يجزئ فيه مَن قام به ويسقط عن الباقين، قال: والنصيحة لازمةٌ على قدر الطاقة إذا علم الناصح أنه يُقبَل نصحه ويُطاع أمره، وأمِن على نفسه المكروه، فإن خشي على نفسه أذًى، فهو في سَعَة، والله أعلم.

7/ تنصره ظالمًا أو مظلومًا، فإن كان ظالمًا، فنصره حجزه ومنعه عن الظلم، وإن كان مظلومًا، فتدفع عنه الظلم، لقوله صلى الله عليه وسلم (انْصُرْ أخاكَ ظالِمًا أوْ مَظْلُومًا. فقالَ رَجُلٌ: يا رَسولَ اللَّهِ، أنْصُرُهُ إذا كانَ مَظْلُومًا، أفَرَأَيْتَ إذا كانَ ظالِمًا، كيفَ أنْصُرُهُ؟ قالَ: تَحْجُزُهُ –أوْ تَمْنَعُهُ– مِنَ الظُّلْمِ؛ فإنَّ ذلكَ نَصْرُهُ) رواه البخاري .

وما ذلك إلا لأنك بمنعك إياه عن الظلم تقيه شر نفسه وغيره في الدنيا والآخرة.

فالأخذ على أيدي الظالمين، والسعي في دفع الظلم عن المظلومين بحسب الإمكان من أعظم الحقوق وأجل القرب، وفي صحيح مسلم: (وَاللَّهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ) ، وفي الصحيحين : (ومَن كانَ في حاجَةِ أخِيهِ كانَ اللَّهُ في حاجَتِهِ).

وإذا كان من حق أخيك عليك أن تمنعه من الظلم أو تدفع الظلم عنه، فلأن لا تظلمه من باب أولى، ولذا قال صلى الله عليه وسلم : (المسلمُ أخو المسلمِ لا يَظْلِمُه، ولا يَخْذُلُه، ولا يَحْقِرُه، بحَسْبِ امرِئٍ مِن الشرِّ أن يَحْقِرَ أخاه المسلمَ) رواه مسلم،.

8/ الدعاء له: هكذا أرشد الله تعالى في كتابه الكريم؛ فقال سبحانه وتعالى في وصف المسلمين الذين يأتون بعد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في سورة الحشر: **(وَالَّذِينَ**

جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ أي: من بعد الصحابة يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ).

دعوة المسلم لأخيه المسلم عوائدها عظيمة وثمارها كبيرة عليك قبل إخوانك, قال عليه الصلاة والسلام: (**من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة**)[1].

ولك أن تتصور عدد هذه الحسنات فالمؤمنون لا يحصي عددهم إلا الله المؤمنون قبلك والمؤمنون بعدك.

يقول العلامة الشوكاني رحمه الله معلقاً على هذا الحديث العظيم: وفي هذا الحديث دليل على أنها تلحق بالمؤمن في استغفاره للمؤمنين والمؤمنات حسنات بعدد من استغفر لهم فإن كانوا جماعة محصورين كانت له حسنات محصورة على عددهم ومن أراد الاستكثار من فضل الله من الحسنات فليقل: **اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، فإنه يكتب له من الحسنات ما لا يحيط به حصر؛ ولا يتصوره فكر وفضل الله واسع.**

ويقول العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه مفتاح دار السعادة :(استغفار الإنسان لإخوانه المسلمين: وقد كان بعض السلف يستحب لكل أحد أن يداوم على هذا الدعاء كل يوم , فيجعل منه ورداً لا يخل به, وسمعت شيخنا ابن تيمية يذكره, وذكر فيه فضلاً عظيماً لا أحفظه وربما كان من جملة أوراده التي لا يخل بها .

وهذا هو شأن الأنبياء وهذه عادتهم, حيث ضمنوا دعواتهم الدعاء للمؤمنين قبلهم وبعدهم, وهذا ما نقرؤه في كتاب الله, نقرأ في دعوة إبراهيم قول الله تعالى عنه: (**رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ**).

[1] - رواه المعجم الكبير للطبراني , وجود إسناده الهيثمي وحسنه الألباني.

ونقرأ في آخر سورة نوح دعوة نوح عليه السلام: (**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**).

أما رسولنا صلى الله عليه وسلم فقد أمره الله تعالى بهذا أمراً مباشراً فقال له في وسط سورة محمد: (**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**) .

ومما يوستأنس بذكره في هذا المقام، ما ذكره الإمام أبو نعيم رحمه الله تعالى في ترجمة أحمد بن الضحاك يقول: رأيت فيما يرى النائم شريحاً رحمه الله تعالى, فقلت له: ما فعل بك ربك يا أبا الحارث ؟قال: غفر لي. ومع ذلك جعل قصري إلى جنب قصر محمد بن بشير بن عطاء الكندي –شخص من عوام المسلمين– قال: فقلت له: يا أبا الحارث ! أنت عندنا أكبر من محمد بن بشير , يعني: فكيف جعل الله قصرك بجانب قصر محمد بن بشير ؟فقال له شريح : لا تقل ذلك, فإن الله تعالى جعل لمحمد بن بشير حظاً في عمل كل مؤمن ومؤمنة؛ لأنه كان إذا دعا قال: اللهم اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات.

في الحديث الذي رواه مسلم: (**دَعْوَةُ المَرْءِ المُسْلِمِ لأَخِيهِ بظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّما دَعَا لأَخِيهِ بخَيْرٍ، قالَ المَلَكُ المُوَكَّلُ به: آمِينَ وَلَكَ بمِثْلٍ**).

وهكذا إخوتي بهذه الكلمات يقضي الإنسان حاجته، ويتسبب في قضاء حاجة إخوانه, والموفق من استمع القول فاتبع أحسنه.أقول ما تسمعون, وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه, إنه هو الغفور الرحيم.

9/ إذا عطس، فحمد الله، فَشَمِّتْهُ، أي: قل له: يرحمك الله. لقوله صلى الله عليه وسلم : (**حَقُّ المُسْلِمِ علَى المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وعِيَادَةُ المَرِيضِ، واتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وإجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وتَشْمِيتُ العَاطِسِ**) **متفق عليه.**

قال العلماء : ومِن فَوائدِ التَّشميتِ تَحصيلُ المَوَدَّةِ، وتَأليفُ القلوبِ، وتَأديبُ النفْسِ بكسْرِها عنِ الكِبرِ، والحمْلِ على التواضعِ؛ لِما في ذِكرِ الرَّحمةِ مِن الإشعارِ بالذَّنْبِ الذي لا يَخْلو منه أكثرُ المكلَّفِينَ؛ فبيَّن هذا الحديثُ الجليلُ بَعضَ حُقوقِ المسلمِ على أخيهِ المُسلمِ، وهذه الحُقوقُ إذا قام بها النَّاسُ بَعضُهم مع بعضٍ، تَزيدُ مِن الأُلفةِ والمَوَدَّةِ، وتُزيلُ مِن القلوبِ والنُّفوسِ الضَّغائنَ والأحقادَ.

تنبيه :

وذِكرُ هذه الحُقوقِ الخَمسةِ في هذا الحديثِ لا يَعْني الحصْرَ؛ فهناك حُقوقٌ أُخرى للمُسلِمِ على أخيهِ المسلمِ وَرَدَت في رِواياتٍ أُخرى؛ ففي رِوايةِ البَراءِ بنِ عازِبٍ رَضيَ اللهُ عنهما في الصَّحيحَينِ زاد على الخَمْسِ المذكورةِ: «نَصْرَ المَظلومِ، وإبرارَ القسَمِ». وزاد مُسلمٌ في رِوايةٍ أُخرى في صَحيحِه: «وإذا استَنْصَحَك فانْصَحْ له».

الفصل الثامن

هوية المسلم تؤطِّر لعلاقته بغير المسلمين

المبحث الأول : النظرة الإسلامية العامة لغير المسلمين.

المبحث الثاني : أقسام غير المسلمين وكيفية التعامل معهم.

المبحث الثالث: نماذج عملية لعلاقة المسلم بغير المسلم من واقعنا المعاصر.

المبحث الرابع : حكم تهنئة أهل الكتاب بأعيادهم.

المبحث الأول

النظرة الإسلامية العامة لغير المسلمين [1]

إن الإسلام دين يدعو إلى كل خير، ويَنهى عن كلِّ شر؛ يدعو إلى الإحسان إلى الناس كافَّة، والتعامل معهم بالحسنى؛ على أساس أن الجميع عيال الله وخَلْقه تعالى، وأن أحبَّ الخَلْق إلى الله أنفعهم وأجداهم لعياله؛ لذا أمر الرب عز وجل عبادَه – والناسُ كلهم عباده طوعًا أوكرهًا – أن يقولوا التي هي أحسن وأطيب؛ يقول – عز وجل –: ﴿**وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا**﴾ [الإسراء: 53]، يريد الربُّ – عز وجل – أن يُبيّن للناس أن الشيطان يتربَّص بهم الدوائرَ، ويتمنَّى أن يَنزَغ بينهم، ويجعلهم عُرْضة للخِصام والجدال والسِّباب والقتال، فالقول الحسن – الذي هو أصل التعامل وأساسه – يُسبِّب الأُلفة والمحبَّة، ويُعقِب الرحمة والمودة في القلوب والصدور، ويقول عز وجل: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**﴾ [البقرة: 83]، فلننظر في هذه الآية الكريمة أن الله تعالى قدَّم القولَ الحَسَن للناس على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، ونُدرِك أهميةَ التعامل الحَسَن مع الناس في الإسلام.

والإسلام لا يُفرِّق في التعامل الحَسَن بين المسلم وغير المسلم، سواء كان مشركًا أو يهوديًّا أو نصرانيًّا أو مجوسيًّا؛ حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (الرَّاحِمونَ يَرحَمُهمُ الرَّحمنُ، ارْحَموا أهْلَ الأرضِ يَرْحَمْكم مَن في السَّماءِ) رواه أحمد والترمذي وأبو داود.

وهذه الوصيَّة من رحمة الله للعالمين بالغة، ودعوة منه صارمة، إلى التعامل الحَسَن مع سائر الناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم، واختلاف مذاهبهم وأديانهم.

---

[1] - ملخص من بحث مطول بعنوان التعامل مع غير المسلمين في الإسلام – للكاتب محمد إقبال النائطي الندوي – الألوكة الشرعية.

لقد أقرَّ الإسلامُ لغير المسلمين حقوقًا، وألزم أتباعَه القيام بها على أتمه وأحسنه، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوةٌ حسنة بهذا الصدد؛ فهو الرحمة المهداة، والنِّعمة المسداة، لقد تعامَل صلى الله عليه وسلم مع جميع غير المسلمين من المشركين والمجوس وأهل الكتاب من النصارى واليهود المعاملةَ الحسنة، التي تَحار منها العقول؛ فقال صلى الله عليه وسلم: (لا يَرحم اللهُ مَن لا يَرحَم الناسَ)رواه البخاري.

وكلمة (الناس) لفظة عامة تشمل كل أحد، دون اعتبار لجنس أو دِين؛ **قال ابن بطَّال:** (فيه الحضُّ على استعمال الرحمة لجميع الخَلْق، فيدخل المؤمن والكافر والبهائم المملوك منها وغير المملوك، ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام والسقي، والتخفيف في الحمل، وتَرْك التعدي بالضرب)[1].

الناس في نظر الإسلام سواسية كأسنان المشْط، وهم أبناء العائلة الإنسانية، ويُوفِّر الإسلامُ لهم جميعًا الحقَّ في العيش والكرامة دون استثناء أو تمييز؛ قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾ [الإسراء: 70].

والاختلاف الذي يوجد في أفراد العائلة الإنسانية من حيث اللون والجنس واللغة – آيةٌ من آيات الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ**﴾ [الروم: 22].

وهذا الاختلاف ليس مَدْعاة للتنافر والتناكُر، بل هو سبب للتعارف والتعاضد والتعاون على الخير والبِرّ والتقوى؛ كما تَحدَّث عنه القرآن الكريم: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: 13].

---

[1] - **فتح الباري، ابن حجر العسقلاني.(10: 440)**

المبحث الثاني

أقسام غير المسلمين وكيفية التعامل معهم

لقد أوجب الإسلام على المسلمين أن يُراعوا الكرامةَ الإنسانيَّة التي وهبها الله تعالى للإنسان فضلاً منه ورحمة – كما سبق – ولم يُفرِّق فيها بين المسلم وغير المسلم، وهو يؤكِّد على أن الناس كلهم أبناء أب واحد وأم واحدة، كما نادى به الرسول صلى الله عليه وسلم في خُطْبته لحجة الوداع مُدوِّيًا ومجلجلاً: (يا أيُّها النَّاسُ، ألَا إنَّ ربَّكم واحِدٌ، وإنَّ أباكم واحِدٌ، ألَا لا فَضْلَ لِعَربيٍّ على عَجَميٍّ، ولا لعَجَميٍّ على عَرَبيٍّ، ولا أحمَرَ على أسوَدَ، ولا أسوَدَ على أحمَرَ؛ إلَّا بالتَّقْوى، أبَلَّغتُ؟ قالوا: بَلَّغَ رسولُ اللهِ) رواه أحمد وصححه الأرناؤوط في تخرجه المسند.

إن الإنسان في نظر الإسلام مُكرَّم، بصرف النظر عن أصله وفصْله، دينه وعقيدته، مركزه وقِيمته في الهيئة الاجتماعية، فقد خلقه الله مُكرَّمًا، ولا يَملِك أحد أن يُجرِّده من كرامته التي أودعها في جِبلَّته، وجعلها من فِطرته وطبيعته، يستوي في ذلك المسلم الذي يؤمن بالقرآن كتاب الله وبمحمد بن عبد الله رسول الله ونبيه صلى الله عليه وسلم، وغير المسلم من أهل الشرائع الأخرى، أو من لا دين له، فالكرامة البشرية حقٌّ مشاع يتمتَّع به الجميع من دون استثناء، وتلك ذِروة التكريم وقمة التشريف.

غير المسلمين يَنقسِمون إلى أربعة أقسام:

1 – أهل الحرب: هو الكافر الذي بين المسلمين وبين دولته حالة حرب، ولا ذمة له ولا عهد، قال الشوكاني: (**الحربي: الذي لا ذمة له ولا عهد**)[1].

[1] - السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار؛ الشوكاني (ص: 904).

2 – أهل الذمة: الكفار المقيمون تحت ذمة المسلمين بدفع الجزية؛ قال ابن القيم: "أجمع الفقهاء على أن الجزية تؤخذ من أهل الكتاب ومن المجوس"[1]، وحُكْم أهل الذمة المعاهَدين الذين يُساكِنون المسلمين في ديارهم، ويدفعون الجزيةَ – أنهم يخضعون للأحكام الإسلاميَّة في غير ما أُقِرُّوا عليه من أحكام العقائد والعبادات، والزواج والطلاق، والمطعومات والملبوسات، ولهم على المسلمين الكفُّ عنهم وحمايتهم، قال ابن الأثير: **(سُمِّي أهل الذمة؛ لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم)**[2].

3 – المعاهَد: هو الكافر الذي بينه وبين المسلمين عهد مهادنة، قال ابن بطال: "**والمعاهد: الذي بينه وبين الإمام عهد وهدنة**" [3]، وإذا دخل ديارَ المسلمين سمِّي مُستأمَنًا.

4 – أهل الأمان: المستأمَن: (هو الحربي المقيم إقامة مؤقَّتة في ديار المسلمين).

قال الشيخ محمد بن عثيمين عندما سئل: البعضُ يتأوَّل في مسألة أهل الذمة بدعوى عدم وجود ولي الأمر العام أو الخلافة، أو لعدم وجود أهل الذمة أصلاً بدعاوى عديدة؛ ولذلك لا يَجِدون غضاضةً في دعوة الناس للاعتداء على غير المسلمين من المعاهَدين؟ فأجاب بقوله: أنا أُوافِق على أنه ليس عندنا أهل ذمة؛ لأن أهل الذمة هم الذين يخضعون لأحكام الإسلام، ويؤدُّون الجزيةَ، وهذا مفقود منذ زمن طويل، لكن لدينا معاهَدون ومستأمَنون، ومعاهدون معاهدة عامة، ومعاهدة خاصة، فمن قَدِم إلى بلادنا من الكفار لعمل أو تِجارة، وسُمِح له بذلك، فهو: إما معاهَد أو مُستأمَن، فلا يجوز الاعتداء عليه؛ وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(مَن قتل معاهَدًا، لم يَرَح رائحة الجنة)**، فنحن مسلمون مستسلمون لأمر الله – عز وجل – مُحترِمون لما اقتضى الإسلام احترامه من أهل العهد والأمان، فمَن

---

[1] - أحكام أهل الذمة.(1: 1)

[2] - النهاية في غريب الحديث؛ ابن الأثير.(2: 168)

[3] - النَّظْمُ المُسْتَعْذَبُ فِي تفْسِيرِ غريبِ ألْفَاظِ المهَذّبِ المؤلف: محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن بطال الركبي، أبو عبد الله، المعروف ببطال (ت ٦٣٣هـ) -(1: 156).

أخلَّ بذلك فقد أساء للإسلام، وأظهره للناس بمظهر الإرهاب والغدر والخيانة، ومَن التزم أحكام الإسلام واحترم العهود والمواثيق، فهذا هو الذي يُرجى خيره وفلاحه"[1].

إن الفتح الإسلامي اعترف أيضًا بالآخر ولم يُرغِم أي واحد على الدخول في الإسلام، في حين عندما انتصر ملوك شبه الجزيرة النصارى أطبقوا على إبادة المسلمين وإحراق كتبهم وتُراثهم، وتحويل مساجدهم إلى كنائس، إذ لم يبقَ في إسبانيا ولو كتاب واحد من ملايين الكتب التي ألَّفها واقتناها ونسَخها علماء الأندلس وورَّاقوها ونسَّاخوها، أما الكتب التي هي بمكتبة الإسكوريال، فهي مغربية الأصل قرصنها قرصان فرنسي وتَسلَّط عليه الإسبان، فجعلوها في دير الإسكوريال، وقد أُتلِف جُلُّها بالحَرْق وغيره[2].

وقد أمرنا الإسلام بالإحسان إلى الجار، وحرَّم إيذاءه بشيء ولو كان الجار غير مسلم، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة؛ حيث كان له صلى الله عليه وسلم جار يهودي، وكان يعوده إذا مَرِض، وحدَّد رسول الله صلى الله عله وسلم حقوقَ الجار؛ فعن بَهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، قال: قلت: يا رسول الله، ما حق جاري عليَّ؟ قال: (إن مرضَ عُدتَه وإن ماتَ شيَّعتَه وإنِ استقرضَك أقرضتَه وإن عَرى سترتَه وإن أصابَه خيرٌ هنَّأتَه وإن أصابتهُ مصيبةٌ عزَّيتَه ولا ترفع بناءَك فوقَ بنائِه فتسدَّ عليهِ الرِّيحَ ولا تؤذِه بريحِ قدرِك إلَّا أن تغرِفَ لهُ منها) رواه الطبراني والبيهقي في شعب الإيمان.

---

[1] - مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ مجمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان.(493 :25) .

[2] - الإسلام دين الوسطية والفضائل والقيم الخالدة؛ عبد السلام الهراس (ص: 17).

وقد قرَّر الفقهاء قَبُول الهدايا من الكفار بجميع أصنافهم حتى أهل الحرب، قال في المغني: "ويجوز قَبُول هدية الكفار من أهل الحرب؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قَبِل هديَّة المقوقس صاحب مصر"[1].

وحق البِرّ مع غير المسلمين يتمثَّل في الدعاء لهم من الله بالخير والرُّشد والهدى، ودعوتهم إلى ما فيه سعادتهم وكرامتهم في الدنيا والآخرة؛ أعني الإسلام، والتألُّم لما يعيشونه من الكُفْر والجحود والإلحاد، والتحرُّق له، وقد تجلَّى هذا الخُلُق الكريم والوصف الجليل في ذات الرسول صلى الله عليه وسلم، وجاء ذِكْره في الكتاب المبين: ﴿**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا**﴾ [الكهف: 6]، وكان صلى الله عليه وسلم يَمُد يده إلى الله بالدعاء لغير المسلمين بالهداية للإسلام، لقد قَدِم الطفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه فقالوا: يا رسول الله، إن دوسًا قد كفرتْ وأبَتْ، فادعُ الله عليها، فقيل: هلكت دوس؛ ظنًّا بأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما رفع يديه للدعاء عليها؛ فقال صلى الله عليه وسلم: (**اللهم اهدِ دوسًا وائت بهم**) رواه مسلم.

وجاء الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله، أخرقتنا نبالُ ثقيف؛ فادع الله عليهم، قال: (**اللهم اهدِ ثقيفًا**) رواه الترمذي، **فعادوا فعاد فأسلَموا، فوُجِدُوا من صالحي الناس إسلامًا، ووُجِد منهم أئمة وقادة.**

ولقد أمرنا الإسلام أن نتعامل مع غير المسلمين معاملة قائمة على الرِّفق والسهولة والسماحة في جميع أمور الحياة وشؤونها؛ من البيع والشراء، والأجرة والكراء؛ **فقال النبي صلى الله عليه وسلم:** (**رحِم الله رجلاً سَمْحًا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى**)[رواه البخاري].

---

[1] - سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين؛ إعداد، د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان، نقلاً من المغني، ابن قدامة، (13: 200).

وهذا النص يشمل التعامل مع المسلم وغير المسلم، وفيه الحضُّ على السماحة في المعاملة واستعمال معالي الأخلاق، وترْك المشاحة، والحض على تَرْك التضييق على الناس في المطالبة، وأخذ العفو منهم[1].

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : (إذا ركب القوم في البحر، فاستقبلهم فيه تجار مشركون من أرض العدو ويريدون بلادَ الإسلام، لم يعرضوا لهم، ولم يُقاتِلوهم، وكل من دخل بلاد المسلمين من أرض الحرب بتجارة بويع، ولم يسأل عن شيء)[2].

وعلى هذا فلغير المسلمين حرية العمل والكسب، بالتعاقد مع غيرهم، أو بالعمل لحساب أنفسهم، ومزاولة ما يختارون من المهن الحرة، ومباشرة ما يريدون من ألوان النشاط الاقتصادي، شأنهم في ذلك شأن المسلمين.

---

[1] - فتح الباري بشرح صحيح البخاري – لابن حجر (4: 307).

[2] - الشرح الكبير – للعلامة شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٨٢ هـ) - (10: 358).

المبحث الثالث

نماذج عملية لعلاقة المسلم بغير المسلم من واقعنا المعاصر

السؤال الأول : ما هو الواجب على المسلم تجاه غير المسلم ، سواء كان ذمياً في بلاد المسلمين ، أو كان في بلاده ، والمسلم يسكن في بلاد ذلك الشخص غير المسلم ، والواجب الذي أريد توضيحه هو المعاملات بكل أنواعها ، ابتداء من إلقاء السلام ، وانتهاءً بالاحتفال مع غير المسلم في أعياده ؟ وهل يجوز اتخاذه صديق عمل فقط ؟ أفيدونا أفادكم الله.

الجواب : إن واجب المسلم بالنسبة إلى غير المسلم أمور متعددة[1]:

أولاً : الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ ، أن يدعوه إلى الله ، ويبين له حقيقة الإسلام حيث أمكنه ذلك ، وحيث كانت لديه البصيرة ، لأن هذا أعظم إحسان وأكبر إحسان يهديه إلى مواطنه وإلى من اجتمع به من اليهود والنصارى أو غيرهم من المشركين ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ).

وقوله عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه لما بعثه إلى خيبر وأمره أن يدعو اليهود إلى الإسلام **قال** : (وَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ).

وقال صلى الله عليه وسلم : (مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا).

فدعوته إلى الله وتبليغه الإسلام ونصيحته في ذلك ، هذا من أهم المهمات ومن أفضل القربات.

---

[1] - موقع الإسلام سؤال وجواب – بتصرف.

ثانياً : لا يظلمه ، لا في نفس ، ولا في مال ، ولا في عرض ، إذا كان ذمياً أو مستأمناً أو معاهداً فإنه يؤدي إليه حقه ، فلا يظلمه في ماله لا بالسرقة ولا بالخيانة ولا بالغش ، ولا يظلمه في بدنه بالضرب ولا بالقتل ، لأن كونه معاهداً أو ذمياً في البلد أو مستأمناً هذا كله يعصمه.

ثالثاً : لا مانع من معاملته في البيع والشراء والتأجير ونحو ذلك ، فقد صح عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه اشترى من الكفار عباد الأوثان ، واشترى من اليهود وهذه معاملة ، وتوفي عليه الصلاة والسلام ودرعه مرهونة عند يهودي في طعام لأهله عليه الصلاة والسلام.

رابعاً : حسن الجوار ، إذا كان جاراً تحسن إليه ولا تؤذيه في جواره ، وتتصدق عليه إذا كان فقيراً ، وتهدي إليه ، وتنصح له فيما ينفعه ، لأن هذا مما يسبب رغبته في الإسلام ، ودخوله في الإسلام.

ولأن الجار له حق ؛ قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (**مَا زَالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**) متفق على صحته ، وإذا كان الجار كافراً كان له حق الجوار ، وإذا كان قريباً وهو كافر له حقان : حق الجوار ، حق القرابة.

ومن حق الجار أن يتصدق عليه إن كان فقيراً من غير مال الزكاة ، لقوله تعالى : (**لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**) سورة الممتحنة (8).

وفي الحديث الصحيح عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أن أمها دخلت عليها وهي مشركة في الصلح الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أهل مكة تريد المساعدة ، فاستأذنت أسماءُ النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك هل تصلها ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (**صليها**).

أما بالنسبة لاحتفالاتهم بأعيادهم فالمسلم لا يشاركهم في احتفالاتهم بأعيادهم[1] ، لكن لا بأس أن يعزيهم في ميتهم ويقول لهم : **جبر الله مصيبتكم ، أو أحسن لك الخلف في خير ، أو ما أشبه ذلك من الكلام الطيب ، ولا يقول : غفر الله له ، ولا رحمه الله إذا كان الميت كافراً ، فلا يدعو للميت إذا كان كافراً ، ولكن للحي بالهداية والعوض الصالح ونحو ذلك)** [2].

السؤال الثاني : أدرس في جامعة عربية، ولدي زميلات من النصارى. فما حكم رد السلام إن سلموا علينا بتحية الإسلام؟ وما حكم ابتدائهم بتحية غير تحية الإسلام أو الرد عليهم بغير تحية الإسلام؟

وما حكم الأكل من طعامهم إن كانوا يأكلون الجبس وما شابه ليس هم من صنعه؟ وهل يجوز الأكل من طعامهم الذي يصنعونه؟ وهل قوله تعالى (طعام أهل الكتاب حل لكم) يعني كل أهل الكتاب حتى هؤلاء الذين قد دخلت في عقيدتهم أمور خاطئة؟

وما حكم التعاون معهم في الدراسة؟ وما حكم تهنئتهم بعيدهم؟

وهل قوله صلى الله عليه وسلم : **(لا تَبْدَؤُوا اليَهُودَ ولا النَّصارَى بالسَّلامِ، فإذا لَقِيتُمْ أحَدَهُمْ في طَرِيقٍ، فاضْطَرُّوهُ إلى أضْيَقِهِ)** رواه مسلم. الأرجح أنه يشمل كل النصارى في زماننا؟

الإجابة : فسنجيب على أسئلتك هذه في نقاط، ومنها ما يلي[3]:

أولا: أن ابتداء الكافر بالتحية – غير السلام – منعه بعض العلماء وأجازه آخرون، فإذا كانت هنالك مصلحة راجحة أو دفع مضرة فلا بأس بابتدائهم بها.

---

[1] - سيأتي مزيد بيان لهذا الموضوع الخطير في المبحث الأخير من هذا الفصل.

[2] - سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله "فتاوى نور على الدرب" (1/289 – 291) .

[3] - موقع الشبكة الإسلامية.

قال الشيخ ابن عثيمين في فتاويه: وإذا كانت هناك حاجة داعية إلى بدء الكافر بالتحية فلا حرج فيها حينئذ ، ولتكن بغير السلام ، كما لو قال له : أهلا وسهلا أو كيف حالك ونحو ذلك، لأن التحية حينئذ لأجل الحاجة لا لتعظيمه. اهـ.

والحديث الذي أشرت إليه شامل لكل اليهود والنصارى في زماننا وفي غيره.

ثانيا: إذا سلم الكافر وجب الرد عليه، قال الشيخ أيضا: ولكنهم إذا سلموا وجب علينا أن نرد عليهم ، لعموم قوله تعالى :(وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها)، وكان اليهود يسلمون على النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : السام عليك يا محمد ، والسام بمعنى الموت يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا سَلَّمَ عَلَيْكُمُ اليَهُودُ، فإنَّما يقولُ أحَدُهُمْ: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقُلْ: وعَلَيْكَ) متفق عليه.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم (وعَلَيْكَ) دليل على أنهم إذا كانوا قد قالوا : السلام عليكم فإن عليهم السلام فكما قالوا نقول لهم ، ولهذا قال بعض أهل العلم : إن اليهودي أو النصراني أو غيرهم من غير المسلمين إذا قالوا بلفظ صريح : "السلام عليكم " جاز أن نقول : عليكم السلام. اهـ . وهذا بالنسبة للسلام.

وأما اضطرارهم إلى أضيق الطريق فقد قال القرطبي: معناه لا تتنحوا لهم عن الطريق الضيق إكراماً لهم واحتراماً. قال ابن حجر: وعلى هذا فتكون هذه الجملة مناسبة للجملة الأول في المعنى وليس المعنى إذا لقيتموهم في طريق واسع فألجؤوهم إلى حرفه حتى يضيق عليهم لأن ذلك أذى لهم وقد نهينا عن أذاهم بغير سبب. اهـ .

ثالثا: طعام أهل الكتاب إذا كان من غير الذبائح يجوز أكله ما لم يكن محرما في نفسه، وإن كان من الذبائح فيجوز أكله بشرط أن يذبحوه على الطريقة الشرعية، فإذا ذبحوه بالصعق الكهربائي أو الخنق مثلا فلا يحل. ودخول الانحراف على عقائدهم ليس بمانع شرعا من

الأكل من ذبائحهم، فقد أباح الله تعالى ذبائح أهل الكتاب والزواج من نسائهم مع علمه تعالى بما هم عليه من تحريف لدينهم .

رابعا : معاملة الكفار بالحسنى رخصة قد جاء بها الشرع كما قال تعالى:(لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) {الممتحنة:8}.

قال القرطبي في تفسيره: هذه الآية رخصة من الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم. اهـ.

فعلى هذا لا حرج في التعامل معهم فيما يتعلق بأمر الدراسة. وينبغي أن يقصد المسلم ترغيبهم في الإسلام ببيان محاسنه من خلال أقواله وأفعاله حتى يؤجر على ذلك، ولعله يسلم أحد بسببه فيدخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم: لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم. متفق عليه .

وننبه إلى أنه لا يختلف في هذه الأحكام النصارى الأقدمون عن نصارى زماننا. فقد جاءت النصوص في هذا عامة، والأصل العموم.

المبحث الرابع

حكم تهنئة أهل الكتاب بأعيادهم ودخول كنائسهم

السؤال الأول : ما حكم الاحتفال بعيد الكريسمس (أول السنة الميلادية) ؟ بالتفصيل.

الإجابة : الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فلا يجوز لأحد من المسلمين مشاركة أهل الكتاب في الاحتفال بعيد الكريسمس – أول السنة الميلادية – ولا تهنئتهم بهذه المناسبة لأن العيد من جنس أعمالهم التي هي دينهم الخاص بهم، أو شعار دينهم الباطل، وقد نهينا عن موافقتهم في أعيادهم، دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار:

1– أما الكتاب: فقول الله تعالى: **(وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً)** [الفرقان:72]. **قال مجاهد في تفسيرها:** إنها أعياد المشركين، وكذلك قال مثله الربيع بن أنس، والقاضي أبو يعلى والضحاك.

وقال ابن سيرين: الزور هو الشعانين ، والشعانين: عيد للنصارى يقيمونه يوم الأحد السابق لعيد الفصح ويحتفلون فيه بحمل السعف، ويزعمون أن ذلك ذكرى لدخول المسيح بيت المقدس [1].

ووجه الدلالة : هو أنه إذا كان الله قد مدح ترك شهودها الذي هو مجرد الحضور برؤية أو سماع، فكيف بالموافقة بما يزيد على ذلك من العمل الذي هو عمل الزور، لا مجرد شهوده.

2– وأما السنة: فمنها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: ما هذا اليومان؟ قالوا: كنا نلعب فيهما

---

[1] - اقتضاء الصراط المستقيم 537/1، والمعجم الوسيط488/1.

في الجاهلية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر. رواه أبو داود، وأحمد، والنسائي على شرط مسلم.

ووجه الدلالة : أن العيدين الجاهليين لم يقرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تركهم يلعبون فيهما على العادة، بل قال: إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما..... والإبدال من الشيء يقتضي ترك المبدل منه، إذ لا يجمع بين البدل والمبدل منه، وقوله صلى الله عليه وسلم: خيراً منهما. يقتضي الاعتياض بما شرع لنا عما كان في الجاهلية.

3- وأما الإجماع: فمما هو معلوم من السير أن اليهود والنصارى ما زالوا في أمصار المسلمين يفعلون أعيادهم التي لهم، ومع ذلك لم يكن في عهد السلف من المسلمين من يشركهم في شيء من ذلك، وكذلك ما فعله عمر في شروطه مع أهل الذمة التي اتفق عليها الصحابة وسائر الفقهاء بعدهم: أن أهل الذمة من أهل الكتاب لا يظهرون أعيادهم في دار الإسلام، وإنما كان هذا اتفاقهم على منعهم من إظهارهم، فكيف يسوغ للمسلمين فعلها! أو ليس فعل المسلم لها أشد من إظهار الكافر لها؟

وقد قال عمر رضي الله عنه: **(إياكم ورطانة الأعاجم، وأن تدخلوا على المشركين يوم عيدهم في كنائسهم فإن السخطة تتنزل عليهم).** رواه أبو الشيخ الأصبهاني والبيهقي بإسناد صحيح.وروى البيهقي أيضاً عن عمر أيضاً قوله: **(اجتنبوا أعداء الله في عيدهم).**

قال الإمام ابن تيمية: وهذا عمر نهى عن تعلم لسانهم، وعن مجرد دخول الكنيسة عليهم يوم عيدهم، فكيف بفعل بعض أفعالهم؟! أو فعل ما هو من مقتضيات دينهم؟ أليست موافقتهم في العمل أعظم من الموافقة في اللغة؟! أو ليس عمل بعض أعمال عيدهم أعظم من مجرد الدخول عليهم في عيدهم؟! وإذا كان السخط ينزل عليهم يوم عيدهم بسبب عملهم، فمن

يشركهم في العمل أو بعضه أليس قد تعرض لعقوبة ذلك؟ ثم قوله: واجتنبوا أعداء الله في عيدهم. أليس نهياً عن لقائهم والاجتماع بهم فيه؟ فكيف عن عمل عيدهم)[1].

4- وأما الاعتبار فيقال: الأعياد من جملة الشرع والمناهج والمناسك التي قال الله فيها: (**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً**) [المائدة:48].

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: فلا فرق بين مشاركتهم في العيد وبين مشاركتهم في سائر المناهج، فإن الموافقة في جميع العيد موافقة في الكفر، والموافقة في بعض فروعه موافقة في بعض شعب الكفر، بل إن الأعياد من أخص ما تتميز به الشرائع، ومن أظهر ما لها من الشعائر، فالموافقة فيها موافقة في أخص شرائع الكفر وأظهر شعائره، ولا ريب أن الموافقة في هذا قد تنتهي إلى الكفر في الجملة بشروطه[2].

وقال أيضاً: ثم إن عيدهم من الدين الملعون هو وأهله، فمواقتهم فيه موافقة فيما يتميزون به من أسباب سخط الله وعقابه....

ومن أوجه الاعتبار أيضاً: أنه إذا سوغ فعل القليل من ذلك أدى إلى فعل الكثير، ثم إذا اشتهر الشيء دخل فيه عوام الناس وتناسوا أصله حتى يصير عادة للناس بل عيداً لهم، حتى يضاهى بعيد الله، بل قد يزيد عليه حتى يكاد أن يقضي إلى موت الإسلام وحياة الكفر.

وبناءً على ما تقدم نقول: لا يجوز للمسلم مشاركة أهل الكتاب في أعيادهم، لما تقدم من أدلة الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار، كما لا يجوز تهنئتهم بأعيادهم لأنها من خصائص دينهم أو مناهجهم الباطلة.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق، مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم، فيقول: عيد مبارك عليك، أو تهنأ بهذا العيد ونحوه، فهذا

---

[1] - **اقتضاء الصراط المستقيم – لابن تيمية - (515/1).**

[2] - **اقتضاء الصراط المستثقيم – (528/1).**

إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات، وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب، بل ذلك أعظم إثماً عند الله، وأشد مقتاً من التهنئة بشرب الخمر، وقتل النفس، وارتكاب الفرج الحرام ونحوه.

وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك، ولا يدري قبح ما فعل، فمن هنأ عبداً بمعصية أو بدعة أو كفر فقد تعرض لمقت الله وسخطه[1].

فإن قال قائل: إن أهل الكتاب يهنئوننا بأعيادنا فكيف لا نهنئوهم بأعيادهم معاملة بالمثل ورداً للتحية وإظهاراً لسماحة الإسلام..... إلخ.؟

فالجواب: أن يقال: إن هنئونا بأعيادنا فلا يجوز أن نهنئهم بأعيادهم لوجود الفارق، فأعيادنا حق من ديننا الحق، بخلاف أعيادهم الباطلة التي هي من دينهم الباطل، فإن هنئونا على الحق فلن نهنئهم على الباطل.

ثم إن أعيادهم لا تنفك عن المعصية والمنكر وأعظم ذلك تعظيمهم للصليب وإشراكهم بالله تعالى وهل هناك شرك أعظم من دعوتهم لعيسى عليه السلام بأنه إله أو ابن إله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، إضافة إلى ما يقع في احتفالاتهم بأعيادهم من هتك للأعراض واقتراف للفواحش وشرب للمسكرات ولهو ومجون، مما هو موجب لسخط الله ومقته، فهل يليق بالمسلم الموحد بالله رب العالمين أن يشارك أو يهنئ هؤلاء الضالين بهذه المناسبة!!!

السؤال الثاني: هل يجوز للمسلم الذهاب إلى الكنيسة لمشاركة النصارى في الاحتفال بأعيادهم ؟

الإجابة : لا يجوز للمسلم الذهاب إلى الكنيسة لمشاركة النصارى في الاحتفال بأعيادهم، أو تهنئتهم بها، لما في ذلك من المشاركة في الباطل الذي هم عليه والذي أقاموا على أساسه

---

[1] - **أحكام أهل الذمة 161/1 فصل في تهنئة أهل الذمة... لابن القيم.**

تلك الأعياد، ولما في ذلك من التشبه بهم، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (**من تشبه بقوم فهو منهم**) أخرجه أبو داود.

وثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (**لا تعلموا رطانة الأعاجم، ولا تدخلوا على المشركين في كنائسهم يوم عيدهم، فإن السخط ينزل عليهم**) أخرجه البيهقي بسند صحيح.

الفصل التاسع

هوية المسلم قائمة على الثوابت والمسلَّمات الشرعية

مدخل.

المبحث الأول : ملامح تقسيم الإسلام إلى الثوابت والمتغيرات.

المبحث الثاني : ما هي الثَّوابت وَالمتغيرات والشريعة الإسلامية.

المبحث الثالث : ضوَابت المتغيرات في الشريعة الإسلامية.

مدخل [1]

قبل الخوض في هذا العنوان بعمق، لابدَّ من توضيح أصولٍ وقواعدَ تتعلق بديننا العظيم الثابت المستمر إلى يوم القيامة:

1- ديننا ثابتٌ لايتغير، فهو شجرة ثابتة الأصول مرتفعة الفروع ،كما قال تعالى:(**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**) [إبراهيم:24- 25].

2- وديننا كاملٌ لا نقص فيه، ولا زيادة ولانسخ بعد كماله، وما انتقل النبيصلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى إلا وقد بلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، وأكمل الله به الدين وأتم به النعمة،كما قال تعالى:{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: 3].

وهذا الكمال له ميزتان: الصدقُ في الأخبار، والعدلُ في الأحكام، كما قال تعالى:(**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**) [الأنعام: 115].

3- وهذه الشريعة شاملةٌ قد استوعبت الزمان والمكان والناس، فهي تخاطب جميع الخلق من الجن والإنس على اختلاف ألوانهم وألسنتهم، كما قال تعالى:(**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً**

---

[1] - ما جاء في هذا الفصل ملخص من أربع مقالات :

المقال الأول :ميزان الثابت والمتغير في منهج الإسلام - للدكتور عبدالله عطا عمر – موقع الشبكة الإسلامية .

المقال الثاني : ثوابت في الدين للشيخ ناصر بن عبد الكريم العقل محاضرات مفرغة – موقع الشبكة الإسلامية .

المقال الثالث : الثوابت والمتغيرات – للأستاذ عبد الرحمن بن صالح المحمود – طريق الإسلام .

المقال الرابع : الثابت والمتغير في الشريعة الإسلامية - لفضيلة الشيخ فايز الصلاح.

لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [سبأ: 28]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم:" **وأُرسِلْتُ إلى الخلق كَافَّة**".

وهي مستوعبة لجميع النوازل والأحكام على اختلاف الزمان والمكان، إما تفصيلاً وإما تأصيلاً ،كما قال تعالى:(**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)** [النحل: 89].

وفي الصحيح قال صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع :(**وقد تَرَكْتُ فيكم ما لن تَضِلُّوا بعده، إن اعتصمتم به، كتاب الله**).

وصلاحُ الشريعة الإسلامية لكلِّ زمان ومكان، دليلٌ على مرونتها حيث تساير أحكامها مختلف الأحوال دون حرج ولا مشقة ولا عسر.

4- والتشريع حقٌّ إلهي فلا يرجع فيه إلى العقول والأذواق والأهواء، قال تعالى: (**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ)** [الأنعام: 57]، وقال أيضا:(**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) [الشورى: 21].

وقال تعالى:(**وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)** [المائدة: 49 - 50].

المبحث الأول

ملامح تقسيم الإسلام إلى الثوابت والمتغيرات

حتى تتضح ملامح هذا التقسيم بين الثوابت والمتغيرات في الإسلام، لا بد من الوقوف على بعض المصطلحات التي تتمثل فيها معالم هذا الدين ويكثر تداولها في هذا الباب، ومنها مصطلح (**الدين**) الذي هو مأخوذ من الجذر دان يدين، قال تعالى: (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**) [المائدة: 3]، فلا يزاد في الدين ولا ينقص منه، وهو يشتمل على العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات، ولا شك أن مفهوم العبادة لا يقتصر على الشعائر كالصلاة والصوم والحج والزكاة، وهناك مرادفات لكلمة الدين الذي هو الطاعة والانقياد للشريعة، منها الإسلام والشريعة والملة، وتنوب هذه المصطلحات بعضها عن بعض، فالإسلام هو الانقياد والخضوع لأحكام الله تعالى، وقد يأتي بمعنى الدين، وبمعنى الإخلاص، قال سبحانه : (**إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**) [البقرة: 131].

أما الشريعة فقد عرفها صاحب لسان العرب بما سن الله من الدين وأمر به، وعرفها الجرجاني بأنها الائتمار بالتزام العبودية، قال سبحانه: (**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**) [المائدة: 48] والملة كالدين، قال تعالى: (**وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**) [البينة: 5] وهي ما شرع الله لعباده على لسان المرسلين، قال تعالى: (**فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا**) [آل عمران: 95].

ومما هو معلوم أن تعاليم الإسلام تتصف بعدة خصائص منها أنها ربانية، وأن فيها الشمول والكمال، والتوازن والاعتدال، والتطور والثبات، والإيجابية والواقعية، والوسطية وعدم التطرف، وأنها تصلح لكل زمان ومكان، ولكافة الناس، ومن مظاهر هذا التوازن أنها ليست ثابتة في كل شيء، ولا متطورة في كل شيء.

ومن مسلّمات الدين: أن المسلم يجب عليه أن يدخل في الدين كله، وهو معنى التسليم: **(وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)** [النساء:65] ما معنى التسليم؟ الدخول في الدين، ما معنى الدخول في الدين؟ ليس معناه أن تقول: التقوى ها هنا، ولا أن تقول أنا متدين، وأنا أحب ربنا عز وجل، وأحب الرسول صلى الله عليه وسلم.

هذه كلها دعاوى تحتاج إلى حقيقة، فلو أن إنساناً ادعى أنه يحب فلاناً من الناس أو صديقه، ويمسكه بيده فجأة ويصفعه باليد الأخرى، هذا محب؟ هذا يكذب، فالمخالفة لما يرضي الله عز وجل انتهاك لحرمات الله، والبعد عن مقتضيات الدين مخالفة لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، فهذه كلها تخالف الدخول في الدين، والدخول في الدين هو التسليم بأن الدين حق وصدق ويقين، وأن الدين هو دين الله، وأن المقصود بالدين محبة الله وتعظيمه وخشيته ورجاؤه ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه، ولن تتحقق محبة الله إلا باتباع رسوله صلى الله عليه وسلم، كما قال الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم: **(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ)** [آل عمران:31].

وهناك من الأمور العملية للإسلام هي من ثوابت الدين غير أركان الإسلام الخمسة، مثل: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا من ثوابت الدين ومن خصائص الأمة: **(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ)** [آل عمران:110].

ثم أيضاً أوجبه النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(من رأى منكم منكراً فليغيره)** الأمر أمر وجوب، ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جاء في نصوص قطعية كثيرة، ثم يأتي بعض المتحذلقين والمفتونين بدعوى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا مسلك شخصي لبعض المتدينين الذين عندهم نزعة حادة ضد الآخر، والذين لا يقبلون الرأي الآخر، وأثَّروا على كثير من الشباب المتدينين، هل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رأي ورأي آخر؟ هذا مسلك طائفة تريد أن تفرض كما يشاع الآن في وسائل كثيرة الآن أن الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر عبارة عن قناعات أشخاص بتقاليد وآراء شخصية متزمتة، يريدون أن يفرضوها على الآخرين، هذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عندهم، ويتذرعون بممارسات بعض الذين يقعون في خطأ مقصود وغير مقصود.

فهل هذا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ لا، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبدأ شرعي، بل هذا الذي يفسّر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بهذا التفسير الخاطئ هو نفسه يجب عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ليست وظيفة طائفة، نعم، في مجال الحسبة التي تتعلق بالدولة لا شك أن هذا واجب تقوم به الدولة من خلال جهاز كما هو موجود في هذه الدولة المباركة، والحمد لله أن يوجد جهاز اسمه جهاز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتولى واجبات ولي الأمر تجاه هذا الأمر، لكن على الأفراد أيضاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل بقدر استطاعته بالحكمة وبشروطه، هذا لا يُعفى منه أحد.

المبحث الثاني

ما هي الثَّوابت في الشريعة الإسلامية؟

بعض الناس يَظُنُّ أنَّ العقيدةَ ثابتة، والشَّريعة متغيِّرة!! وَيَقولون: الثَّوابت هي العقيدة، وكذا، وكذا...؛ لَكِنَّ الشَّرِيعَةَ مُتَغَيِّرَةٌ، والعَقِيدَة ثابتة، وَهَذَا خَطَأٌ؛ فالعَقِيدَة ثَابتة، وَالشَّريعة ثابتة. مِنْ أَينَ جَاءَتْ شبْهَة من قَالَ أنَّ الشريعة مُتَغَيِّرَةٌ؟!

خِلَافَ العُلَمَاء مَاذَا يَقول هو؟ يقول أَنَّ العقيدة لا تتغير أي: أنَّ الإيمان بالله والملائكة لا تَتَغَيَّرُ لكنَّ الأحكام الشرعية تَتَغَير مع تغير الزمَان والمكَان؛ لِذَلكَ يَخْتَلِفُ فيها العُلَمَاءُ، نَقول هذه المسْألة يجب الوقوفُ عندهَا؛ لأنَّ في ظَاهِرِهَا قد تَكُون صحيحة، إنَّمَا الأحكام الشرعية لم يَزَلْ العلماءُ يَخْتَلِفُونَ في هذه المسائل، ومنْ ثمَّ يكون اختلافُهُمْ دَلِيلٌ عَلَى أنَّ تغير الفَتْوَى كَمَا يقولونَ بتغير الزمَان والمكَانِ.

لكنَّ الصحيح ماذا؟ الشريعة الإسلامية ثابتة، لِمَ؟ لقوله تعالى : (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا) [الجاثية:18].

فَهَذِه آية تدُلُّ على وجوب اتِّبَاعِ الشريعة الاسلاميَّةِ، وَهي ثابتة لثبوتِ دَلَائِلِهَا: الكِتَاب والسنَّة، وَهُمَا ثَابِتَان لَا يَتَغَيَّرَان وَلِهَذَا فَإنَّ أي تَغَيُّرٍ لَابُدَّ أَنْ يَدُورَ حَولَ مِحْوَرِ الكتاب والسُّنَّة أي: يَصِحُّ أنَّ الشريعة غير ثَابتة لو كانَ في نَسْخ، وَطَبعًا لَا يُوجَدُ نَسْخٌ بَعْدَ خَتْمِ الرِّسَالَة وَكَمَالِهَا بِمُحَمَّد صلى الله عليه وسلم فكَانتْ غَير ثَابِتَة، إذَا قُلْنَا قَبْلَ خمسمائة سَنَة كَانَ يَصْلُحُ للنَّاس الحكْمُ الشَّرْعِيُّ الفُلَانِيُّ الآن لَا يَصْلُحُ قَدْ يَحْتَاجُونَ للحُكْمِ الشَّرْعِيِّ المضَادِّ له تَمَامًا، نَقُولُ هَذَا لَا يُوجَدُ في الشَّرِيعة الإسلاميَّة،كَيفَ؟!!

انْظُرْ إلَى كَلَامِ العُلَمَاءِ مُنْذُ الصَّحَابة وإلَى اليَوم تَجِدُ أنَّ فتَاويهم لَا تَدُورُ حولَ حلْقَةٍ مُفَرَّغَةٍ بَلْ تَدُورُ حَولَ مِحْوَر وَاحِد. مَا هو؟ نقول دَائمًا الرجُوعُ إلى دَلَائِلِ الكِتَابِ وَالسُّنّةِ إذًا الشَّرِيعَةُ

ثابتةٌ، وَعَليه فإنَّ أيَّ قَولٍ أو أَيَّ فَتْوَى تُخَالِفُ الشَّرِيعَةَ الإسْلَامِيَّةَ أَيْ يخالِفُ نَصَّ الكتَاب والسُّنَّةِ فَهْيَ مَرْفُوضَة ولا تقبل التغير مَهْمَا تَغَيَّرَ الزَّمَان، وَالمكَانُ.

فإنْ قَالَ قائل ولكنَّ العلمَاء يَجْتَهِدُونَ نقول نعم!! يَجْتَهِدُونَ، وَلَكِنْ ضِمْنَ دَلَائل الكتَاب، وَالسُّنَّةِ، وَهَذِهِ يَنْبَغِي أَنْ يُدْرِكَهَا طَلَبَةُ العلْمِ لأنَّ بعْضَ النَّاس يُخْطِئُ فيها؛ وَيَظُنُّ أنَّ القول بأنَّ الشريعة الإسلاميَّة يَخْتَلِفُ بها الفَتْوَى إذًا الشريعة قابلة للتغير، نَقُولُ لَا غير قابلة للتغير، وَلِهَذَا لو جَاءَ أَحَدٌ ليقُولَ لَنَا نحن في عَصْرٍ تَدَاخَلَ فيه الاقْتِصَادُ العَالَمِيُّ، وغيره فَيَنْبَغِي أَلَّا يكون الرِّبَا حَرَامًا، يُقْبَلُ هذا أمْ لَا يُقْبَلُ؟ لَا يُقْبَلُ!! لِمَاذَا؟! أَي أَنَّهُ تَتَغَيَّرُ الشَّرِيعَةُ مع تغير الزَّمَان أَو تَتَغَيَّرُ الفَتْوَى مَعَ تَغَيُّر الزمان لأنَّ الرِّبَا مُرْتبطٌ بدَلَائلَ صَرِيحة من الكِتَابِ والسُّنَّةِ.

نَعَمْ قَدْ يَخْتَلِفُ العُلَمَاءُ في هَذِهِ القضيَّة هلْ يَقَعُ فيهَا رِبًا، أَو لَا يَقَعُ فيهَا رِبًا هَل تَدْخُلُ في هَذِهِ الصُّورَة أوْ لَا تَدْخل، لكنْ أنْ يتغير الحكْمُ كلُّهُ بتغير الزَّمَان فإنَّهُ لَا يمكِنُ أنْ يكونَ.

بماذَا يُفِيدُنَا هذَا الشَّيء؟! يُفيدنَا أَنَّ الشَريعة الاسلاميَّة سَتَبْقَى؛ وَلِهَذَا أُعْطِيكُمْ أَمْثِلَةً في وَاقِعِنَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا غير قَابِلَة للتغير مَهْمَا كَانت الأمُورُ.

المثال الأول: الصَّلَوَاتُ الخمسُ نَظَرًا لأَنَّ أَدِلَّتَهَا وَاضِحَةٌ مَهْمَا اخْتَلَفَ العُلَمَاءُ في تَفَاصِيل أحْكَامِ الصَّلاة إلا أنَّ الصلوات الخمس ثابتة بركَعَاتِهَا، بأوقَاتِهَا إلى يوم القيامة لا يمكن تغيرها بتغير الزمان والمكان.

يأتي شَخْص ليقول أنَّ الشريعة تتغيرُ، لماذا لا تَتَغيرُ الصلاة؟! هل يمكن أنْ يَأْتِي وضْع مُعَيَّن لأنْ يَقُولَ بَدَلَ الخمس صَلَوَات نجعلهُمْ صَلَاتين؟! أَو بَدَل أنْ تكون صلَاة الفجر في هذا الوقت تَكُون السَّاعة التاسعة؟ لا يمكنُ؛ فَهَذَا ثَابتٌ وفي أمر من أمُورِ الشَّرِيعَةِ.

المثال الثاني : الصِّيَامُ شيء ثَابت لا يمكن تَغْيِيرُهُ، ومثلُهَا الحج، ومثلها الزَّكَاةُ، وَنَتَبَيَّنُ بهذا أنَّ هذه الأشياء ثَابِتَة.

وإِذَا قَال قَائل أنَّ هذه العبادَات مشهورَةٌ، نَقُولُ ننتقل لأحكام أخرى، الحدُودُ: تَحْرِيم الرِّبَا، تحريم الخمْرِ، تَحْرِيم القَذْفِ، الأحكام الشَّرعيَّةُ المتعلِّقَةُ بالمواريثِ: ميراثُ الأمِّ، ميراثُ الأخت، ميراثُ الجدَّة، مَا الحكْمُ فيها؟ الحكم فيها ثَابت لا يتغير بتغير الزمان والمكان، فتبينُ بِهَذَا أنَّ ثَبَاتَ الشَّريعة الإسلاميَّة إنَّمَا هوَ لِثبَاتِ المَصْدَرِ مَا الذي جَعَلَ قضية الصلاة والصِّيَامِ قضيَّةً ثَابِتَةً لَا تَقْبَلُ تَغَيُّرًا؟ هو قوَّة المصدر، وهو الكتاب والسُّنَّةُ غير قَابلة للتَّغَيُّرِ.

منْ هُنَا يَتَبَيَّنُ لدينَا حقيقة في منهج الإسْلَامِ، وَأَسَاسِيَّةٍ مُتَعَلِّقَةٍ بِقَضِيَّةِ الثوابت والمتغيرات أساسها أنَّ الشريعة الإسلامية بَينَهَا وَبَينَ العَقِيدَةَ الإسلاميَّة تَلَازُمٌ أَي: أَنَّ الأحكام عندنا لا تَنْفَصِلُ عن العقيدة، وَالمنْهج العَلْمَانِيُّ الآن يُكَافِحُ منْ خلال أَكْبَرِ متغير يسْعَى إليه وهو الفَصْلُ وَجَعْلُ العَلْمَانِيَّةِ مَقْبُولة، وَجَعْلِ التَّدَيُّن، وَالاعْتِقَادِ خَاصٌّ بالإنْسَانِ.

وثوابت الدين مراتب:

1- أعظمها ما كان مشتركا بين جميع الأنبياء من التوحيد ومايتبع ذلك من الأصول التي لم يختلف حكمها باختلاف الأحوال والأزمان، ولم يجر فيها النسخ والتبديل أبداً، فهي ثابتة قبل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في جميع الشرائع، كالتوحيد وأصول المحرمات والمعاملات والأخلاق والآداب.

2- ثم الثوابت في شريعة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه الثوابت هي ما عبّر عنها شيخ الإسلام ابن تيمية بالشرع المُنَزّل،

حيث قال في"مجموع الفتاوى" (11/ 506):" فلفظ الشرع قد صار له في عرف الناس ثلاث معان: الشرع المنزل، والشرع المؤول، والشرع المبدل.

فأما الشرع المنزّل: فهو ما ثبت عن الرسول من الكتاب والسنة، وهذا الشرع يجب على الأولين والآخرين اتباعه، وأفضل أولياء الله أكملهم اتباعا له، ومن لم يلتزم هذا الشرع أو طعن فيه أو جوّز لأحد الخروج عنه فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل.

وأما المؤول: فهو ما اجتهد فيه العلماء من الأحكام، فهذا من قلَّد فيه إماما من الأئمة ساغ ذلك له، ولا يجب على الناس التزام قول إمام معين.

وأما الشرع المبدَّل: فهو الأحاديث المكذوبة، والتفاسير المقلوبة، والبدع المضلة التي أدخلت في الشرع وليست منه، والحكم بغير ما أنزل الله. فهذا ونحوه لا يحل لأحد اتباعه"انتهى.

المبحث الثالث

ضوَابت المتغيرات في الشريعة الإسلامية

على ضوء ما سبق يَتبَيَّنُ لدينا أنَّ هذه المتغيراتُ عنْدَنَا تُضْبَطُ بِضَابِطَينِ دَقِيقَينِ أَعْنِي بِهِمَا الأحكام الشَّرْعيَّ ؛ **لأن التغيّرُ في الأحكام الشرعية يأتي من جهتين:**

الأولى: من جهة المنظور فيه.

الثانية: من جهة الناظر.

أما التغيّرُ من جهة المنظور فيه: فهي الأحكام الشرعية المتعلقة بمتغير فتتغير بتغيره، وهذا الذي قال فيه العلماء:"إن الفتوى تتغير بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد".

قال ابن القيم في"إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان"(1/ 570):" الأحكام نوعان:

نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها، لا بحسب الأزمنة، ولا الأمكنة، ولا اجتهاد الأئمة، كوجوب الواجبات، وتحريم المحرَّمات، والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم، ونحو ذلك. فهذا لا يتطرق إليه تغيير ولااجتهاد يخالف ما وُضع عليه.

والنوع الثاني: ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانًا ومكانا وحالاً، كمقادير التّعْزيراتِ، وأجناسها، وصفاتها؛ فإن الشارع يُنوّعُ فيها بحَسْبِ المصلحة" انتهى.

وأما التغير بحسب الناظر فهو المجتهد المؤهل الناظر في النصوص، فيختلف اجتهاده في المسألة الواحدة بحسب ما جَدَّ له من نصوص وقرائن فيتغير اجتهاده.

وفي رسالة عمر رضي الله عنه المشهورة إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال له:(ولا يمنعنك قضاءٌ قَضيتَ به اليوم فراجعت فيه رأيك وهُديت فيه لرُشْدك أن تُراجعَ فيه الحق، فإنَّ الحق قديم، ولا يبطله شيءٌ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل).

قال ابن القيم في"إعلام الموقعين"(2/ 206) شارحاً لهذه الجملة:" يريد أنك إذا اجتهدت في حكومة ثم وقعت لك مرة أخرى فلا يمنعك الاجتهاد الأول من إعادته، فإنَّ الاجتهاد قد يتغير، ولا يكون الاجتهاد الأول مانعًا من العمل بالثاني إذا ظهر أنه الحق، فإنَّ الحقَّ أولى بالإيثار؛ لأنه قديمٌ سابقٌ على الباطل، فإن كان الاجتهاد الأول قد سبق الثاني والثاني هو الحق فهو أسبق من الاجتهاد الأول، لأنه قديم سابق على ما سواه،ولا يبطله وقوع الاجتهاد الأول على خلاف، بل الرجوع إليه أولى من التمادي على الاجتهاد الأول.

قال عبد الرزاق: حدثنا مَعْمر، عن سِماك بن الفَضْل، عن وهب بن مُنبِّه، عن الحكم بن مسعود الثقفي قال: قضى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في امرأة توفيت وتركت زوجها وأمها وإخوتها لأبيها وأمها وأخوتها لأمها، فأشرك عمر بين الإخوة للأم والأب والإخوة للأم في الثلث، فقال له رجل: إنك لم تشرك بينهم عام كذا وكذا، قال عمر: "تلك على ما قضينا يومئذٍ، وهذه على ما قضينا اليوم"؛ فأخذ أمير المؤمنين في كلا الاجتهادين بما ظهر له أنه الحق، ولم يمنعه القضاء الأول من الرجوع إلى الثاني، ولم ينقض الأول بالثاني؛ فجرى أئمة الإسلام بعده على هذين الأصلين" انتهى.

والمرجعُ في كلّ ذلك الى الشرع، فالنازلة إذا تغير متعلقها يتغير حكمها حسب الشرع، وليس حسب الأهواء، والمجتهد الناظر في النصوص يتغير اجتهاده بحسب ما يظهر له من النصوص لا من عقله وهواه. والقاعدة عند العلماء: إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي، وقبل ذلك قول الله تعالى: **(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي**

شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)[النساء: 59].

وعليه يجب أن أنْ يكون الاجتهاد القائم على مثل هذه المسْتَجَدَّات قائم على منهج صحيح هو منهج الأخذِ بالدليل والترجيح بالمرجَّحَات الصحيحة وليست الفوضى التي يراد فيها من كل قَول شاذٍّ أو غيره أنْ يتَحَول إلى حكم شرعي يُفْرَض على الأمة ولو كان مخالفًا لدليل من كتاب أو سنَّة، إذا وُجِدَ فأيُّ مسْألة مستجِدَّة لَا يُوجَدُ أي إشْكَال فالأمة الإسلاميَّة حتى لو كان بتقسيم بعض المجامع العلميَّة أو غيرها فإنَّه من الممكن أنْ يَتَدَارَكَهَا هذا النقص، حيث أَنَّهُ لَا يوجَدُ أي مشْكلة في أنْ يَلْتقي العلماء في أي مسألة تسْتَجِدُّ وينْظُرُونَ فيها من خِلَال واقِعِهَا، من خلال معلومَات المتخصصين فيها سواء كانت طبية أو تقنية أو غيرها، لكنَّ طَرْحَ المتغيراتِ بهذه الصُّورَة التي يبحثُ عندَ كل شُذُوذ وكل قول ليس عليه أي دلِيل وكل فتْوَى مخالفه لدلِيل صريح لتجعل هي التي تَسُود، نقول: كَلَّا، هَذَا في المنهج الإسلامي غير مقْبول وإنْ كُنَّا نَرْفُضُ العلمانيَّة وهذا واضحٌ جدًّا؛ لأنَّهُ عندنا لا انفكَاكَ بين الشريعة والعقيدة وأصولهما فكذلك أيضًا يجب أنْ ترفُضَ هذه الفوضى في الفتاوى.

وأختم بأنَّ الله عز وجل أمَرَنَا باتِّبَاعِ سَبِيلِهِ وَالسَّير عَلَى هذا الطَّرِيق: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ) [الأنعام:153]، ونبينا صلى الله عليه وسلم لَمَّا أخْبَرَ عن الافْتِرَاق والاخْتِلَافَ وهو أعْظَمُ المتغيرات، يعني وُجُود الرَّافِضَة والقَدَرِيَّة والجهمِيَّة، وَالصُّوفية وغيرهم من أهل البِدَع أعظم من وجود صنَاعات اليوم أعظم، الرَّسول صلى الله عليه وسلم لَمَّا أَخْبرنا عنْ أعْظَمِ المتغيرات في تاريخ هذه الأمة وهي متغيرات الفِرَق قال صلى الله عليه وسلم: **(فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ)** أخرجه أبو داود وابن ماجه وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع.

إذاً الأمة مأمورة بالسير على منهاج نبينا صلى الله عليه وسلم مهما تغير الزمان والمكان، فَنَحنُ كَمَا أنَّ الطيَّار والطبيب والمهَنْدِسُ الذي دَرَسَ في أَرْقَي الجَامِعَات الغَرْبِيَّة، كَمَا أَنَّهُ في تَخَصُّصُهِ الدَّقيقِ العِلْمي الحديث هو نفسه ما يَتَخَلَّى عَنْ صَلَاتِهِ وَلَا عَنْ صِيَامِهِ فكذلك أيضًا بالنسبة لمجمَلِ هَذِهِ الأمَّة، يُمْكِنُ لَهَا أنْ تَتَقَدَّمَ، وَتَتَطَوَّرَ وَلَا تَتَخَلَّى عَنْ دَعْوَتِهَا إلى الكتاب والسُّنَّة.

الفصل العاشر

محاسن الإسلام ومزاياه على غيره من الأديان والمذاهب والأفكار[1]

قبل البدء :ترجع أهمية هذا الموضوع إلى الجوانب التالية:

1- الجانب العلاجي: إن معرفة محاسن الإسلام تعرف المسلم بحقيقة دينه، وتكشف له عن جوانب تميزه وعظمته، فيقوى إيمانه بهذا الدين ويزيد تمسكه به.

2- الجانب الوقائي: إن معرفة محاسن الإسلام تعطي المسلم حصانة ووقاية أمام الشبهات التي تثار حول الإسلام، فإذا تعرف المسلم على محاسن دينه تلاشت أمامه الشبهات، وعرف زيفها وكذبها.

3- الجانب الدعوي: إن الحديث عن محاسن الإسلام والتعريف بها، وعرض حقائق هذا الدين وتوضيحها للناس، هو الأسلوب الأمثل في الدعوة إلى الله عز وجل، حيث يدفع غير المسلم إلى التعرف على هذا الدين وتبني مبادئه وقيمه. اهـ.

ومن فوائد معرفة هذا العلم – محاسن الدين –:

1- أن الاشتغال في هذا الموضوع الذي هو أشرف المواضيع وأجلها من أفضل الأعمال الصالحة، فمعرفته والبحث عنه والتفكير فيه، وسلوك كل طريق يحصل إلى معرفته خير ما شغل العبد به نفسه، والوقت الذي ينفق في ذلك هو للعبد لا عليه.

---

[1] - هذا الفصل ملخص من عدد من المقالات :

المقال الأول : أهمية تبيين محاسن الإسلام.. وأهم الكتب المؤلفة في ذلك – الشبكة الإسلامية.

المقال الثاني : محاسن الدين الإسلامي - د. أمين بن عبدالله الشقاوي – شبكة الألوكة.

المقال الثالث : مزايا الإسلام على الأديان – مجلة - دعوة الحق العدد 193 .

2- أن الناس يتفاوتون في الإيمان وكماله تفاوتًا عظيمًا، وكلما كان العبد أعرف بهذا الدين وأشد تعظيمًا له وسرورًا به وابتهاجًا، كان أكمل إيمانًا وأصح يقينًا، فإنه برهان على جميع أصول الإيمان وقواعده.

3- أن من أكبر الدعوة إلى دين الإسلام شرح ما احتوى عليه من المحاسن التي يقبلها ويتقبلها كل صاحب عقل وفطرة سليمة، فلو تصدى للدعوة إلى هذا الدين رجال يشرحون حقائقه ويبينون للخلق مصالحه لكان ذلك كافيًا كفاية تامة في جذب الخلق إليه لما يرون من موافقته للمصالح الدينية والدنيوية، ولصلاح الظاهر والباطن من غير حاجة إلى التعرض لدفع شبه المعارضين والطعن في أديان المخالفين، فإنه في نفسه يدفع كل شبهة تعارضه؛ لأنه حق مقرون بالبيان الواضح، والبراهين الموصلة إلى اليقين، فإذا كشف عن بعض حقائق هذا الدين صار أكبر داع إلى قبوله ورجحانه على غيره.

ثم اعلم بارك الله فيك أن لِلْإِسْلامِ محاسن ومزيا تميزه عن سائر الشرائع السابقة فضلا عن القوانين الوضعية التي هي من صنع البشر ؛ وأكتفي بذكر أهم عشر مزايا:

المزية الأولى : مَزِيَّةُ الرَّبَّانِيَّةُ:

هي مَزِيَّةٌ تُعَدُّ مَصْدَرًا عَامًّا لِمَزَايَاهُ عَلَى جَمِيعِ الشرائع فَهِيَ الَّتِي جَعَلَتْهُ تَشْرِيعًا صَادِرًا مِنَ اللهِ، وَوَحْيًا مِنْهُ سُبْحَانَهُ يَتَنَزَّهُ عَنْ صُنْعِ الْفِكْرِ الْبَشَرِيِّ الْقَاصِرِ، وَجُمُودِ الْعَقْلِ الْإِنْسَانِيِّ الْمَحْدُودِ. هَذِهِ السِّمَةُ الرَّبَّانِيَّةُ جَعَلَتْ مِنْ هَذَا الدِّينِ الْإِسْلامِيِّ تَشْرِيعًا يَسْتَمِدُّ عَقِيدَتَهُ وَأَحْكَامَهُ وَأَخْلاقَهُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَلِذَلِكَ فَهُوَ يَخْتَلِفُ عَنِ الْقَوَانِينِ الْمَوْضُوعَةِ، وَالتَّصَوُّرَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ، فَلَمْ تَكُنْ قَوَاعِدُهُ أَعْرَافًا سَابِقَةً فَتَبَنَّاهَا، أَوْ أُصُولًا لِمَبَادِئَ قَانُونِيَّةٍ فَجَمَعَهَا، أَوْ تَصَوُّرَاتٍ فَلْسَفِيَّةٍ قَدِيمَةٍ فَعَدَّلَهَا، وَإِنَّمَا هِيَ شَرِيعَةٌ سَمَاوِيَّةٌ فِي مَبْنَاهَا وَمَعْنَاهَا، لَمْ تُسْتَمَدَّ مِنْ غَيْرِهَا، وَلَمْ يَشُبْهَا عَيْبٌ كَالَّذِي شَابَ سِوَاهَا مِنَ الدِّيَانَاتِ، فَكَانَتِ الشَّرِيعَةُ الَّتِي لَامَسَتِ الْحَيَاةَ الْإِنْسَانِيَّةَ، وَتَفَاعَلَتْ بِقُوَّةٍ مَعَ

الشُّعُورِ وَالْوِجْدَانِ، وَارْتَبَطَتْ بِوَاقِعِ النَّاسِ، وَاسْتَجَابَتْ لِمَطَالِبِهِمْ فِي حُدُودِ الْأَخْلَاقِ، وَالْتَقَتْ مَعَ الْفِطْرَةِ، وَسَمَتْ بِالْإِنْسَانِ وَكَرَامَتِهِ، وَأَقَامَتِ الْعَدْلَ، وَنَشَرَتِ الْأَمْنَ، وَصَحَّحَتِ الْأَوْضَاعَ الْفَاسِدَةَ .

لَقَدِ اسْتَطَاعَ الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ وَحْدَهُ أَنْ يَحْتَفِظَ بِرَبَّانِيَّتِهِ دُونَ سَائِرِ الدِّيَانَاتِ الْأُخْرَى الَّتِي دَخَلَهَا التَّحْرِيفُ فَبَدَّلَ جَوْهَرَهَا وَحَقِيقَتَهَا،وَأَلْبَسَ فِيهَا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَتَسَرَّبَ إِلَيْهَا مَا أَفْسَدَهَا مِنَ الْمُعْتَقَدَاتِ الْوَثَنِيَّةِ، وَمَا شَوَّهَهَا مِنَ التَّصَوُّرَاتِ الْخَاطِئَةِ الضَّالَّةِ. وَوِزْرُ ذَلِكَ كُلِّهِ عَلَى أَهْلِهَا الَّذِينَ أَخَذَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ لكنهم بَدَّلُوا وَغَيَّرُوا؛ قَالَ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ**﴾ [آل عمران: 187] .

وَقَدْ شَمِلَ هَذَا التَّحْرِيفُ الْمَقْصُودُ كُلَّ جَوَانِبِ الْحَيَاةِ فِي دِيَانَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ فَقَدْ تَنَاوَلَ التَّحْرِيفُ الْعَقِيدَةَ وَالتَّشْرِيعَ، وَالْحِكَمَ وَالأَخْلاقَ، وَالْعِبَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ، حَتَّى أَصْبَحَتِ التَّوْرَاةُ والْإِنْجِيلُ لَا تَمُتَّانِ بَصِلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ، وَأَصْبَحَتِ الْقَوَانِينُ الْإِلَهِيَّةُ مِنْ حَيْثُ التَّطْبِيقِ مُعَطَّلَةً مَهْجُورَةً، وَمِنْ صُنْعِ الْبَشَرِ أَنْفُسِهِمْ.

وَقَدْ صَوَّرَ لَنَا الْقُرْآنُ هَذَا الْعَمَلَ الْإِجْرَامِيَّ فِي حَقِّ شَرِيعَةِ اللهِ مِنْ طَرَفِ مَنْ بَاشَرُوا التَّحْرِيفَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿**أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: 75].

المزية الثانية : وضوح العقيدة وسهولة فهمها:

مِمَّا يُمَيِّزُ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ السَّمْحَةَ –أَيُّهَا الْإِخْوَةُ– أَنَّ الْإِسْلامَ أَرْشَدَ الْإِنْسَانَ إِلَى عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ الصَّافِيَةِ الْغَالِيَةِ، السَّهْلَةِ السَّائِغَةِ، الْحَافِزَةِ لِلْهِمَمِ، الْبَاعِثَةِ لِلْحَيَاةِ، لَمْ تَنَلْ وَلَنْ تَنَالَ الْإِنْسَانِيَّةُ مِثْلَهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، هَذِهِ الْعَقِيدَةُ تَقُولُ: إِنَّ الْإِسْلامَ. اسْتِسْلامٌ وَانْقِيادٌ وَإِذْعَانٌ لِأَمْرِ اللهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يُوجِبُ إِفْرَادَ الْإِلَهِ الْمَعْبُودِ سُبْحَانَهُ بِالْعِبَادَةِ، بِصَرْفِ

جَمِيعِ أَنْوَاعِهَا لَهُ وَحْدَهُ، بِإِخْلاَصٍ لَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ وَمُتَابَعَةٍ لِرَسُولِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ مُسْتَلْزِمٌ لِلْبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ .

هَذِهِ الْعَقِيدَةُ تَقُولُ: إِنَّ هَذَا الْعَالَمَ لَهُ مَلِكٌ وَاحِدٌ، هُوَ خَالِقُهُ، وَصَانِعُهُ، وَحَاكِمُهُ، وَمُدَبِّرُهُ، لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ كُلُّهُ، وَلَهُ الْحُكْمُ سُبْحَانَهُ جَلَّ شَأْنُهُ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿**سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ [الحديد 1، 6].

فَإِذَا ذُكِرَتْ نِعَمُ اللَّهِ وَعُدَّتْ فَإِنَّ أَجَلَّهَا وَأَفْضَلَهَا تَوْحِيدُ اللهِ وَإِفْرَادُهُ بِالْعِبَادَةِ؛ إِنَّهَا الْغَايَةُ مِنْ خَلْقِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ. بِهَذِهِ الْعَقِيدَةِ تَخَلَّصَ الْإِنْسَانُ مِنْ كُلِّ خَوْفٍ وَوَجَلٍ، وَصَارَ لَا يَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللهَ، وَعَلِمَ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الضَّارُّ وَالنَّافِعُ، وَالْمُعْطِي وَالْمَانِعُ، وَأَنَّهُ وَحْدَهُ الْكَفِيلُ لِحَاجَاتِ الْبَشَرِ، فَتَغَيَّرَ الْعَالَمُ كُلُّهُ فِي نَظَرِهِ بِهَذِهِ الْمَعْرِفَةِ الْجَدِيدَةِ وَالاكْتِشَافِ الْجَدِيدِ، وَصَارَ مَصُونًا عَنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ وَالرِّقِّ، وَعَنْ كُلِّ رَجَاءٍ وَخَوْفٍ مِنَ الْمَخْلُوقِ، فَاعْتَزَّ بِنَفْسِهِ وَفَرِحَ بِكَرَامَتِهِ وَعَرَفَ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ مُكَرَّمٌ مِنْ خَالِقِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَعْبُدُ أَحَدًا غَيْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.. نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَهْدِيَنَا سَوَاءَ السَّبِيلِ، وَأَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى هَذَا الدِّينِ الْقَوِيمِ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

المزية الثالثة : ليس فيه تفسير باطني للأحكام أو التصورات:

مِنْ مَزَايَا هَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ فِيهِ كِتَابٌ مُغْلَقٌ، أَوْ تَفْسِيرٌ بَاطِنِيٌّ مُبْهَمٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا الْخَوَاصُّ مِنَ الْعُلَمَاءِ، ولاَ يُوجَدُ فيه خُطُوطٌ حَمْرَاءُ لَا يَحِقُّ لِأَحَدٍ تَجَاوُزُهَا وَالسُّؤَالُ عَنْهَا، فَإِنْ

أَصَرَّ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ أَوْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ آفَةٌ سَمَاوِيَّةٌ، كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي بَعْضِ الدِّيَانَاتِ الْأُخْرَى، أَوْ كَمَا هُوَ عِنْدَ بَعْضِ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ الْمُنْحَرِفَةِ الَّتِي تَدَّعِي الْإِسْلَامَ؛ حَيْثُ أَنَّ الْعَالِمَ أَوْ رَجُلَ الدِّيْنِ هُوَ وَحْدَهُ الْمَرْجِعُ فِي تَفْسِيرِ الدِّينِ وَالتَّحَكُّمِ فِي أَمْرِهِ، وَهُمْ كَذَلِكَ مَعْصُومُونَ – عِنْدَهُمْ – وَمُتَّصِلُونَ بِالْخَالِقِ وَحْدَهُمْ فَقَطْ. وَنَحْنُ عَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ –وللهِ الْحَمْدُ– فَدِينُنَا وَاضِحٌ وَمُتَاحٌ لأَيِّ أَحَدٍ.

عَقِيدَةٌ وَاضِحَةٌ لَا غُمُوضٌ فِيهَا وَلَا تَعْقِيدٌ لَيْسَ فِيهَا أَلْغَازٌ وَلَا فَلْسَفَاتٌ، فَالْعَقِيدَةُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَعَلَى أَلْسِنَةِ أَكْثَرِ السَّلَفِ، سَهْلَةٌ مَيْسُورَةٌ يَفْهَمُهَا الْعَامِّيُّ بِقَدْرٍ، وَالْمُثَقَّفُ بِقَدْرٍ، وَطَالِبُ الْعِلْمِ بِقَدْرٍ، وَالْعَالِمُ الرَّاسِخُ بِقَدْرٍ، كلٌ يَفْهَمُهَا، لَيْسَ فِي ثَوَابِتِ الْعَقِيدَةِ مَا لَا يُفْهَمُ، لَيْسَ فِيهَا مَا هُوَ عَسِيرٌ بِعَكْسِ عَقَائِدِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ، وَهَذَا أَمْرٌ عَجِيبٌ؛ فَكُلُّ الْأَدْيَانِ الْأُخْرَى وَمَقَالَاتِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ يُوجَدُ فِي أُصُولِهِمْ مَا لَا يَفْهَمُهُ إِلَّا الْخَاصَّةُ مِنْهُمْ بِدُونِ اسْتِثْنَاءٍ، فَلَا يَفْهَمُهُ الْعَوَامُّ، بَلْ لاَ يَفْهَمُهُ من طُلاَّبِ عِلْمِهِمْ إِلّا النَّذْرُ الْيَسِيرُ، مَا عَدَا الْعَقِيدَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ، عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. فَالْعَقِيدَةُ الْحَقُّ تَتَمَيَّزُ بِالسُّهُولَةِ وَالْيُسْرِ وَالْإِحْكَامِ وَالْوُضُوحِ، وأَيضاً بِثُبُوتِ الْمُصْطَلَحَاتِ والأُصُولِ، فَأُصُولُ الْعَقِيدَةِ كُلِّهَا ومُصْطَلَحَاتِهَا الشَّرْعِيَّةِ ثَابِتَةٌ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، لَا تَخْتَلِفُ مِنْ وَقْتٍ إِلَى آخَرَ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

المزية الرابعة :تشريعات الإسلام شاملة لجميع الجوانب الحياتية للبشرية :

الشمول بأوسع معانيه، و رحابة جوانبه، وسعة أفقه، نابع من شمول الإرادة الإلهية، فالله وحده هو الذي يوصف بالعلم المطلق، و الغنى المطلق، و السمع المطلق، و القدرة المطلقة التي لا تحدها قيود و لا حدود. قال تعالى: (**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**) النحل: 40.

ومن هنا كان منهجه الرباني شاملا كاملا، يتسع لكل ذرة من ذرات هذا الكون، و يخاطب النفس البشرية بكل جوانبها و اتجاهاتها و حاجاتها، و يلبي رغباتها و يتساوق مع فطرتها وطاقاتها.

ولن يتأتى للإنسان القاصر، المحدود الإدراك والزمان والمكان والنظر، والمحكوم بصفتي الضعف والهوى، أن ينشئ لنفسه و لمن حوله منهجا شاملا في تصوره، كاملا في صنعه، وهو – وأن شاء الله – فسيكون موسوما بسمة الجزئية، لا يتناول الأشياء من جميع زواياها ولا ولا يصلح للمكان و الزمان و الجيل و البيئة إلا بمقدار.

والإنسان من تلبية المنهج الرباني الشامل لكل حاجاته، ينطلق غير معذور في عمله، حركيا نشيطا يؤدي دوره في الحياة، ويبلغ رسالته في الوجود، وهو في هذا النشاط الإنساني، يتميز في دائرة الدين بكونه يعمل لله، في الوقت الذي يعمل لنفسه، و يعيش لدنياه، في الوقت الذي يعيش لآخرته، وهذا ما يجعله في عبادة مستمرة لله بشرط أن يكون عمله مقرونا بالطاعة و الإخلاص، و تمحيض النية و النصح لله وحده لا لشريك له.

وإذا استقصينا دائرة هذا الشمول في مجال الحياة البشرية على الخصوص فسنجد أن هذا المنهج الرباني عالج كل شؤون الحياة الإنسانية، توغل إلى زواياها و أطرافها.

فقد تناول النفس البشرية في كل أطوارها ومراحلها، و تناول شؤون الأسرة، وما يكتنف هذه الشؤون من ملابسات وظروف، وتناول المجتمع ومشاكله، وتنظيمه وما يصلحه اجتماعيا واقتصاديا وما يحميه في أخلاقه ومعاملته، وما يوفر له الأمن والاستقرار والازدهار، وما يضمن له النمو و البقاء.

وتناول الشمول العلاقات الدولية والإنسانية، ما يكتنفها من ضرورة وحدة الأمة الإسلامية وأخوتها، و اتحادها و قوتها، و معاملتها لباقي الدول الأخرى معاملة إنسانية دون أي اعتبار للجنس أو اللون أو الإقليم أو اللغة أو الدين، و علاقاتها بها في حالتي السلم و الحرب.

وتناول الشمول شؤون السياسة و نظام الحكم في الإسلام، وأن هذا النظام مبني على أساس العدل و الشؤون و المساواة، وجلب المصلحة و درء المفسدة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأن الحاكمية في هذا النظام لله، و أن مصدر التشريع هو الكتاب و السنة قال تعالى :(**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**) سورة النساء الآية 58.

وأن السطلة التنفيذية و القضائية ملتزمتان بإقامة الحدود، و إحقاق الحق، و إزهاق الباطل، ورعاية المصالح.

وتناول الشمول أسس الدين من عبادات و معاملات و أخلاق، و أفهم الإنسان المومن أن وجوده في هذه الحياة لم يكن عبثا، و أنه مكلف بجيمع التكاليف الشرعية، و أنه يتحمل مسؤوليته فيها و هو متابع عليها، قال تعالى: (**وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ *وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ**) سورة النجم (39-41) وأن حياة الدنيا دار عمل وان الآخرة دار جزاء، وانه محاسب عما قدم، ولا يواخذ بجريرة الآخرين قال تعالى :(**أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ**) **النجم 38.**

وسوى في ذلك بين الرجل والمرأة، فقال تعالى: (**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**)[1] البقرة 228.

وتناول الشمول كليات الدين الخمس التي جاء الإسلام بالمحافظة عليها وهي: الدين- والنفس- والعقل- والمال- والعرض.

---

[1] - **والمراد بالدرجة في قوله تعالى : (وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) أي: رفعة ورياسة, وزيادة حق عليها, كما قال تعالى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) ومنصب النبوة والقضاء, والإمامة الصغرى والكبرى, وسائر الولايات مختص بالرجال, وله ضعفا ما لها في كثير من الأمور, كالميراث ونحوه). نقلا عن تفسير السعدي.**

ووضع لها حدودا لا يتعداها المؤمن، و أوجب لها و للحفاظ عليها واجبات يتعين التزامها، ومنع لها أيضا محظورات يجب الابتعاد عنها.

وشمل ذلك من حيث الواجبات : العبادات وحقوق النفس، والتربية والتعليم، و تنمية المال بالوسائل المشروعة، أحصان الفرج بالزواج إلى آخ.

ومن حيث الحوافظ و المحظورات: كل المعاصي التي تبعد المومن عن طاعة ربه، و تلقي بنفسه إلى التهلكة من قتل و انتحار، و تذهب بعقله، كالمسكرات و المخدرات، و تفني ماله كالتبذير و السرقة و الربا و أكل أموال الناس بالباطل، و تخدش عرضه و تشين كرامته كالزنى و القذف، و نهش أعراض الناس و إشاعة الفتنة و الفاحشة بينهم. قال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)** النور : 19.

فهي الحياة و الغداء و الدواء، و النور و الشفاء و العصمة. و كل خير في الوجود فإنما هو مستفاد منها، و حاصل بها، و كل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها. فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي عمود العالم، و قطب الفلاح، و السعادة في الدنيا و في الآخرة.اهـ.

المزية الخامسة : الإسلام دين جاء بالتوازن وأمر به:

تتصل هذه المزية بالشمول، لان شمول المنهج الرباني يقتضي ان يكون متوازنا، لا شطط فيه ولا غلو، و لا إحراج و لا تفريط.

والتوازن يحفظ الدين من التأرجح، فلا يطغى جانب على جانب، ويحقق الانسجام بين الإنسان و الكون والحياة.

كما أنه يحدد العلاقة الموجودة بين العبد وربه، فيقف الإنسان في حدود هذه العلاقة في مقام مكرم، وهو مقام العبودية لله، يستجيب لندائه، ويمتثل طائعا لأمره، ولا يذل لأحد غيره.

ويعني التوازن ان الدين وسط جامع بين حقوق الروح والجسد، فلا تطغى حدود الجسد ومطالبه المادية كما عند اليهود ولا تطغى التعاليم الروحية والزهد والرهبنة كما عند النصارى وغيرهم.

ويعني التوازن ان الدين يقوم على الانسجام بين العقيدة والشريعة ولا يقبل الفصل بينهما، انه يوازن في حياة الناس بين عقيدة يومنون بها على أساس التوحيد الخالص لله و بين شريعة يحكمونها و يطبقونها فيما بينهم صادرة عن ربهم الذي يعبدونه و يفردونه بالألوهية.

وهذا الانسجام هو الذي يحررهم من أي هيمنة الإله المهيمن، و يجعلهم يندفعون إلى العمل بمقتضى الشريعة بحافز من الإيمان الخالص.

ويعني التوازن أن الدين يوصي بأن يعمل الإنسان لدنياه كما يعمل لآخرته، فلا تنسيه مطالب الدنيا وزخارفها الاستعداد للآخرة، ولا تشغله هذه عن تلك، لان ما بينهما من تلازم و توازن مع أخلاص النية يجعله في عبادة مستمرة، قال تعالى: **(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)** القصص: 77.

والإسلام في هذا التوازن يحث على السعي و الكسب، وأكل الحلال الطيب، والتمتع بزينة الحياة الدنيا في غير رهبنة ولا تبتل، ولا انقطاع وعزلة عن الناس، قال تعالى: **(قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)** الأعراف : 32.

ويروى أن عمر بن الخطاب (**نظر الي رجل متماوت يظهر التنسك ؛ فخفقه بالدرة وقال له: لا تمت علينا ديننا أمانك الله**).

ويعني التوازن ان الإسلام دين ودولة، قد شرع للناس ما يحفظ دينهم و دنياهم، و معاشهم ومعادهم، فكما انه أمرهم بالتزام أصول الدين الثلاثة: الإيمان و الإسلام و الإحسان، كما ورد ذلك في حديث جبريل المشهور، فقد جاء بتشريعات كذلك تنظم حياة الناس ومعاملاتهم وعلاقاتهم، من بيع وشراء، وزواج و طلاق، ووصية وميراث، وشركة وإجارة، واشهاد وضمان وقصاص وحدود، وحكم و سياسة.الخ.

ويعني التوازن، أن الدين يربط العقل بالقلب، والسر بالعلن، والمظهر بالمخبر، والعلم بالدين، و الرغبة بالرهبة، و النية بالعمل، و الأسباب بالمسببات،و يوصي المؤمن أن يحافظ على هذا التوازن في كل الأحوال: في حالة العسر و اليسر، و الراء و الشدة، و المنشط والمكره،والرضى والغضب، و بذلك تؤدى الأعمال بعيدا عن الاعتبارات في أمانة و إخلاص دون نفاق أو رياء، أو غش أو خداع.

ويعني التوازن ان هذا الدين يسر لا حرج فيه ولا عسر، مسهل لا إرهاق فيه ولا إعانات. فهو إذ يحفظ للإنسان كرامته و هو عبد لله: لا يشتط في تكليفه بما لا يطيق، بل يوازن بين قدراته واستعداداته، وبين ما يتحمله من التكاليف الشرعية، التي لا تخرج في جملتها عن طاقته كإنسان ضعيف.

قال تعالى: (**يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا**) سورة النساء، الآية: 28.

وقال تعالى : (**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**) البقرة : 185.ونحوهما من الآيات.

وروى الإمام احمد في مسنده عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: **(أحبُّ الدينِ إلى اللهِ الحنفيةُ السمحةُ)** وقد روعي في يسر التكاليف الشرعية: البساطة وعدم التعقيد حتى تكون في متناول الجميع.

وكونها تهتم بما يوجد عليه أهل التكليف من تفاوت في القوة و الضعف، و الأنوثة و الرجولة و الشباب و الشيخوخة، و الإقامة و السفر، و غيرها من الأحوال.

وكون هذه التكاليف تنقسم بحسب ذلك إلى عزائم و رخص، فالتكليف مثلا إذا كان شاقا يعوض بما هو أهون و أيسر، كالفطر في رمضان لعجز أو مرض، لقول الرسول صلى الله عليه و سلم: **(إنَّ اللهَ يُحِبُّ أن تُؤتَى رُخَصُه كما يُحِبُّ أن تُوتى عَزائِمُه)**[1].

وبرفع الحرج ويسر التكاليف استطاع الإنسان في هذا الدين أن يتحرر من كثير من الأثقال والتبعات التي كان يرزح تحتها زمنا طويلا في ظل التشريعات السابقة: الوضعية منها، أو التي حرفت عن الديانات السماوية. فقضى الإسلام على الفوارق و الطبقات، و تحرر الإنسان من الاستعباد والاسترقاق، و من السيطرة و ظلم الأسياد.

وتحررت المراة و أصبحت لها مكانتها تشارك الرجل في الأحكام و تتاجر و ترث بعد أن كانت متاعا يورث، و لا قيمة له.

وتحررت حقوق الناس وأموالهم من الربا و التعدي و السحت، فأصبح الإنسان آمنا على نفسه و ماله و عرضه.

وعلى كل حال: فرفع الحرج يعد ميزة هذا الدين. والحكمة منه كما قال الإمام الشاطبي في الموافقات ملحوظة من وجهين:

---

[1] - **أخرجه ابن حبان (354)، والطبراني ؛ وصححه شعيب الأرناؤوط تخريج شرح الطحاوية.**

أحدهما: الخوف من الانقطاع من الطريق، و بعض العيادة، و كراهة التكليف، و ينتظم تحت هذا المعنى الخوف من إدخال الفساد عليه في جسمه أو عقله أو ماله أو حاله.

والثاني: خوف التقصير عند مزاحمة الوظائف المتعلقة بالعبد المختلفة الأنواع، مثل قيامه على أهله و ولده، إلى تكاليف أخرى تأتي في الطريق، فربما كان التوغل في بعض الأعمال شاغلا عنها، و قاطعا بالمكلف دونها. 1هـ.

المزية السادسة : الإسلام دين جاء ليستمر على الدوام وهو صلاح لكل إنسان وزمان ومكان:

تعني هذه المزية أن شريعة الإسلام صدرت من رب العالمين لتكون دائمة و صالحة لكل زمان، لا لتنسخ بسرعة أخرى، ولا ليعفي عليها الزمن فتبلى أحكامها، و لا لتتغير في أصولها و مبادئها. و قد تقدم في ميزة الثبات أن هذا الدين ثابت في أسسه و قواعده الكبرى، و أن أمكن التغير من جزئياته و فروعه و مستجداته. وهذا الثبات هو الذي يضمن لهذه الأصول الدوام و الخلود، و الاستقرار و الاطمئنان.

فليس الإسلام شريعة محرفة قد تغيرت أحكامها كما وقع للتوراة و الإنجيل، و لا دساتير موضوعة تحتاج في كل مرة إلى العوض و البديل، و إنما هي شريعة محكمة حفظها الله من الزيغ و الباطل، و عصمها من الهوى و الضلال: قال تعالى: **(إِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41) لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)** سورة فصلت (41-42).

وهذا ما يحفظ التشريع الإسلامي من الهزات و الرجات، و يكسبه الاستقرار على مر الأيام، ويجعل المسلمين يرتبطون به و يلتزمونه، و يطمئنون نفسيا إليه، و يمارسونه عن طواعية ورضى، و لا يستنكفون من تطبيقه.

ونتيجة لثبات الشريعة و دوامها لكون مصدرها واحد و هو الله، فإنما صلحت لكل زمان ومكان على اختلاف أحوال الناس و بيئاتهم، و ظروفهم و ملابساتهم، و أنظمتهم و عاداتهم، ومللهم و نحلهم، و شعوبهم و مجتمعاتهم، و طباعهم و أخلاقهم، و اختلاف ألسنتهم وألوانهم.

فلا اثر فيها للفوارق المبنية على الدم أو الجنس، أو اللغة أو اللون، أو غير ذلك من دعاوى الجاهلية الباطلة، فقد حرر الإسلام البشرية من هذا الميز المقيت، وسور بين الناس في الواجبات و الأحكام.

وأبطل التفاضل بينهم إلا على أساس التقوى والعمل الصالح. قال تعالى: (**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**) الحجرات: (13) وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم في حجة الوداع: (**ألَا لا فَضْلَ لِعَربِيّ على عَجَميٍّ، ولا لعَجَميٍّ على عَرَبِيّ، ولا أحمَرَ على أسوَدَ، ولا أسوَدَ على أحمَرَ؛ إلَّا بالتَّقْوى**).رواه أحمد وصححه الأرناؤوط في تخريج المسند.

ولم تكن لتتوفر للشريعة هذه الصلاحية، لو لم تكن تلك الشريعة الكاملة الوافية الأغراض والمقاصد، مما جعل الناس يستظلون بظلها، و يجدون في رحابها الأمن و الأمان، و الخير والسلام، ومن هناك كانت شريعة عامة إلى الناس كافة، وكانت رسالتها هي خاتمة الرسالات، و رسولها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبوات ؛ قال تعالى: (**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**) الأعراف: 158.

وقد كانت البشرية في عهودها السابقة لا تعرق إلا الرسالات الخاصة، المحدودة في أقاليم معينة، و أزمنة معينة، و أقوام معينين، قال سبحانه: (**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**) سورة يونس: 47.

ومع عموم رسالة الإسلام وشمولها، فالمسلمون مدعوون إلى الإيمان بجميع الرسالات السابقة، ولا يتم إيمانهم إلا عن طريق ذلك، قال تعالى: (**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ**

وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ) سورة البقرة: 285.

وإذا بحثنا في طبيعة هذا العموم الذي تتميز به رسالة الإسلام نجد أن الحواجز التي كانت تحول دون تعميم الرسالة إلى البشر قد زالت: كالعزلة التي كان يعيش عليها الناس. و عدم التفتح على غيرهم بواسطة اللغة و الثقافة و الفكر والسياسية و الحكم و صعوبة المواصلات. وعدم الاستعداد لإدراك ماهية التشريع في الرسالة، و أسراره و غاياته. و اختلاف درجات الناس في الفهم و العادات و الأخلاق.

وكون ما يلائم هذه الفئة من الناس لا يلائم الفئة الأخرى. ففلما جاءت رسالة الإسلام، وجدت الناس قد وصلوا إلى درجة التقبل و مسيس الحاجة إلى رسالة شافية كافية، فتقبلها الناس عن طواعية و اقتناع، و وجدت منهم القلب الخالي فتمكنت، و تسرب هديها إلى قلوبهم فطهرها، و إلى نفوسهم فهذبها، و إلى حياتهم فنظمها، و إلى أخلاقهم فسما بها، وإلى معاملاتهم فأصلحها، و ألهمتهم الرشد، و بلغتهم القصد، و لبت حاجة في نفوسهم ما كانت لتقضى لولاها، و أخرجتهم من الظلمات إلى النور، و دعتهم إلى النظر و الفكر، وحررت عقولهم من الشعوذة و الخرافة، و رقابهم من الهيمنة و القسر، و قلوبهم من الاعتقاد الفاسد.

قال الله تعالى: **(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)** سورة المائدة (3).

و قال النبي صلى الله عليه و سلم: **(إنَّ مَثَلِي ومَثَلَ الأنْبياءِ مِن قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فأحْسَنَهُ وأَجْمَلَهُ، إلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِن زاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ به، ويَعْجَبُونَ له، ويقولونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هذِه اللَّبِنَةُ؟ قالَ: فأنا اللَّبِنَةُ، وأنا خاتِمُ النَّبِيِّينَ)** متفق عليه.

المزية السابعة : انْتِفَاءُ الْوَسَائِطِ بَيْنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبَيْنَ عِبَادِهِ

فَلَا كِهَانَةَ وَلَا وَسَاطَةَ وَلَا شُفَعَاءَ بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي قَضَاءِ الْحَوَائِجِ وَكَشْفِ الْمُلِمَّاتِ وَتَفْرِيجِ الْكُرُبَاتِ، بَلْ لِكُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِهِ أَنْ يَتَّصِلَ بِهِ سُبْحَانَهُ مُبَاشَرَةً وَدُونَ حَاجَةٍ لِأَحَدٍ كَيْ يَشْفَعَ لَهُ أَوْ يَرْفَعَ حَوَائِجَهُ إِلَى اللهِ، كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي بَعْضِ الدِّيَانَاتِ الْأُخْرَى، وَكَمَا هُوَ الْحَالُ أَيْضًا عِنْدَ بَعْضٍ مِمَّنْ يَنْتَسِبُونَ لِلْإِسْلَامِ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ مِمَّنْ يَتَحَكَّمُونَ وَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ بِاحْتِكَارِ الْعِبَادَةِ .

نَعَمْ.. لَيْسَ فِي الْإِسْلَامِ وَسَائِطُ، حَتَّى وَلَوْ كَانَ الْوَسِيطُ مَلَكًا مُقَرَّبًا أَوْ رَسُولاً مُرْسَلاً، تَأَمَّلْ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [غافر: 60] وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الصِّلَةَ الْمُطْلَقَةَ بِالْخَالِقِ سُبْحَانَهُ دُونَ الْحَاجَةِ إِلَى مَخْلُوقٍ لَهَا أَثَرٌ عَمِيقٌ فِي النَّفْسِ؛ حَيْثُ إِنَّ هَذَا الْمَخْلُوقَ الضَّعِيفَ يَسْتَمِدُّ قُوَّتَهُ وَعِزَّتَهُ مِنَ اللهِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ، وَيَشْعُرُ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ بِرَحْمَةِ اللهِ وَكَرَمِهِ وَإِحْسَانِهِ.

المزية الثامنة : فتح باب التوبة للمذنبين مهما عظمت ذنوبهم :

فمِنْ مَزَايَا هَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ أَنَّ مَنْ تَلَبَّسَ بِأَعْظَمِ الذُّنُوبِ، وَارْتَكَبَ أَشَدَّ الْجَرَائِمِ، وَاقْتَرَفَ أَشَدَّ الْمُوبِقَاتِ، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَتُوبَ وَيَرْجِعَ إِلَى رَبِّهِ فَمَا عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَطْلُبَ الصَّفْحَ مِنَ اللهِ، وَيَفْتَحَ صَفْحَةَ الصِّدْقِ مَعَ الْكَرِيمِ التَّوَّابِ، وَيَعْقِدَ الْعَزْمَ عَلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي والآثَامِ، وَعَلَى عَدَمِ الْعَوْدِ إِلَى تِلْكَ الْأَيَّامِ الْخَوَالِي .

وَعَلَيْهِ كَذَلِكَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَظَالِمِ وَأَنْ يَرُدَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا، وَيَضْرَعَ إِلَى اللهِ بِالتَّوْبَةِ وَطَلَبِ الْغُفْرَانِ. وَهُوَ بِهَذَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى إِجْرَاءَاتٍ أَوْ مُعَامَلَاتٍ لَدَى جِهَاتٍ قَضَائِيَّةٍ أَوْ مَدَنِيَّةٍ أَوْ أَمْنِيَّةٍ، وَلَا إِلَى مُوَافَقَةِ عَالِمٍ أَوْ رَاهِبٍ أَوْ قِدِّيسٍ أَوْ مَرْجِعٍ، بَلْ هُوَ سَهْلٌ مَيْسُورٌ؛ فَيُمْكِنُهُ أَنْ يَتُوبَ وَيَرْجِعَ إِلَى رَبِّهِ وَلَوْ فِي قَلْبِ الصَحْرَاءِ أَوْ فِي قَاعِ الْبِحَارِ الظَّلْمَاءِ.

المزية التاسع : الإسلام أمر بكل خير تسعد به البشرية ونهى عن كل شر تشقى به البشرية:

أَلَا وَإِنَّ مِنْ مَحَاسِنِ الشَّرِيعَةِ أَنَّ الْإِسْلامَ قَدْ أَمَرَ بِكُلِّ خَيْرٍ وَنَهَى عَنْ كُلِّ شَرٍّ، وَأَمَرَ بِسَائِرِ الْآدَابِ وَمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ؛ كالصِّدْقِ وَالْحِلْمِ وَالرِّفْقِ وَالتَّوَاضُعِ، وَالْحَيَاءِ وَالْوَفَاءِ بِالْوَعْدِ وَالرَّحْمَةِ وَالْعَدْلِ وَالشَّجَاعَةِ، وَالصَّبْرِ وَالْقَنَاعَةِ وَالْعِفَّةِ، وَالْأَمَانَةِ وَالشُّكْرِ عَلَى الْمَعْرُوفِ، وَكَظْمِ الْغَيْظِ.

وَأَمَرَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَإِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْجَارِ، وَحِفْظِ مَالِ الْيَتِيمِ وَرِعَايَتِهِ، وَرَحْمَةِ الصَّغِيرِ وَاحْتِرَامِ الْكَبِيرِ وَالرِّفْقِ بِالْخَدَمِ وَالْحَيَوَانَاتِ، وَإِمَاطَةِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، وَالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ، وَنَصِيحَةِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ وَقَضَاءِ حَوَائِجِ الْمُسْلِمِينَ، وإِنْظَارِ الْمُعْسِرِ ... وَغَيْرِ ذلِكَ مِنَ الْقِيَمِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا الْإِسْلامُ وَحَثَّ عَلَيْهَا.

المزية العاشرة: الإسلام عظَّم شأن العلم ورفع من شأن العلماء بكل تخصصاتهم:

لِلْعِلْمِ فِي الْإِسْلامِ مَكَانَةٌ سَامِيَةٌ، وَيَكْفِي دَلالَةً عَلَى ذَلِكَ أَنَّ أَوَّلَ كَلِمَةٍ نَزَلَتْ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّ الْهُدَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هِي قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ اِقْرَأْ ﴾. وَعِنْدَ إِحْصَاءِ عَدَدِ الْمَرَّاتِ الَّتِي جَاءَتْ فِيهَا كَلِمَةُ (الْعِلْمِ) بِمُشْتَقَّاتِهَا الْمُخْتَلِفَةِ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى نَجِدُ أَنَّهَا – وَبِلَا مُبَالَغَةٍ– تَزِيدُ عَنْ سَبْعِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ مَرَّةً. اللهُ أَكْبَرُ... دِيْنٌ يَحْتَرِمُ الْعِلْمَ وَالْعُلَمَاءَ وَيُجِلُّهُمْ.

بلَ قَدْ جَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَيْرَ مُتَوَقِّفاً عَلَى الْعِلْمِ؛ فَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**)، بَلْ وَجَعَلَهُ الطَّرِيقَ الْمُوصِلَ إِلَى الْجَنَّةِ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ: (**وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**) رَوَاهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ.

وَلَمْ يَقِفْ هَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ أَبَدًا عَائِقًا فِي طَرِيقِ الطَّالِبِينَ لِلْعِلْمِ، سَواءٌ فِي الْجَانِبِ النَّظَرِيِّ أَوْ فِي الْجَانِبِ الْعَمَلِيِّ التَّطْبِيقِيِّ؛ فَقَدْ دَعَا إِلَى تَعَلُّمِ سَائِرِ الْعُلُومِ النَّافِعَةِ عَلَى اخْتِلاَفِ دَرَاجَاتِهَا، فَأَفْضَلُهَا عِلْمُ الشَّرِيعَةِ، ثُمَّ عِلْمُ الطِّبِّ، ثُمَّ بَقِيَّةُ الْعُلُومِ الَّتِي تَنْفَعُ النَّاسَ فِي مَعَايِشِهِمْ.

وَكَانَ لِهَذَا التَّشْجِيعِ وَالتَّقْدِيرِ لِلْعِلْمِ والْعُلَمَاءِ أَكْبَرُ أَثَرٍ فِي نَهْضَةِ الْأُمَّةِ وَحَضَارَتِهَا؛ وَلِهَذَا نَجِدُ الْفَرْقَ شَاسِعًا بَيْنَ مَوْقِفِ الْإِسْلامِ مِنَ الْعِلْمِ – وَخَاصَّةً الْعُلُومِ التَّجْرِيبِيَّةِ– وَبَيْنَ مَوْقِفِ الْكَنِيسَةِ مِنْ ذَلِكَ، لاَ سِيَّمَا مَا كَانَ فِي أُورُبَّا قَبْلَ الثَّوْرَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ، فَلَقَدْ سَيْطَرَتِ الْكَنِيسَةُ وَرِجَالاتُهَا عَلَى عُقُولِ النَّاسِ وَتَفْكِيرِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ كُلَّ مُحَاوَلاَتِ التَّحَرُّرِ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ، فَكَانَتِ الْكَنِيسَةُ فِي عُصُورِ ظَلامِهِمْ شَدِيدَةَ الْقَسْوَةِ عَلَى الْعُلَمَاءِ، وتَقْمَعُ كُلَّ مُحَاوَلَةٍ لِلْابْتِكَارِ وَالْاِخْتِرَاعِ وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ، بَلْ وَحَكَمَتْ بِالْكُفْرِ عَلَى أَصْحَابِ الْعُلُومِ والنَّظَرِيَّاتِ.

بَلْ وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهَا حَرَّقَتْ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَشَرَاتِ الأُلُوفِ، وَحَبَسَتْ وَشَرَّدَتْ أَضْعَافَ أَضْعَافِهِمِ، ومِئَاتُ الأُلُوفِ يُسَاقُونَ مُكَبَّلِينَ إِلَى الْمُحَاكَمَةِ، وَذَنْبُهُمْ وَجَرِيمَتُهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ عُقُولٍ وَطَالِبِي عُلُومٍ وَمُحْدِثِي نَظَرِيَّاتٍ وَفُنُونٍ؛ كُلُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ أَنْ تَظَلَّ لَهَا السَّيْطَرَةُ الْكَامِلَةُ عَلَى الشُّعُوبِ، وَقِيَادَةِ النَّاسِ. وَمَا أَنْ لَاحَتْ تَبَاشِيرُ النَّهْضَةِ الْفِكْرِيَّةِ بَعْدَ هَذَا الاضْطِهَادِ حَتَّى نَتَجَ عَنْ ذَلِكَ ثَوْرَةٌ عَارِمَةٌ عَلَى الْكَنِيسَةِ، أَوْدَتْ بِمُسْتَقْبَلِهَا وَبِحَيَاةِ رِجَالِهَا.

وَمَا ذَكَرْنَاهُ أيها القارئ الكريم والقارئة الكريمة نُقْطَةٌ فِي بَحْرٍ مِنْ بُحُورِ مَحَاسِنِ الشَّرِيعَةِ وَأَنْهَارِ فَضَائِلِهَا.

الفصل الحادي عشر

مظاهر تنكر المسلم للهوية الإسلامية وأسبابه

مدخل : مثل ضربه الشاعر محمد إقبال لزحزحة الأمة عن دينها.

المبحث الأول : الجذور التاريخية للتنكر للهوية الإسلامية.

المبحث الثاني : مظاهر التنكر للهوية الإسلامية.

المبحث الثالث : أسباب التنكر للهوية الإسلامية.

مدخل

مثل ضربه الشاعر محمد إقبال لزحزحة الأمة عن دينها [1]

حينما أراد الشاعر محمد إقبال أن يبين أثر تخلي المرء عن هويته وعن عقيدته ضرب هذا المثل فقال: كانت مجموعة من الكباش تعيش في مرعىً وفير الكلأ عيشاً رغيداً، ولكنها أصيبت بمجموعة من الأسود نزلت بأرض قريبة منها، فكانت تعتدي عليها وتفترس الكثير منها، فخطر ببال كبش كبير منها أن يتخذ وسيلة تريح من هذا الخطر الداهم الذي يهددها، فرأى أن استخدام السياسة والدهاء والحيلة هو الوسيلة الوحيدة، فظل يتوسد إلى هذه الأسود في مكانها حتى ألفته وألفها، فاستغل هذه الألفة، وبدأ يعرض الأسود ويدعوها إلى الكف عن إراقة الدماء والعيش في سلام وأمان ودعة وإلى أن تترك أكل اللحم، وأخذ يغريها بأن تارك أكل اللحم مقبول عند الله، وأخذ يزين لها الحياة في دعة وسكون، ويقبح لها الوثب والاعتداء، حتى بدأت الأسود تميل إلى هذا الكلام، فأخذت الأسود تتباطأ في افتراس الكباش، ومالت إلى حياة الدعة والهدوء، واكتفت بأكل الأعشاب كما تفعل الكباش، فكانت النتيجة أن استرخت عضلاتها، وتثلمت أسنانها، وتقصفت أظفارها، وأصبحت لا تقوى على الجري، ولم تعد قادرة على الافتراس، وبذلك تحولت الأسود إلى أغنام؛ لأنها تخلت عن هويتها وعن خصائصها ففقدت ذاتيتها، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: **(ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا)**.

فالذي كان يفعله هذا الكبش هو الذي فعله الكثير من المستشرقين حيث كانوا يلقون الشبهة على المسلمين، وهم يعرفون عقدة النقص والانهزامية عند بعض المسلمين والمفكرين، ونتيجة العقدة في النفس والشعور بالدونية عند بعض المنهزمين هي أنهم أصبحوا يردون بأن الإسلام دين لا يعرف الجهاد، ولا يعرف كذا وكذا، وآخر يوم يوضع الإسلام في قفص

---

[1] - **مقال أزمة الهوية الإسلامية – د. خالد روشة موقع المسلم. ومقال : قضايا الشباب (1) فقدان الهوية الإسلامية - ملتقى الخطباء - الفريق العلمي.**

الاتهام، ويوظف الغرب نفسه محامياً ليبرئه من هذه التهم، وبالتالي بدأ طمس مفاهيم الإسلام شيئاً فشيئاً من خلال هذه الحيل الماكرة، حتى وصلت محاولات طمس الهوية الإسلامية إلى حد أن يضغط علينا قتلة الأنبياء ومحرفوا الكلم عن مواضعه أن نمارس مثلهم هواية التحريف لكلام الله؛ حيث كان من محاور اتفاقية (**كامب ديفيد**): ضرورة إزالة المفاهيم السلبية تجاه إسرائيل في الإسلام، ونظفوا الإسلام من المفاهيم السلبية تجاه اليهود لعنهم الله، وإسحاق نافون رئيس الكيان اليهودي السابق خطب خطاباً في جامعة بن غوريون أمام السادات في (1979/5/27م) وقال: إن تبادل الثقافة والمعرفة لا يقل أهمية عن الترتيبات العسكرية والسياسية، وصرح أيضاً أمام قيادات الحزب الوطني بمصر في (1980/10/28م) بأن أي صياغة أدبية أو دينية تخالف التصورات الإسرائيلية تعد مساساً بالسلام الإسرائيلي! ويقصد بالصياغة الأدبية والدينية القرآن الكريم، والآيات التي تفضح اليهود وتكشفهم[1].

[1] - **الهوية الإسلامية [1] - الشيخ محمد إسماعيل المقدم – محاضرات مفرغة - الشبكة الإسلامية.**

المبحث الأول

الجذور التاريخية للتنكر للهوية الإسلامية

تقول الكاتبة أمل بنت سليم بن سالم العتيبي [1]:

عاشت الأمة الإسلامية معاناة لم يسبق لها مثيل، أضاعت منها ماتلقفته أوروبا وأقامت ركيزتها عليه فكانت النهضة العلمية والانطلاقة الهائلة للمجتمع الغربي، وبدأ الوهن يتطرق إلى الأمة الإسلامية من قبل نفسها، وكأن عجلة الزمن في دورانها تنقل مركز الثقل من الدولة الإسلامية إلى أوروبا التي كانت في عصور سابقة تغط في سبات عميق.

بالإضافة إلى أن الأمة الإسلامية في حقيقة الأمر عانت منذ القدم من هجمات ظالمة استهدفت وجودها وثقافتها، فلم يواجه دين من الأديان ولا عقيدة من العقائد مثل ما واجه الإسلام من تحديات، فقد واجه الإسلام منذ فجر تاريخه تحديات عنيدة من مخالفيه، فقد واجه المشركين في مكة واليهود في المدينة، ثم لما فُتحت الأمصار، وانتشر الإسلام فيها، واجهت الهوية الإسلامية والفكر الإسلامي أفكاراً شعوبية إلحادية وفلسفات وثنية.

وتعرضت في نهاية العصر الأموي إلى حملات من الزندقة والإلحاد والتشكيك بعقيدة التوحيد، وخاض الناس فيما امتنع عنه الصحابة والمسلمون من قبل، ونشأ علم الكلام وأصبح الجدل نفسه غاية وهدفاً بعد أن كان وسيلة لبيان الحق والدفاع عنه، وفي العصر العباسي أصبحت الفلسفة اليونانية بدعة المثقفين في ذلك العصر، وبرز عدد من الذين يمثلون هذه الفلسفة ويدعون إلى الاستعاضة بها عن الفكر الأصيل.

ولكن الإسلام ثبت أمام هذه التحديات وانتصر عليها، فقد كان المجتمع الإسلامي آنذاك يعي الإسلام وعياً كاملاً، ويدرك أخطار الأفكار والاتجاهات التي كان يطرحها الفلاسفة

---

[1] - الهوية الإسلامية والتحديات التي تواجهها - مادة مرشحة للفوز بمسابقة كاتب الألوكة الثانية – للكاتبة أمل بنت سليم بن سالم العتيبي.

والزنادقة وما تحمله من شبهات، وهي في جملتها تعمل على نقل الفكر من مجال أصالة الفطرة ومنطق العقل الصحيح وطريقة التوحيد وطابع الإيمان إلى مجال الإلحاد والإباحية.

وكان للأئمة المشهورين أمثال أحمد بن حنبل والغزالي والباقلاني والجويني وابن تيمية وابن باديس وغيرهم أثر كبير في إعادة الأمور إلى نصابها، عن طريق الاحتجاج بالقرآن الكريم والحديث النبوي أساساً للوصول إلى الحق، و إعادة النقاء إلى الفكر الإسلامي الأصيل، الذي أعطى العرب والمسلمين عموماً شخصية فكرية متميزة لم تكن لهم من قبل، حيث كانوا يفتقدون أهم ما يكون الأمة ويكمل شخصيتها ويشعرها بذاتيتها ويمنحها الثقة بنفسها ألا وهو الرسالة والعقيدة والفكر الموحد.

ولنا أن نتصور الحال التي كان من الممكن أن تكون عليها العلوم والمعارف من النماء لو أن المفكرين المسلمين حافظوا على أصالة التوجيه الإسلامي ولم ينحرفوا عن النهج الصحيح إلى الاستغراق في جدل ونقاش فلسفي مذهبي كان نتيجة ضياع الطاقات الذهنية.

لكن الفكر الإسلامي بعد ذلك بمراحل من أطواره التاريخية وجد نفسه في مواجهة أعظم تحد يشكل تهديداً للذاتية الإسلامية وهويتها الثقافية، تحد أشد ضراوة مما فعلته دسائس عبدالله بن سبأ التي مثلت بداية تأزم الهوية الإسلامية، في حين أن التحدي الأعظم للهوية يتمثل في الغزو الفكري المعاصر، الذي كان تبعة لأحداث عِدة، كالتنازلات التي قدمها السلاطين العثمانيون، للقناصل الأجنبية لتعيث في بلادهم وتستوطن وتؤثر، حتى أُسقطت الخلافة الإسلامية، بالإضافة إلى قيام حملات استعمارية غربية حديثة موجهة إلى البلاد الإسلامية، تواكبها غزوة فكرية.

ومن أبرز عمليات هذا الغزو المركب، الحملة التي تولى كِبرها نابليون بمدفعه ومطبعته، والحملة التي نجح فيها القس دنلوب بقلبه ميزان التعليم الإسلامي، وإقامته على أساس الفصل بين الدين والحياة، لتتخرج أجيال متغربة من المثقفين بينها وبين هويتها حواجز

نفسية، وقد أكد على هذا أحد رواد التغريب وهو اللورد كرومر في تصريحٍ له يذكر فيه إن الشباب المسلم الذي دخل طاحونة التعليم الغربي، ومر بعملية الطحن يفقد إسلاميته، وعلى الأقل أقوى عناصرها وأفضل أجزائها، بتجرده عن عقيدة دينه الأساسية.

وهذا هو التحدي الخطير الذي تواجهه الهوية الإسلامية، كونه الأصل الذي ترتكز عليه جميع الأبنية وتتأثر به.

المبحث الثاني

مظاهر التنكر للهوية الإسلامية

نلمس ذلك التنكر للهوية الإسلامية في عدة أفعال وتصرفات تصدر من بعض أفراد الأمة على مختلف طبقاتهم ؛ ومن ذلك ما يلي:

1/ ترى بعض المسلمين – وخصوصا الشباب – مُنْبَهِرِينَ بِحَضَارَةِ الْغَرْبِ؛ سَاعِينَ لِلتَّشَبُّهِ بِهِ، وَتَرَاهُمْ يَرْفَعُونَ رَايَاتِ الدُّوَلِ الْأَجْنَبِيَّةِ عَلَى سَيَّارَاتِهِمْ، أَوْ يُعَلِّقُونَهَا فِي غُرَفِهِمْ، وَيَلْبَسُونَ مِثْلَ مَلَابِسِهِمْ، وَيَتَكَلَّمُونَ بِلُغَاتِهِمْ! وَقَدْ حَذَّرَ رَسُولُنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ قَائِلًا: (مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ) أخرجه أبوداود واللفظ له، وأحمد صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

2/ مِنْ مَظَاهِرِ ذَلِكَ التنكر: الْحِرْصُ عَلَى الْحُصُولِ عَلَى جِنْسِيَّةِ الدُّوَلِ الْأَجْنَبِيَّةِ: وَكَأَنَّهُمْ مَا سَمِعُوا قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ"(صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ).

3/ مِنْ مَظَاهِرِ ذَلِكَ التنكر: اعْتِقَادُ أَنَّ التَّقَدُّمَ فِي اسْتِنَانِ سُنَّةِ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ؛ فَالتَّحَضُّرُ عِنْدَهُمْ هُوَ اتِّبَاعُ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَا يَفْعَلُونَ، وَالتَّأَخُّرُ هُوَ مُخَالَفَتُهُمْ! وَكَأَنَّهُمْ مَا تَلَوْا يَوْمًا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: (**أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا**)[النِّسَاءِ: 139].

4/ مِنْ مَظَاهِرِ ذَلِكَ التنكر: الْخَجَلُ مِنْ كُلِّ مَا يَمُتُّ لِلدِّينِ بِصِلَةٍ؛ فَهُوَ يَسْتَحِي أَنْ يُعْلِنَ بِشَيْءٍ مِنْ شَعَائِرِ دِينِهِ أَوْ يُمَارِسَهَا أَمَامَ النَّاسِ، ظَانًّا أَنَّ هَذَا عَلَامَةُ الدُّونِيَّةِ وَمَدْعَاةٌ لِلتَّهَكُّمِ!

وتتكاثر المظاهر التي قد يراها البعض انفتاحاً وتقدماً ورقياً في حين يراها الآخرون إذلالاً وتبعية وذوباناً للهوية..

5/ مِنْ مَظَاهِرِ ذَلِكَ التنكر: ما قاله الدكتور محمد إسماعيل المقدم: يمكنك أن ترى أزمة الهوية الإسلامية في الشباب الذي يعلق علم أمريكا في عنقه وفي سيارته، وفي الشباب الذي

يتهافت على تقليد الغربيين في مظهرهم ومخبرهم، وفي المسلمين الذين يتخلون عن جنسية بلادهم الإسلامية بغير عذر ملجئ ثم يفتخرون بالفوز بجنسية البلاد الكافرة وفي المذيع المسلم الذي يعمل بوقاً لإذاعة معادية لدينه من أجل حفنة دولارات،..... وفي أستاذ الجامعة الذي يسبح بحمد الغرب صباح مساء... وفي كل ببغاء مقلد يلغي شخصيته ويرى بعيون الآخرين ويسمع بآذانهم وباختصار: يسحق ذاته ليكون جزءاً من هؤلاء الآخرين **(أيبتغون عندهم العزة)**.

6/ مِنْ مَظَاهِرِ ذَلِكَ التنكر: ما قاله الدكتور عصام هاشم: يوم أن ضيَّع أفراد الأمة هويتهم، وذهبوا يتخبطون في دياجير ظلمة الحضارة المعاصرة بحثاً عن هوية، ظهرت نسخة مشوهة من الحضارة الغربية بين شباب بلاد الإسلام، حيث ظهر من يقلدهم في لباسهم وأكلهم وشربهم وقصات شعورهم، بل وحتى في سعيهم البهيمي في إشباع شهواتهم، وظهر من فتيات الإسلام كذلك من تعرت وتفسخت وتركت حجابها وظهرت على شاشات الفضائيات والقنوات مغنية أو راقصة أو مقدمة، والأدهى من ذلك والأمر أن هناك من بني جلدتنا وممن يتكلمون بألسنتنا يسعون باسم الثقافة والتقدم إلى مزيد من طمس الهوية الإسلامية؛ فيسعون لكشف المحجبة، وإفساد المؤدبة، وإخراج المكنونة المستترة..

7/ مِنْ مَظَاهِرِ ذَلِكَ التنكر: ما قاله الدكتور جمال عبد الهادي: إن الأزمة بلغت إلى حد أن الأمة صارت تستورد قيمها من غيرها لتبني حضارتها ولاشك أن هذه أعظم مخادعة للذات ؛ لأنها تبني بيتها على جرف هار، إن من يتصور أن في اتباع قيم الآخرين ومناهج حياتهم الوجاية والوقاية من بطش أمم شاء الله لها العلو في الأرض زمناً والإفساد فيها إلى حين لهو واهم؛ لأن صدام الحضارات والأديان والثقافات أصبح حقيقة واقعة ومعلوم من التاريخ والواقع بالضرورة..

المبحث الثالث

أسباب التنكر للهوية الإسلامية

ذكرنا في المبحث السابق مظاهر تنكر بعض المسلمين لهويتهم وكان لهذا التنكر عددا من الأسباب ركز عليها بعض الباحثين نشير إلى بعضها:

1/ قِلَّةُ الْعِلْمِ وَالْوَعْيِ: فَيَكْثُرُ فِي أَوْسَاطِ الشَّبَابِ الْجَهْلُ بِالدِّينِ، وَهُوَ مِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ: (مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَيَقِلُّ عِنْدَهُمُ الْوَعْيُ فَتُصْبِحُ نَظْرَتُهُمْ لِلْأُمُورِ سَطْحِيَّةً؛ يَنْخَدِعُونَ بِالْمَظَاهِرِ وَيَكْتَفُونَ بِالْقُشُورِ!

2/ تَرَدِّي أَوْضَاعِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَالشَّابُّ يَرَاهُمْ مُنْهَزِمِينَ وَفِي كُلِّ مَجَالٍ مُتَخَلِّفِينَ؛ فَتَضْعُفُ ثِقَتُهُ فِي أُمَّتِهِ وَفِي دِينِهَا؛ قَائِلًا: "لَوْ كَانَ فِي دِينِهَا خَيْرٌ لَرَفَعَهَا!"، وَلَقَدْ تَنَبَّأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوُصُولِ الْأُمَّةِ إِلَى هَذَا الْحَالِ قَائِلًا: (يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا"، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: "بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ"، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهَنُ؟ قَالَ: "حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ) أخرجه أبو داود ، وأحمد واللفظ له .

وَالشَّبَابُ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْفَصْلَ بَيْنَ دِينِ الْإِسْلَامِ وَبَيْنَ سُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ.

3/ غُرْبَةُ الْإِسْلَامِ بَيْنَ أَهْلِهِ؛ فَعِنْدَمَا يَرَى الشَّابُّ الْمُتَمَسِّكِينَ بِالدِّينِ الْحَقِّ قَلِيلِينَ، وَيَسْمَعُ الْإِعْلَامَ يُشَوِّهُهُمْ صَبَاحَ مَسَاءَ، يَأْنَفُ أَنْ يَكُونَ مَعَ هَؤُلَاءِ الْقِلَّةِ الْغَرِيبَةِ الْمَنْبُوذَةِ فِي مُجْتَمَعِهِ، وَلَا يَدْرِي أَنَّ هَؤُلَاءِ هُمْ خَيْرُ النَّاسِ؛ **فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ)** رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

4/ الِانْشِغَالُ بِاللَّهْوِ وَالشَّهَوَاتِ: فَهَمُّهُ مَا يَلْبَسُ وَمَا يَرْكَبُ وَمَا يَأْكُلُ، قِبْلَتُهُ إِرْضَاءُ نَزَوَاتِهِ، وَبُغْيَتُهُ إِشْبَاعُ رَغَبَاتِهِ! وَلَا يَهْتَمُّ بِغَيْرِ ذَلِكَ.

5/ الْفِكْرُ الْمَمْسُوخُ؛ فَيُصْبِحُ الشَّبَابُ فَرِيسَةً سَهْلَةً لِكُلِّ تَيَّارٍ فَاسِدٍ؛ يَجْرِفُهُمْ نَحْوَ الْإِلْحَادِ أَوِ الشُّيُوعِيَّةِ أَوْ غَيْرِهِمَا مِنْ طُرُقِ الضَّلَالِ، وَصَدَقَ الْقَائِلُ:

شَابٌّ بِغَيْرِ هُوِيَّةٍ وَرَقٌ تُذَرِّيهِ الرِّيَاحُ

6/ كَوْنُهُمْ ثُغْرَةً لِلْأَعْدَاءِ يَنْفُذُونَ مِنْهَا إِلَى قَلْبِ الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ؛ فَهُمْ يَنْعَقُونَ بِاسْمِ الْغَرْبِ، وَيُنَادُونَ بِتَقْلِيدِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ، مُتَجَاهِلِينَ قَوْلَ اللَّهِ –تَعَالَى–: (لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ)[آل عِمْرَانَ: 28].

7/ اضْطِرَابُ الشَّخْصِيَّةِ وَتَمَيُّعُهَا؛ فَهُمْ إِلَى الْغَرْبِ الْكَافِرِ يَحِنُّونَ وَيَتُوقُونَ، لَكِنَّهُمْ أَيْضًا لَا يَرْغَبُونَ عَنْ دِينِهِمُ الَّذِي تَرَبَّوْا عَلَيْهِ، فَمَا أَشْبَهَ مَا يَفْتَعِلُ فِي صُدُورِهِمْ بِمَنْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: (مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ)[النِّسَاءِ: 143].

وَكُلُّ عَوَارٍ وَانْحِرَافٍ فِي الْخَلْقِ أَوِ التَّفْكِيرِ نَرْصُدُهُ الْيَوْمَ فِي شَبَابِنَا إِنَّمَا هُوَ نِتَاجُ خَلَلٍ فِي هُوِيَّتِهِمُ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ عَوَارٍ.

8/ يقول الدكتور ناصر العمر : ونحن نستطيع استقراء أهم المظاهر التي تدل على أزمة الهوية لدى الشباب المسلم في عدة نقاط هامة وأساسية:

1 –الانبهار الشديد بالتقدم الغربي على مستوى التكنولوجيا والحضارة المادية.

2 –التطلع لمشابهة الغربيين والأمريكيين وغيرهم من الشعوب المتقدمة مع الشعور بالدونية والانكسار تجاه تلك الشعوب.

3 –التحرر من القيم المقيدة للسلوك الإباحي تشبها بالتحرر الغربي الجنسي والسلوكي.

4– ضعف الولاء والانتماء للتشكيل الإسلامي القيمي والمبادئي والمعيشي.

9/ يقول أحد الباحثين : صناعة النجوم والأبطال، كانت منذ عهدٍ قريب تتم في المساجد، والمدارس، وساحات الجهاد، وبمعاييرَ جِدُّ رزينةٍ، ولا نصيبَ للتَّافه من الناس في ذلك. فالأقمار التي يُستضاء بنور سيرتها، أمثال الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين، والفاتحين، التي رُبِّيتْ في المساجد، فتكونت منها أبطال في الأدب، والفلك، والرياضيات، والتاريخ، فمُكِّنوا في الأرض، ورَفعوا من قيمة المسلم، حتى أمستِ الدولة الإسلامية يُضرب لها ألف حساب؛ لمجرد التفكير في غزو قُطْر من أقطارها، فهؤلاء القوم لم يَحصُلوا على هذا العزِّ بتنظيم المهرجانات؛ وإنما بإقامة شرع الله عز وجل على الأرض، فحقَّق الله مبتغاهم؛ مصداقًالقوله عز وجل: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)** [محمد: 7].

وختاما نقول : إِنَّ لِفِقْدَانِ الشَّبَابِ لِهُوِيَّتِهِمُ الْإِسْلَامِيَّةِ آثَارًا وَخِيمَةً عَلَيْهِمْ وَعَلَى مُجْتَمَعَاتِهِمْ، فَمِنْهَا: طَمْسُ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ فَأَوَّلُ مَا يَضْعُفُ فِي قُلُوبِهِمْ هِيَ عَقِيدَةُ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ؛ فَيَتَوَلَّوْنَ غَيْرَ الْمُسْلِمِينَ وَيَتَشَبَّهُونَ بِهِمْ وَيَتَّخِذُونَهُمْ قِبْلَةً إِلَيْهَا يَسْجُدُونَ، وَلِمُحَاكَاتِهَا يَتَطَلَّعُونَ، وَلَمْ يَنْتَبِهُوا لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: **(أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي، يَعْنِي فُلَانًا، لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا وَلِيِّي اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ)** مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الفصل الثاني عشر

ضرورة إحياء الهوية الإسلامية والمحافظة عليها

مدخل : الإسلام يعلو ولا يعلى عليه.

المبحث الأول: إحياء الهوية الإسلامية هو الطريق الصحيح لإحياء الأمة الإسلامية.

المبحث الثاني : وسائل الحفاظ على الهوية الإسلامية.

مدخل

الإسلام يعلو ولا يعلى عليه

يخطئ مَن يظن أن الإسلامَ يقضي على الانتماءات الجغرافية، أو الانتماءات العِرقية القبَلية، كلا؛ فمحبةُ الأوطان وملاعب الصبا وإخوان العشيرة أمر فِطري جِبلي، والله تعالى يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: 13].

قال القرطبي في تفسيرها :

(قال ابن عباس رضي الله عنهما : لما كان يوم فتح مكة أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – بلالا حتى علا على ظهر الكعبة فأذن ، فقال عتاب بن أسيد بن أبي العيص : الحمد لله الذي قبض أبي حتى لا يرى هذا اليوم . قال الحارث بن هشام : ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا . وقال سهيل بن عمرو : إن يرد الله شيئا يغيره . وقال أبو سفيان : إني لا أقول شيئا أخاف أن يخبر به رب السماء ، فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما قالوا ، فدعاهم وسألهم عما قالوا فأقروا ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

زجرهم عن التفاخر بالأنساب ، والتكاثر بالأموال ، والازدراء بالفقراء ، فإن المدار على التقوى . أي : الجميع من آدم وحواء ، إنما الفضل بالتقوى).

والنبي صلى الله عليه وسلم كان يحبُّ مكةَ وأرضها، وينتسب إلى قومه وقبيلته في قوله: (**أنا النبيُّ لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب**)، وكان يحب قريشًا ويقدِّمها ويوصي بها، ولكن حب القبيلة وما شابهه يجب ألا يحملَ صاحبه على عصبية ممقوتة، ولا يدفعه إلى حزبية بَغيضة، وإقليمية ضيقة، وأفكار بالية، تقوم على النعرات الهادمة، والاصطدام المذموم، بل يجب أن ينضوي هذا الحب وهذا الانتماء في الإطار العام لهوية المسلمين؛ هوية الدِّين والعقيدة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في المجموع(415 /3) :

(والله تعالى قد سمَّانا في القرآن: المسلمين المؤمنين عباد الله، فلا نعدِل عن الأسماء التي سمانا الله بها إلى أسماءٍ أحدثها قوم – وسمَّوْها هم وآباؤهم – ما أنزل الله بها من سلطانٍ،بل الأسماء التي قد يسوغ التسمي بها مثل انتساب الناس إلى إمامٍ؛ كالحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي، أو إلى شيخٍ؛ كالقادري والعدوي ونحوهم، أو مثل الانتساب إلى القبائل؛ كالقيسي واليماني، وإلى الأمصار؛ كالشامي والعراقي والمصري،فلا يجوز لأحد أن يمتحن الناسَ بها، ولا يوالي بهذه الأسماء ولا يعادي عليها، بل أكرَمُ الخَلْق عند الله أتقاهم مِن أي طائفةٍ كان).

المبحث الأول

إحياء الهوية الإسلامية هو الطريق الصحيح لإحياء الأمة الإسلامية [1]

أخرج مسلم في "صحيحه" عن جندب بن عبدالله البجَلي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(مَن قُتل تحت راية عِمِّيَّةٍ يدعو عصبية أو ينصر عصبية، فقِتْلةٌ جاهليةٌ)**.

ومعنى عِمِّيَّة: قالوا: هي الأمر الأعمى لا يستبين وجهُه؛ كذا قاله أحمد بن حنبل والجمهور، قال إسحاق بن راهَوَيه: هذا كتقاتُلِ القوم للعصبية.

وقال صلى الله عليه وسلم : **(إنَّ اللهَ قد أذهب عنكم عبيةَ الجاهليةِ، وفخرها بالآباءِ : مؤمنٌ تقيٌّ، أو فاجرٌ شقيٌّ، أنتم بنو آدمَ، وآدمُ من ترابٍ، ليدعنَّ رجالٌ فخرهم بأقوامٍ إنما هم فحمٌ من فحمِ جهنمَ، أو ليكونُنَّ أهونَ على اللهِ من الجعلانِ التي تدفعُ بأنفِها النَّتَنَ)** رواه أحمد والترمذي.

إن إحياء الهوية الإسلامية هو الخطوة الأولى في الطريق الصحيح لإحياء الأمة الإسلامية لأنها تشكل محور الاستقطاب القوي الذي يجمع أفرادها حول مرتكزات عقائدية من الاجتماع على الإسلام والولاء والبراء عليه، ومن ثم يتيح للأفراد تكوين أمة متماسكة. وإذا تماسكت الأمة ملئ الفراغ الاجتماعي فيها، واختفت منها ظواهر الاغتراب وفقدان الانتماء، وأصبح قادتها هم (أولو الألباب)، فكانت الوثبة القوية، والانطلاقة الحضارية التي تحطم الأغلال التي وضعها الأعداء على الأمة.

لقد كنا بهويتنا الإسلامية على رأس الدنيا، واستطعنا أن نجنب الحضارة الرومانية والفارسية صفة القيادة.. وما زالت الفرصة أمامنا لنعرف أنفسنا وتعرفنا البشرية كلها وحين نقوم بإحياء

[1] - عدد من المقالات.

هويتنا الحقيقية – **الهوية الإسلامية** – وتصبح لأمتنا شخصيتها المتميزة، وهويتها المستقلة.. حينذاك قد يجتمع علينا الأعداء من كل صوب، ولكنهم لن يستطيعوا أن ينالوا منا شيئًا، كما لم تستطع الروم والفرس أن تنال من المسلمين الأوائل شيئًا. بل سيأتي اليوم الذي يقف فيه أعداء أمتنا على خط الدفاع عن شخصيتهم المتميزة وهويتهم المستقلة خشية الذوبان في البوتقة الإسلامية، كما ذابت من قبلهم الفرس والروم .

وبكلمة: تقوم (الهوية) في أية أمة من الأمم بدور (المعامل الحضاري) الذي يمتد عموديًا في أعماق الإنسان لكي يبعث فيه الإحساس بمسئوليته عن تقدم أمته، فيفجر طاقاته في ذلك السبيل.. ويمتد أفقيًا في الأمة لتصب جهودها في المسالك الصحيحة التي تنسجم مع آمال الأمة وطموحاتها.

ولا شك أن الهوية التي تنطبق مع الخيار الحضاري للأمة الإسلامية هي (**الهوية الإسلامية**). ولذلك فإنه عندما طرح زعماء العلمانية الهوية (**الوطنية**) كبديل للهوية الإسلامية، حدث في الأمة (**فراغ اجتماعي**)، وأدى هذا الفراغ إلى ظواهر (**الاغتراب**) وفقدان الانتماء للأمة، وفي ظل الاغتراب أصبح العقلاء والحكماء من الأمة غير قادرين على التأثير في حركتها، وصارت الكلمة للسفهاء، وصار الحكم للأراذل، فكان الفساد العريض، والجهود الضائعة، والطاقات المستنزفة!! وصارت الأمة إلى التبعية الذليلة. وهكذا لم يصبح أمامنا من سبيل لإخراج أمتنا من التبعية إلى الريادة إلا عبر (**إحياء**) الهوية الإسلامية، وإيجاد (**المشروع الحضاري الإسلامي**).. ليكون ذلك سبيلًا إلى استقطاب أفراد الأمة، وملء الفراغ الاجتماعي، لتزول ظواهر الاغتراب، ويتولى (**أولو الألباب**) قيادة الأمة.. وتصبح (**الهوية الإسلامية**) حافزًا للتغيير، ودافعًا للفاعلية، وهاجسًا لصنع الحضارة.

ولتحيا الأمة لا بد لها أن تعلم يقينا وتعمل جاهدة في سبيل الوَحْدة فيما بينها لأن المسلمَ أخو المسلم؛ أخرج مسلم عن النعمان بن بشيرٍ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(مثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثَل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحمَّى).

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: 10].

فأخرج أحمدُ في "المسند": عن أبي نضرة، حدثني مَن سمع خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسَط أيام التشريق فقال: (يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضلَ لعربيٍّ على أعجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى، أبلَّغْتُ؟).

نحن قوم أعزنا الله بالإسلام : فالانضواءُ تحت راية الإسلام هو العزُّ كله والسؤدد، وكيف لا وهو يرضى بالله تعالى ربًّا، وبالإسلام دِينًا، وبالمسلمين إخوانًا؟! قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: 8].

وعن قيس بن مسلمٍ، عن طارق بن شهابٍ، قال: خرج عمرُ بن الخطاب إلى الشام ومعنا أبو عبيدة بن الجراح، فأتوا على مخاضةٍ وعمرُ على ناقةٍ له، فنزل عنها وخلع خُفَّيه فوضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة، فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين، أنت تفعل هذا، تخلع خُفَّيك وتضعهما على عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك، وتخوض بها المخاضة؟! ما يسُرُّني أن أهل البلد استشرفوك، فقال عمر رضي الله عنه: (أوَّهْ، لم يقُلْ ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالًا لأمة محمدٍ صلى الله عليه وسلم؛ إنَّا كنا أذلَّ قومٍ فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلُبِ العزةَ بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله)[1].

وصدق الشاعرُ عندما قال:

---

1 - رواه للحاكم في المستدرك ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (51).

أبي الإسلامُ لا أَب لي سواه إذا افتَخَروا بقيسٍ أو تميمِ

وإن الدخول تحت مظلة هذه الهوية والاندماج فيها فرضٌ مُتعيِّن على المكلَّفين مِن بني آدمَ إلى أن يرثَ الله الأرض ومَن عليها؛ قال عز وجل: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ [الأعراف: 158].

فالأمر ليس اختياريًّا ولا مستحبًّا، ولكنه واجب عينيٌّ على الناس كافة، وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**والذي نفسُ محمد بيده، لا يسمع بي أحدٌ مِن هذه الأمة، يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان مِن أصحاب النار**).

المبحث الثاني

وسائل الحفاظ على الهوية الإسلامية

إن الواجب على المسلمين في كل مكان ليس المحافظة على الهوية الإسلامية فحسب، بل الواجب عليهم الدعوة إليها بالحكمة، والموعظة الحسنة، ونشرها في كافة أصقاع الدنيا لأنها مستمدة من ديننا القويم، وهو أشرف الأديان، وخاتمها.

ومن الوسائل المهمة للمحافظة على الهوية الإسلامية:

1/ يجب أن تتولي وسائط التربية المهمة، ابتداء من الأسرة، والمدرسة، والجامعة، والمسجد، والإعلام بوسائله المختلفة، المحافظة على الهوية الإسلامية، وترسيخها، والاعتزاز بها من خلال بيان مكانتها، وصحة، وصدق أصولها، وكذلك إيضاح خطر، وسلبيات تجاهلها، والانسلاخ منها على المجتمع، والأمة الإسلامية.

2/ يجب على القدوات، أو الأسماء المشهورة في المجتمعات الإسلامية عدم الظهور في وسائل الإعلام المختلفة أمام العامة، وهم متأثرون بالثقافات الأجنبية، لأن هذا مدعاة لتقليدهم من الناشئة والشباب.

3/ هناك قلة من أبناء جلدتنا الذين تأثروا بالثقافات الأخرى، وأصبحوا دعاة إلى التغريب، وإلى الانسلاخ من الهوية الإسلامية، فيجب محاورتهم ونصحهم بالأساليب المناسبة من خلال نخبة من طلبة العلم المتميزين، وفي الوقت نفسه بيان خطرهم، وفساد طرحهم للعامة حتى لا يتأثروا بهم.

4/ التحذير الشديد من مخططات أعداء الإسلام والمسلمين الذين يحرصون على طمس الهوية الإسلامية، وعلى تشويه صورة الإسلام، وعلى إثارة النزاعات والفتن بين المجتمعات

الإسلامية من خلال القنوات الفضائية، والشبكة العنكبوتية، وغيرها، والتصدي لهم بكل الوسائل الممكنة.

5/ زَرْعُ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الصَّافِيَةِ فِي قُلُوبِ جميع المسلمين وَتَرْبِيَتُهُمْ عَلَيْهَا، خَاصَّةً عَقِيدَةَ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ، فَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: (**أوثقُ عُرَى الإيمانِ : الموالاةُ في اللهِ ، و المُعاداةُ في اللهِ ، و الحبُّ في اللهِ ، والبُغضُ في اللهِ عزَّ وجلَّ**) صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ في صحيح الجامع الصغير.

6/ تحريم التشبه بأعداء الله، ولو في لباسهم، أو طريقة وضع شعورهم، ونحو ذلك، ففي صحيح مسلم: أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى على عبد الله بن عمرو بن العاص ثوبين معصفرين –أي: مصبوغين بالعصفر– فقال: (**إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها**) رواه مسلم .

وفي صحيح مسلم أيضاً : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن عَبَسة السلمي: (**صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع، فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار**) [رواه مسلم ح(832)].

والقاعدة العامة في هذا هي المقررة في الحديث المشهور: (**من تشبّه بقوم فهو منهم**).

فهل يعي شبابنا وفتياتنا الذين فتنوا بالتشبه بالكفار في ملابسهم، وطريقة قصّات شعورهم، هل يعون هذا المعنى؟

7/ ومن أساليب الشريعة في المحافظة على الهوية الإسلامية: التذكير بنعمة الإسلام، والهداية له، وتفضيل المسلمين على غيرهم، كما قال تعالى: (**وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا**) [آل عمران: 103].

وقال سبحانه: (**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**) [فصلت: 33].

علّقَ الحسن البصري رحمه الله كما رواه الطبري في تفسيره – على هذه الآية، فقال: (**هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب الخلق إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحا في إجابته، وقال: إنني من المسلمين، فهذا خليفة الله**).

8/ وفي سبيلِ المحافظة على الهوية الإسلامية، والاعتزازِ بهذا الدين، يجلّي القرآن حقيقة الكفار الذين أعرضوا عن هذا الدين، فشبّههم بأنهم كالأنعام، بل هم أضل، كما قال خالقهم وخالقُ المسلمين: (**أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا**) [الفرقان: 44].

(**لأن البهائم تهتدي لمراعيها، وتنقاد لأربابها، وهؤلاء الكفرة لا يطيعون ربهم، ولا يشكرون نعمة من أنعم عليهم، بل يكفرونها، ويعصون من خلقهم وبرأهم**) تفسير الطبري .

فإذا تبينت للمسلم أن حقيقة هؤلاء هي كما وصفهم الله في علاقتهم بالآخرة، وتعلّقهم بالدنيا، فهل يرضى المسلم بأن يكون كالبهيمة؟

وهذا لا يعني عدم الإفادة من مخترعاتهم، ولا تجاربهم في عمارة الدنيا، وإنما الشأن في أمر الآخرة، التي هم عنها غافلون.

وَمِمَّا زَادَنِي شَرَفًا وَتِيهًا وَكِدْتُ بِأَخْمَصِي أَطَأُ الثُّرَيَّا

دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ: يَا عِبَادِي وَأَنْ صَيَّرْتَ أَحْمَدَ لِي نَبِيًّا

9/وفي سبيل المحافظة على الهوية الهوية الإسلامية: جاءت النصوص بالحث على لزوم جماعة المسلمين، والحذر من التفرق، فإن الاجتماع قوة، والتفرق ضعف، ولأن الانفراد عنهم، أو الارتماء في أحضان الكفار، مظنّة ذوبان الهوية الإسلامية، وهذا ما تؤكده الدراسات الاجتماعية، أن الجيل الثالث من أبناء المهاجرين يتماهى ويذوب في نفس عادات وتقاليد ذلك المجتمع، سواء كان صالحاً أم طالحاً! ومن سافر لبلاد الغرب، أدرك ذلك بنفسه، ورأى شدة معاناة المسلمين مع أبنائهم وسط تلك البيئات التي يُعلنُ فيها بالفسق والفجور.

10/ ومما يقوّي المحافظة على الهوية الإسلامية: العناية بلغة القرآن، التي نزلت بها الشريعة:

لقد كان أعداء المسلمين يدركون ماذا يعني أن تبقى اللغة العربية هي اللغة الحيّة بين أبناء المسلمين، إنها تعني القدرة على الارتباط بالقرآن والسنة، مصدر عزهم وقوتهم المعنوية، فعملوا في حركاتهم الاحتلالية لبلاد الإسلام –التي تسمى زوراً بالاستعمار–، عمدوا إلى طمس لغة القرآن، وإحلال اللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو غيرها حسب لغة المحتلّ للبلد! لينشأ جيل لا يستطيع قراءة القرآن والسنّة.

بل ذهب المحتلّون إلى ما هو أبعد من ذلك –وخصوصاً إبان الحكم الشيوعي– وذلك بمنع الأسماء الإسلامية، كلّ ذلك محاولةً منهم لطمس أي معْلمٍ للهوية الإسلامية في نفوس أبناء المسلمين ولو بمجرد الاسم.

فهل يعي شباب الأمة وفتياتهم، ماذا يعني اهتمامنا بلغة القرآن والاعتزازُ بها؟ إنها أكبر من مجرد لغة؟ إنها شعار الإسلام[1].

---

[1] -و إنك لتعجب من عربيّ يهجر لغته ويفتخر بإتقانه لعدد من الأحرف الإنجليزية، وفي المقابل يجد عشرات المعاهد والكليات في بلاد المسلمين الأعجمية التي تُعَلّم لغة القرآن.!

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى - مبيناً فضل الفاتحين من المسلمين في تعليم اللغة العربية لأهل البلاد التي فتحوها -: (ولهذا كان المسلمون المتقدمون لما سكنوا أرض الشام ومصر -ولغةُ أهلهما رومية- وأرضَ العراق وخراسان - ولغة أهلهما فارسية - وأرضَ المغرب - ولغة أهلها بربرية- عوّدوا أهل هذه البلاد العربية،

11/ وَمِنْ وَسَائِلِ المحافظة على الهوية الإسلامية فِي نُفُوسِ شَبَابِنَا خاصة: رَبْطُهُمْ بِتَارِيخِ أُمَّتِهِمُ الْمَجِيدِ؛ فَهُمْ أَحْفَادُ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- فَهَؤُلَاءِ هُمُ الْعُظَمَاءُ بِحَقٍّ، وَقُدْوَاتُهُمْ خَالِدٌ، وَالْمُثَنَّى، وَالْقَعْقَاعُ، وَالْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- وَلَيْسَ أَبْطَالَ الْأَفْلَامِ السِّينِمَائِيَّةِ... فَاجْهَدْ لِرَبْطِهِمْ بِالْقُدْوَاتِ الصَّالِحَةِ حَتَّى يَكُونَ لِسَانُ حَالِهِمْ:

أُولَئِكَ آبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعَتْنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ

12/ إِشْعَالُ حَمَاسَةِ الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ فِي صُدُورِهِمْ ؛ فَيَنْطِقُونَ بِمِثْلِ مَا نَطَقَ بِهِ رِبْعِيُّ بْنُ عَامِرٍ مُوَاجِهًا رُسْتُمَ: (اللَّهُ ابْتَعَثْنَا، وَاللَّهُ جَاءَ بِنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَى سَعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ)[1].

13/ التَّوْعِيَةُ وَالتَّبْصِيرُ؛ فَيُحَذَّرُونَ مِنْ كَيْدِ الْأَعْدَاءِ وَمَكْرِهِمْ وَتَرَبُّصِهِمْ بِالشَّبَابِ، وَيُبَصَّرُونَ بِوَسَائِلِهِمُ الْخَبِيثَةِ لِإِغْرَاءِ الشَّبَابِ بِالِانْسِلَاخِ مِنْ هُوِيَّتِهِمْ وَاتِّبَاعِ شَهَوَاتِهِمْ وَالِانْغِمَاسِ فِي لَذَائِذِهِمْ.

فَإِنْ قُمْنَا بِتِلْكَ الْمُهِمَّةِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ؛ فَحَذَّرْنَا الشَّبَابَ وَحَصَّنَّاهُمُ اسْتَقَامَ لَنَا حَالُهُمْ، وَاسْتَوَى عَلَى الْجَادَّةِ عُودُهُمْ، وَصَارُوا سَنَدًا لِأُمَّتِهِمْ وَرِفْعَةً لِدِينِهِمْ، فَسَعِدْنَا بِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِلَّا فُوجِئْنَا بِبَوَارِ الزَّرْعِ زَمَانَ حَصَادِهِ.

حتى غلبت على أهل هذه الأمصار: مسلمهم وكافرهم...، إلى أن قال: وإنما الطريق الحسن اعتياد الخطاب بالعربية، حتى يتلقنها الصغار في المكاتب وفي الدور فيظهر شعار الإسلام وأهله، ويكون ذلك أسهل على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسنة وكلام السلف، بخلاف من اعتاد لغة، ثم أراد أن ينتقل إلى أخرى فإنه يصعب) اقتضاء الصراط المستقيم (1/ 526)، ولكلامه تتمة مهمة.

1 - تَارِيخُ الطَّبَرِيّ.

الفصل الثالث عشر

عالمية الهوية الإسلامية وتحديات العولمة

مدخل : مفهوم العولمة وبدايتها.

المبحث الأول : العلاقة بين الهوية الإسلامية والعولمة.

المبحث الثاني : مفهوم العالمية وعالمية الاسلام.

المبحث الثالث : التأثير السيئ للمدارس الأجنبية على الهوية الإسلامية.

المطلب الأول : حقيقة المدارس الأجنبية.

المطلب الثاني :مختارات من كتاب :المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية.

المطلب الثالث : نماذج من أقوال العلماء وبيانتهم وفتاويهم عن المدارس الأجنبية.

دخل[1]

مفهوم العولمة وبدايتها

إن العلاقة بين العولمة والهوية هي علاقة جدلية كما أنها علاقة صراع وصدام ، وذلك لاختلاف طبيعة كل منهما أي العولمة والهوية ، وقضية العلاقة بين الهوية والعولمة طرحت على أكثر من صعيد أو مجال ولا تزال تطرح لكونها من أهم القضايا وأكثرها صعوبة وتعقيداً وأقربها حضوراً في عمق الجدل الدائري ليس لدي النخبة الثقافية والسياسية فحسب، بل حتي لدي العديد من الناس العاديين؛ لذلك تجد أن انعكاساتها الفكرية والمعنوية ونتاجاتها المادية قد اقتحمت كل مجالات الحياة .

يذهب بعض المفكرين والباحثين إلي أن العولمة فعل يقلص امتداد الكون في هوية متجانسة ثقافياً واقتصادياً واجتماعياً . فالعولمة تعمل علي بناء ثقافة واحدة ، وتسعي إلي تذويب الحدود والحواجز الثقافية والفكرية والاقتصادية بين الأمم ، إنها سعي محموم لبناء المجتمع الإنساني علي مقياس الثقافة الواحدة.

متى ظهرت العولمة : يقال إنَّ أول من أطلق مصطلح عولمة، أو كوننة كما يسميه البعض، معرفياً عالم السسيولوجيا أو الاجتماع الكندي مارشال ماك لوهان،استاذ الاعلاميات في جامعة تورنتو،عندما صاغ في نهاية الستينات مفهوم القرية الكونية،ثم شاع استخدامه بلفظ عولمة في السنوات العشر الأخيرة من القرن العشرين ، وبالذات بعد سقوط الاتحاد السوفيتي.عام 1990م،وحرب الخليج الثانية عام 1991م.

---

1 - هذا الفصل ملخص من ثلاثة بحوث؛ البحث الأول :الهوية وتحديات العولمة - للدكتورعماد الدين ابراهيم عبد الرزاق ، والبحث الثاني : بين العولمة وعالمية الإسلام – للأستاذ الدكتور أحمد محمد أحمد الجلي.البحث الثالث : العرب وعصر المعلومات – د. نبيل علي ؛ ومقال للدكتور مصطفى محمود – جريدة البيان العدد (6520).

ورغم شيوع هذا المصطلح في هذه الفترة من الزمان،فإن ظاهرة العولمة التي يشير إليها ليست حديثة بالدرجة التي توحي بها حداثة هذا اللفظ.

فالعناصر الأساسية في فكرة العولمة:

ازدياد العلاقات المتبادلة بين الأمم ،سواء المتمثلة في تبادل السلع والخدمات أو في انتقال رؤوس الأموال،أو في انتشار المعلومات والأفكار،أو في تأثير أمة في قيم وعادات غيرها من الأمم،كل هذه العناصر عرفها العالم منذ عدة قرون.

المبحث الأول

العلاقة بين الهوية الإسلامية والعولمة

ومعالجة هذا العنوان سيتم من خلال ثلاثة نقاط:

أولاً : السؤال الذي يطرح نفسه بقوة ما هي علاقة العولمة بالهوية بصورة عامة؟

هو سؤال من حق كل بلد يعتز بهويته الوطنية: ما هي العلاقة التي بيننا وبين الآخرين حتى تصبح تلك العلاقة مفتوحة وبلا ضوابط؟

وبالأجابة على هذا السؤال يكون التعايش بين العولمة والحدود السياسية أمراً محدداً للغاية ، ما دامت هذه الأخيرة تركز علي الخصوصية، في حين تسعي العولمة إلي تجاوز هذه الخصوصية والانتقال إلي العمومية ، فالحدود مظهر من مظاهر السيادة.

أما العولمة فأنها تسعي إلي إلغاء السيادة علي المكان أو إضعافها مستعينة بوسائلها وآلياتها من تخطي الحدود والقفز من فوقها والتعدي علي خصوصيات المكان وسكانه واختراقه وغزو ثقافة شعبه وحضارته ، وفرض ثقافة آخري عليه ، ما قد يضعف من انتمائه الوطني والقومي ويساهم في تفكيك عناصر هويته ومكوناتها ، ليصبح شعباً لا هوية تميزه عن غيرة من الأمم والشعوب.

إنه إذن أقرب إلي نظام يعمل علي أفراغ الهوية الجماعية من كل محتوي ، ويدفع للتفتيت والتشتيت ليربط الناس بعالم اللا وطن واللاأمة ، واللادولة أو يفرقهم في أتون الحرب الأهلية.

ويجب أن نشير إلي أن التعارض بين العولمة والهوية **بصورة عامة** هي ظاهرة يعيشها الغرب نفسه موطن العولمة ومصدرها ، وبالتالي فالتعارض بين الهوية والعولمة هو مظهر من مظاهر

الصراع في عصرنا ، وهو صراع يعيشه العالم كما يعيشه كل بلد علي حده متقدماً كان هذا البلد أو مختلفًا .

إن في العولمة سلبيات ولعل أكبر سلبياتها ومخاطرها في أنها تدفع إلي الوقوع فريسة للهواجس بالهويانية،إن النقد العلمي وحدة يحرر من الاستلاب العولمي والتقوقع الهوياني.

ثانياً : الآثار السلبية علي الهوية :

العولمة كما سبق هي وصف لظواهر متعددة كالتقدم المذهل في وسائل الاتصال والانفتاح المعلوماتى وذهاب الحواجز بين الدول ، هذا ما حدا بالبعض أن يسميها "الأمركة" ، وللأسف أن أمريكا لا تهدف إلي تطبيق قيمها فحسب ، بل إنها تنطلق من مصالحها الذرائعية المجردة من المبادئ والتي تكيل بمكيالين والتي تشكل خطورة عظيمة علي القيمة والأخلاق والهوايات لاسيما الإسلامية مثلاً أمريكا تمارس دوراً منفرداً حيث تدعم إسرائيل ، وترفع الفيتو بعد الأخذ لتتمكن من العدوان ، وتعتدي علي العراق بحجج واهية وحتى دون موافقة مجلس الأمن ، وهذا ما حدا " توم فريد مان " للقول نحن أمام معارك سياسية وحضارية فظيعة ، والولايات المتحدة قوة مجنونة ، نحن قوة ثورية خطيرة ، وأولئك الذين يخشوننا علي حق.

فالعولمة تحمل فكرة استبداد القوي الذي يسخر إرادات الشعوب الضعيفة لصالحه , وتكمن في فكرة سيطرة المهيمن علي الاقتصاد العالمي والقوة العسكرية والإدارة السياسية علي شعوب العالم الفقيرة ، بل والسعي لإفقار ما ليست فقيرة ، وتكمن كذلك في فكرة الإذابة التي يقوي عليها من يمتلك أدوات الاتصال والتحكم بها ، وبالمعلومات وإنتاجها ، وتدفقها دونما مراعاة لثقافات الشعوب وحاجاتها وخصوصيته .

كما أن من سلبيات ومخاطر العولمة أنها تسوق لوهم المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة ، ومن خلال العولمة يروج للشذوذ الجنسي ، ويحاول الغرب إصدار قوانين لحماية هذا الشذوذ في العالم.

والتأثير الأخلاقي هو الأسرع من غيره ، وقد أشارت دراسة سعودية – لناصر ألحميدي – إلي أن التأثير علي الجوانب الأخلاقية يأتي في الدرجة الأولي مثل الترويج للإباحة والاختلاط، وما إلي ذلك مما يخالف القيم الإسلامية وإغراء النساء ، وكذلك التأثير علي الروابط الأسرية[1].

وهذا ما يعبر عنه المفكر المسلم الدكتور مصطفى محمود بقوله : "المصطلحات الجديدة مثل: العولمة والكوكبة التي نتبادلها كرمز للتطور والتقدم والحداثة هي مجموعة من الفخاخ اللفظية التي تحتوي علي كثير من قلب الحقائق ،وعلى كم هائل من التبعية والتنازلات بالنسبة للدول النامية تنتهي بتفريغ المواطن من وطنيته وقوميته وهويته وانتمائه الديني والثقافي بحيث لا يبقى منه إلا خادم للقوى الكبرى التي تسمى نفسها بالنظام العالمي الجديد، وما هو إلا استعمار جديد شامل وأمركة تنزعك من جذورك وتخلع عنك اسمك ورسمك وهويتك، وتحولك إلى مرمطون في بار أمريكي يلبس الجنز ويشرب الكوكاكولا ويفكر على طريقة الكاوبوي، إنها قولبة جديدة للملايين من دول أفريقية وآسيوية ،توضع في مفرمة السياسة الأمريكية لتخرج وقد فقدت تنوعها الإجتماعي والبشري وتحولت إلى سوائم وأبقار وديعة مستسلمة تحلب خيراتها لصالح المصنع الكبير بمواصفات خطوط الإنتاج الجديدة التي تعد من الآن ؛ والعولمة هي صناعة الأسواق الشاملة التي تضمن لأمريكا عالمية التصدير وأولوية

[1] - **الهوية وتحديات العولمة للدكتور :عماد الدين ابراهيم عبد الرزاق - باختصار.**

السيادة وصنع القرار وسيطرة رؤوس الأموال الأمريكية الفلكية على كوكبنا الأرضي بأكمله"[1].

(إن عالم اليوم هو عالم يتسيد فيه العلم والثقافة، والعقل المنهجي العلمي، وفي نفس الوقت يتميز بسيادة نزعة التجديد المستمر في جميع مظاهر الحياة. والتطورات التي نشهدها اليوم لا مثيل لها في تاريخ الأمم، وما كانت تنجزه الشعوب من أجل التغيير، عبر تخطيط طويل يمتد لسنوات وعمل مضن، يتم الآن بصورة سريعة ومثمرة وبتكاليف بخسة).

ثالثاً : ما هو موقف الإسلام من العولمة الثقافية ؟

الإجابة : العولمة في عصرنا مصطلح يراد منه تعميم قيم ومبادئ وأنماط لتصبح أنموذجاً قابلاً للتطبيق على الجميع، وأن يتنازل الآخرون عن خصوصياتهم لصالح هذا الجديد القادم ، ومن أخطر صور العولمة ما يمكن تسميته بالعولمة الثقافية، لأنها تدخّل مباشرة في عقائد الناس ومعارفهم وتصوراتهم والعولمة استعمار من نوع جديد، أخبث من كل صور الاستعمار السابقة لأنه يقضي على روح المقاومة، وقد يخفى ضرره على كثيرين، وهو مدعوم بقوى عسكرية واقتصادية وإعلامية رهيبة.

ولا شك أن مبدأ كهذا مرفوض جملة وتفصيلاً، لأسباب كثيرة منها:

1- أنه برنامج تدميري، يهدم الأخلاق والقيم، ويشيع الفواحش، مما يفضي إلى دمار المجتمعات وشيوع الأمراض الفتاكة، كما هو مشاهد اليوم.

2- أنه يلغي مبدأ تفوق المنهج الربّاني المتمثل حصراً في الإسلام، بل هو قائم أساساً على نقيض ذلك، لأنه يقر عملياً بتفوق النموذج الغربي النصراني وهم ما بين كافر مشرك،

---

1 - من مقال له بجريدة البيان ،العدد (6520).

وكافر ملحد، ومعلوم ما في ذلك وما قبله من مناقضة صريحة، ومحادة الله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ونقض لمقاصد الشرع.

3- أنه منهج ابتزازي، لكن بصورة مقننة، فهو مخطط يفضي إلى سرقة أقوات الشعوب، وعدم سيادتها على خيراتها، والمسلمون هم المثال الأوضح والخاسر الأكبر في ظل هذه العولمة.

ولا يمكن مواجهة هذه الأخطار الحقيقية إلا ببرامج عملية مدروسة، وهجوم ثقافي ورؤية حضارية مضادة، فإن خير وسيلة للدفاع هي الهجوم، وهذا يستلزم أن تكون الأمة على قدر من الوعي والتوحد العقدي والفكري والمنهجي، وأن يكون المسلمون واثقين بدينهم، فخورين بماضيهم وتاريخهم وأن تقوم مؤسسات علمية وإعلامية متخصصة وكفؤة بهذه المواجهة الشاملة، وأن تكون مدعومة من حكومات وشعوب المسلمين، وأن تكون هناك توعية فاعلة ومتطورة بمخاطر العولمة الثقافية خاصة، وذلك بكشف مقاصدها المريبة وطرح البدائل، وحماية الشعوب الإسلامية عملياً من التأثيرات المنحرفة بكل وسيلة ممكنة.

إن الإسلام ذو قيمة عظيمة ورسالة شافية وافية صالحة لكل الناس وفي كل زمان ومكان، ولكن خفي ذلك كله بسبب عجز المسلمين وجهلهم وانحراف أكثرهم عن جادة الصواب، ولم يكن لمبادئ الشرق والغرب أن تجد موطئ قدم لو حملنا هذا الدين بصدق، علماً وعملاً ودعوة (**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ**) سورة الأنبياء (18) ولكن الشأن هو كما قال عمر رضي الله عنه (**اللهم إني أعوذ بك من جلد الفاجر وعجز الثقة**).

ونحن لا نلوم أهل الملل الباطلة على ما يفعلون، إنما اللوم علينا نحن المسلمين أن نستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير. ومع ذلك كله نقول: إن العمل هو أقرب طريقة وأسلم خيار لتدارك الخطأ، ونحن نعمل ومعنا معية الله وتأييده، ورسالتنا هي دين الفطرة والعقل، وقد

جرب العالم كل شئ، وهو يحتاج إلى بديل يبحث عنه، لم يعثر عليه بعد .. ولن يعثر عليه إلا في الإسلام **(والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا * وإن الله لمع المحسنين)** والله أعلم[1].

4- نرجو أن يتعامل الكثير من المسلمين في أغلب الأحوال مع العولمة بطريقة تقوم على إمكانية الاستفادة من نتائج العولمة المادية، من اقتصاد وتكنولوجيا، مع رفض منظومة القيم، ولكن للأسف في الوقت نفسه يكرر بعضهم إمكانية أن ينحل المجتمع أخلاقيا ويتطور سياسيا. وهذه نقطة دقيقة تحتاج إلى مزيد من التعميق أكثر من مجرد ترديد الشعارات والاتهامات، إذ يصعب أن يقسم الإنسان بهذه الطريقة التعسفية إلى مادة وروح، كما أن التطور العلمي يتطلب قدرا من الانضباط والصبر والمثابرة والتضحية والصدق، كل هذه قيم روحية لا بد من توافرها في العالم أو المخترع.

---

1 - الشبكة الإسلامة.

المبحث الثاني

مفهوم العالمية وعالمية الاسلام

مفهوم العالمية : تعني التفاعل والتدافع والتسابق مع الآخر في ظل التأكيد على أن التعددية الحضارية والتنوع الثقافي والاختلاف بين الشعوب والأمم والقبائل،وفي الألوان والأجناس والأعراق،وفي الألسنة واللغات ومن ثم القوميات وفي الشرائع والملل الدينية...وفي المناهج والمذاهب والثقافات والحضارات... وكل هذا التنوع والاختلاف هو القاعدة الطبيعية والقانون التكويني،والسنة الإلهية التي لا تبديل لها ولا تحويل"[1].

عالمية الاسلام: إن الإسلام،كما سبق أن ذكرنا، ينظم العلاقة بين الإنسان وربه،كما ينظم علاقة الإنسان بالإنسان في جوانبها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية،ويدعو الناس جميعاً الى تبني ما يقدمه من نماذج ونظم في هذه المجالات. ومن ثم فهو نظام عالمي ،ومما يؤكد عالميته ما يأتي:

1/ إنَّ الاسلام في جوهره دعوة عالمية الى البشر جميعاً ،تخاطب الناس كافة على اختلاف ألسنتهم وألوانهم،وقد تأكدت هذه الحقيقة في جملة من المبادئ نص عليها القرآن وأكدتها سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ،والتزم بها المسلمون في واقع حياتهم.

فمن خصائص الرسالة المحمدية أنها رسالة عالمية، لم تختص بالجنس العربي ولم تقف عند حدود الجزيرة العربية، بل كانت رسالة عامة. تجاوزت حدود القوم،والعرق، والعصر والزمان والمكان ، فالرسالات الإلهية السابقة جاءت تخاطب أقواماً بعينهم وتناسب أحوالهم وتوافق بيئتهم ومستواهم ومن ثم جاء خطاب الأنبياء السابقين متوجهاً إلى أقوامهم فقط دون من عداهم: (**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**) الأعراف:59.

---

[1] - مستقبلنا بين العولمة والعالمية الإسلامية - محمد عمارة – ص(5) - بتصرف.

أما الرسالة المحمدية فقد كانت موجهة للبشرية بأسرها، وللناس جميعاً على اختلاف أعراقهم،وقومياتهم وسلالاتهم وبيئاتهم ، ومن ثم تكرر فيها خطاب الإنسان على الإطلاق والعالمين جميعاً : **(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً)** ،الأعراف:158. **(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ)** ،الحج:49. وقوله: **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)** ،سبأ:28. **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)** ،الانبياء:107 .

كما وصف القرآن بأنه :(بلاغ للناس) و **(بيان للناس)** و **(هدى للناس)** كما ورد في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم:**(فضلت على الأنبياء بست ، اعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، واحلت ليَّ الغنائم ، وجعلت ليَّ إلارض طهوراً ومسجداً ، وارسلت الى الخلق كافة وختم بيَّ النبيون)** رواه مسلم.

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:**(أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وجُعِلَتْ لي الأَرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا، فأيُّما رَجُلٍ مِن أُمَّتِي أدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وأُحِلَّتْ لي المَغَانِمُ ولَمْ تَحِلَّ لأحَدٍ قَبْلِي، وأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وكانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ عَامَّةً)** رواه البخاري.

كما خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم الملوك والأمراء. وأرسل الرسائل الى الزعماء والرؤساء ،ووجه دعوته إلعظماء النصارى وقادتهم في زمانه،وأوفد اليهم الرسل وبعث اليهم الكتب يدعوهم الى الإسلام واتباع رسالته.فكتب الى النجاشي عظيم الحبشة،وهرقل عظيم الروم البيزنطيين، والمقوقس عظيم مصر،وجبلة بن الأيهم من ملوك الغساسنة،وكتب أيضا الى كبار القساوسة،ومنهم: الأسقف ضغاطر أسقف الروم في القسطنطينية،وأبو الحارث بن علقمة اسقف نجران.

2/ أكد الإسلام على وحدة الأصل الذي ينتمي اليه الناس جميعاً:

فوحدة الخلق الإنساني،في المنظور الاسلامي، حقيقة مقررة في ابتداء الخلق، سعت الأديان السماوية كلها، وخاصة الإسلام، الى احيائها في نفوس الناس وازالة كل ما يؤدي الى اضعافها من حقد وخصام وافساد بين الناس. فالناس جميعاً، في المنظور الإسلامي،يعودون الى أصل واحد، وقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة فقال تعالى: **(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ)** سورة الأعراف:189.

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً) سورة النساء:1 .

3/ حدد الإسلام ميزاناً وحيداً للتفاضل بين بني البشر ، هو ميزان التقوى ، وما تنطوي عليه هذه الكلمة الجامعة المانعة من استحضار مخافة الله في كل أمر ، والحدب على عباده ، والحرص على إعمار الكون ، وإشاعة الخير والصلاح بين ربوعه، وبيَّن أن معيار التفاضل بين الناس هو مقدار ما يحمل كل منهم من قيم انسانية،أو يتحلى به من تقوى كما عبر القرآن الكريم:**(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)** سورة الحجرات:13 .

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم **(أَلَا لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ على أَعجَمِيٍّ، ولا لِعَجَمِيٍّ على عَرَبِيٍّ، ولا لِأَحمَرَ على أَسوَدَ، ولا أَسوَدَ على أَحمَرَ إِلَّا بالتَّقْوى، أَبَلَّغْتُ؟)** أخرجه أحمد وصححه شعيب الأرناؤوط تخريج شرح الطحاوية.

فالناس جميعا شركاء في الانسانية،والانسان بصرف النظر عن دينه وأصله كائن مكرم عند الله تعالى، وهو مفضل ومميز على كثير من المخلوقات؛ قال تعالى : (**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**) سورة الإسراء:70. قال تعالى : (**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**) سورة التين:4.

ومن الأمثلة العملية على هذا التكريم ما رواه البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:(**مر بنا جنازة فقام لها النبي صلى الله عليه وسلم فقمنا معه فقلنا:يا رسول الله إنها جنازة فقال:إذا رأيتم الجنازة فقوموا**) رواه البخاري.

وفي حديث آخر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كان سهل بن حنيف وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية،فمروا عليهما بجنازة فقاما.فقيل لهما :إنها من أهل الأرض- أي من أهل الذمة- فقالا:إن النبي صلى الله عليه وسلم مرت به جنازة فقام فقيل له:إنَّها جنازة يهودي.فقال:(**أليست نفسا**) رواه البخاري.

4/ أكد القرآن الكريم وحدة الرسالات الإلهية التي جاءت إلى البشر :

فالإسلام يلتقي في أصوله العقائدية، ومبادئه الايمانية، مع الرسالات الإلهية السابقة جميعاً، اذ ان تلك الرسالات السماوية جميعاً قد خرجت من مشكاة واحدة،وتعود إلى اصل واحد،ومن ثم لا تختلف في جوهرها،و لا تتعارض في قيمها ، وتعاليمها.وقد أكد القرآن الكريم ذلك كما في قوله تعالى: (**مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ**) فصلت: (43)

وقال تعالى : (**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ**) الشورى:(13).

وهذه الرسالات، رغم تنوعها وتعددها، فإنها تشير الى دين واحد تلتقي أصوله ،وتختلف شرائعه،من أجل ابتلاء الإنسان واختباره: (**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**) سورة المائدة:48.

وقد أكد الإسلام هذه الحقيقة بأن جعل الايمان بالرسل السابقين أمرا لا يكتمل إيمان المسلم الا به: (**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**) سورة البقرة:136.

5/ تقرير مشروعية اختلاف الناس في الدين:

فرغم الوحدة الإنسانية التي أعلنها الإسلام وأكدتها مبادؤه،ورغم القيم المشتركة للاديان الإلهية،فإن الإسلام يقرر أن هناك سنناً اجتماعية جعلها الله حاكمة في المجتمعات الانسانية. ومن هذه السنن تعدد الديانات واختلاف الناس حولها نظرا لاختلاف خياراتهم ،كما يختلف الناس أيضاً في ألوانهم وألسنتهم وانتمائهم القبلي والعشائري: (**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ،إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**) سورة هود: 118-119.

وتبعا لهذا جعل الإسلام حرية الاعتقاد مبدأ من المبادىء الهامة فيه، وقررها بصورة قاطعة لا تحتمل لبسا و لا تأويلا ،وأكد أنه لا يجوز اكراه شخص على ممالأة احدى الديانات تحاملاً على غيرها،سواء بانكارها أو ازدرائها أو التهوين من شأنها والحط من قدرها.

قال تعالى: (**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) سورة البقرة:256.

ومصداق ذلك عملياً قبول الإسلام في مجتمعه،غير المسلمين ،وتمكين غير المسلمين من أهل الكتاب من أداء شعائرهم الدينية في دور العبادة الخاصة بهم والسماح باقامتها وترميم ما يتهدم منها.وكتب التاريخ خير شاهد على ذلك سواء في ذلك ما كتبه المؤرخون المسيحيون والمؤرخون المسلمون.

6/ العدل والمساواة بين المسلمين وأهل الكتاب في باب القضاء والحكم بين الناس في الأمور الدنيوية:

قرر الاسلام مبدأ العدل والمساواة بين اتباعه وبين غيرهم من أصحاب الديانات السماوية الأخرى في العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

وحقيقة فإنَّ مبدأ العدل بين الناس يعد من أبرز مبادئ الإسلام ومقاصده، وخطاب الإسلام يتوجه الى الناس جميعاً دون تمييز بينهم بسبب الدين أو اللغة أو الأصل أو الحرفة أو الطبقة الاجتماعية.فأمر الله سبحانه وتعالى بالعدل بين الناس فقال سبحانه: (**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً**) سورة النساء:58.

وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم الامام العادل من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله فقال صلى الله عليه وسلم (**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلاَّ ظله:إمام عادل ،وشاب نشأ في عبادة الله،ورجل ذكر الله ففاضت عيناه،ورجل قلبه معلق بالمساجد،ورجلان تحابا في الله ،ورجل دعته إمرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها،قال: إنِّي أخاف الله،ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه**) رواه مسلم.

7/ حرص الاسلام على تأكيد ان العداوة بين الناس لا ينبغي أن تحملهم على الظلم، وعدم اقامة العدل في باب القضاء:

يقول تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**) سورة المائدة:8.

وأنَّ النصر مقرون بالعدل بينما الخذلان مرتبط بالظلم،وأنَّ الله سبحانه وتعالى ينصر العدل أيا كان مصدره،ويؤكد ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول:(**فإن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة،وعاقبة العدل كريمة،ولهذا يروى إن الله ينصر الدولة العادلة،وإن كانت كافرة،و لا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة**)[1].

وتاريخ المسلمين يؤكد التزامهم بهذا المبدأ ؛ ويمكن الاشارة هنا إلى قصة الإمام علي بن أبي طالب مع خصمه الكتابي أمام القاضي شريح في المدينة المنورة،عندما وجد عليٌّ درعه عند رجل من أهل الكتاب،فتخاصما إلى قاضيه شريح،الذي طالب علياً أمير المؤمنين بالبيّنة،ولما لم يستطع أن يقدم بينة حكم للكتابي بالدرع ،فلم لم يكن من الكتابي إلا أن أسلم حينما وجد هذا النموذج العالي من العدل فكافأه علي بأن ترك له الدرع ووهبها له[2].

---

[1] - مجموعة الفتاوى،ابن تيمية - (28/62-63)

2 - البداية والنهاية،ابن كثير، ج 8 ص:(8).

المبحث الثالث

التأثير السيئ للمدارس الأجنبية على الهوية الإسلامية

المطلب الأول : حقيقة المدارس الأجنبية:

المطلب الثاني :مختارات من كتاب :المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية.

المطلب الثالث : نماذج من أقوال العلماء وبيانتهم وفتاويهم عن المدارس الأجنبية.

المطلب الأول

حقيقة المدارس الأجنبية المسماة بالمدارس العالمية

إنّ الحديث عن المدارس الأجنبية مهمّ جداً؛ نصحًا للأمة، ومعذرة إلى الله وليس هذا الحديث خاصًا ببلد دون بلد من بلاد المسلمين.. بل هذه الكلمة صرخة إنذار، وبيان للمخاطر الضخمة التي تتعرض لها البلدان التي فيها هذه المدارس، وهي تحذير للمسلمين الذين ليس في بلادهم شيء من هذه المدارس أن يكونوا على وعي ويقظة وحذر؛ خشيةَ أن يعمّهم البلاء إن دخلت إلى بلادهم، فالخطر محدق فظيع. والمدارس الأجنبية نوعان:

تبشيرية (بل تنصيرية)، وعلمانية، وكل نوع من هذين النوعين أنواع متعددة. وكلا النوعين يلتقيان في الهجوم على الدين الإسلامي العظيم.

1 . المدارس التبشيرية (التنصيرية): وهي أنواع كما أشرنا؛ فللكاثوليك مدارس، وللأرثوذكس مدارس، وللبروتستانت مدارس.. وهكذا.

وهذه المدارس الموجودة في بلاد المسلمين على أنواعها ترمي إلى التشكيك في الدين الإسلامي وتشويه صورته، وتدعو أبناء المسلمين وبناتهم إلى الانخلاع من الإسلام والدخول في النصرانية، وتسلك في ذلك مسالك متدرجة على طريقة (الخطوة تتلوها الخطوة).

ففي أكثر هذه المدارس يكلَّف الطلبة أن يصلوا صلاة النصارى في صباح كل يوم قبل الدخول إلى الصفوف!

ويغلب على الأساتذة الذين فيها أنّهم من القساوسة ومن **(رجال الدين)** عندهم، ولا يقبلون أن يكون فيها معلم من المسلمين مهما كانت الظروف! وقد حصل ـ كما أخبرني أحد المفتشين في **(وزراة المعارف)** بالشام ـ أن معلمًا نصرانيًا أقعده المرض وخلا مكانه، فبحثوا عمن يحلّ محلّه فلم يجدوا أحدًا من دينهم؛ فاقتُرِح عليهم اسم معلم من أبناء المسلمين،

ولكنه ليس ملتزمًا بالإسلام ولا مؤمنًا به، بل هو ملحد؛ فأبوا أن يوظفوه، وقالوا: لا نريد أن يرى الطلاب أمامهم معلمًا غير نصراني!

2 . المدارس العلمانية: وأمّا المدارس العلمانية، وهي أنواع كما أسلفنا، فلكل من الدول الأوروبية والأمريكية مدارس؛ من الفرنسيين والأمريكيين والطليان والإنجليز.. وأمثالهم، وهذه المدارس تقوم على تنحية الدين جانبًا. وعندما تقوم هذه المدارس في بلاد المسلمين فإنّها تدعو إلى تنحية الإسلام عن حياة النّاس الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.. هذا أصل تقوم عليه العلمانية. وهم في بلاد المسلمين يبالغون في تحقيق هذا الأصل في مدارسهم؛ لأنّهم يعلمون علم اليقين أنّ الإسلام هو وحده القوة العظمى التي تقف أمام هجمتهم الشرسة على بلاد المسلمين وأمام مخططاتهم الهدامة؛ فهم يريدون إضعاف هذه القوة وإزالتها ليتسنّى لهم السيطرة التامة على بلاد المسلمين.

ومقاومة الاستعمار في كل البلاد الإسلامية التي كانت مستعمرة إنّما قام بها المسلمون، وأعداؤنا يعرفون ذلك حق المعرفة. وتاريخ هذه المدارس في بلاد المسلمين يرجع إلى أكثر من قرنين من الآن. وإنّ وجودها في بلادنا لمن أعظم النكبات التي ابتلي بها المسلمون في العصر الحاضر، وليس من شك في أنّ كثيرًا من أغراضهم الخبيثة الإجرامية قد تحقق لهم.. وا أسفاه! إذ كانت هذه المدارس جذّابة لبعض النّاس؛ لِما كانت تشيع بين النّاس من مزايا لها.

ولأنّ وراءها دولاً قوية تمدها بالمال والرجال، وقد تكون هذه الدول محتلّة للبلد الإسلامي الذي تقوم فيه هذه المدارس، كما كان الحال في الجزائر وسورية ولبنان وفلسطين والعراق ومصر والمغرب وتونس.. وغيرها من بلدان المسلمين. وكثير من الوزراء العرب في الدول الإسلامية درسوا في هذه المدارس وتخرجوا منها! وقد تتبعت ذلك بنفسي؛ ذلك لأنّ الصحف ـ عند تشكيل حكومة ما في العهود الديمقراطية ـ كانت تنشر نبذة موجزة عن ترجمة كل وزير؛ فكنت أجد أن كثيرًا من هؤلاء الوزراء درسوا في واحدة من المدارس الأجنبية؛

كالقرير واللابيك والفرنسيسكان، وغيرها من هذه المدارس..، بل لقد فوجئت بأنّ بعض علماء الدين في بعض البلاد كانوا ممن تخرج من هذه المدارس..! وكذلك الحال مع كثير من رجال الفكر وحملة الأقلام في بلادنا..؛ فـ (إنّا لله وإنّا إليه راجعون).

المطلب الثاني

مختارات من كتاب :المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية[1]

برامج المدارس الاستعمارية وإداراتها وأستاذتها:

لما كان هناك أهداف من وراء فتح المدارس الاستعمارية في بلاد المسلمين, فليس غريباً أن تُتّخذ التدابير اللازمة, والضمانات الكافية, لتحقيق تلكم الأهداف والغايات.

ولهذا وجهوا العناية إلى الآتي:

1-برامج التعليم فيها ومناهجها هي المتبعة في بلادها, وعلى اتصال دائم بخطط التعليم القومي الديني في بلادها.

2- الابتعاد في مناهج هذه المدارس الاستعمارية عن المناهج الرسمية للبلد المسلم التي تُفتحُ فيها, لأن التقيد بها يفقدها عنصراً أساساً في صفتها التبشيرية, ولهذا تشتد مطالبتها بجعل التعليم حُرّاً.

3- اختيار المدرسين الذين على مللهم ونحلهم علماً وتطبيقاً من القسس والرهبان وغيرهم من الكفرة والملاحدة.

4- رصد أضخم ميزانية في العالم لمواجهة الإسلام من طرق شتى, أهمها ما يصرف على المدارس والجامعات ورياض الأطفال.[ص:48].

---

[1] - للعلامة بكر أبو زيد - موقع طريق الإسلام : تسمى (المدارس الأجنبية) ويقال: (الإفرنجية) و (الغربية) و (الحديثة) و (العالمية) ويسميها بعض علماء المسلمين: (المدارس الاستعمارية) وهذا من باب التسمية بالغايات والمقاصد,...ولقبها أنور الجندي بلقب: " الخنجر المسوم " وعنون به كتابه: " الخنجر المسوم الذي طُعِنَ به المسلمون " ولقبها الأستاذ عبدالعزيز الثنيان بلفظ: " السيوف الخفية " وأرى أن اسمها بلا مواربة: " المدارس الكفرية " [ص:30_31].

وسائل الإغراء في التعليم الاستعماري: لفظاعة الأهداف والغايات الإفسادية في المدارس الاستعمارية وعظيم نكايتها بالمسلمين بين الإلحاد والإباحية, لبسوا لها المسوح من اللين وأفاضوا بغشاوة على أبصار المسلمين وخادعوا بصائرهم وأتقنوا فنَّ الخداع والمكر إنها وداعة الأفعى في صور العلم والحضارة والتقدم والثقافة ثم سياسية الانفتاح والخلط والعمولة فهرع إليها جهال المسلمين وفسقتهم ومُراقهم ولذا صارت الإغراءات بها في مرحلتين:

المرحلة الأولى: وسائل إغراء هي بمثابة: "بطاقة الدخول " للمدارس الأجنبية – نظام التعليم الغربي – في البلاد الإسلامية. **فأُنشئت باسم أنها:**

1–مدارس تثقيفية تهذيبية تهدف إلى التثقيف العام وتنوير الأذهان.

2– ولنشر العلوم الحضارية بين المسلمين.

3– وإقناع الناس بأنها نماذج متقدمة للثقافة والعلوم وتعلم اللغات.

4– إيهام الناس بأنها رفيعة المستوى فيلهثون وراءها مصابين بداء الغرور والاستعلاء.

5– وباسم مكافحة ما يعانيه المسلمون من الجهل والتخلف.

6– وباسم تعليم أولاد الجاليات.

7– ورصد الأموال الطائلة لها وبذلها.

المرحلة الثانية: وسائل إغراء هي بمثابة: بطاقة دخول أولاد المسلمين فيها. اتخذ أعداء الله وسيلتين لضمان الإقبال عليها ودفع أولاد المسلمين إليها, وهما:

1–جعلها وسيلة للرزق من ناحية جعل الأولوية للمتخرجين منها في الوظائف.

2– أكسبوها مكانة اجتماعية تفوق مكانة الدارسين في المدارس الحكومية أو الخاصة ولهذا يلقب المنتسبون إليها بالطبقة الجديدة والطبقة المعاصرة والطبقة المتطورة[50] أهداف نشر

التعليم الأجنبي بين المسلمين: إن الأمة الإسلامية هي الأسوة الحسنة لأهل الأرض فإذا ما داخلها التعليم الأجنبي عنها فإنه سيصيبها في غربة في دينها وغياب في أخلاقها ولغتها وآدابها واحتقار لتاريخها في ماضيها وحاضرها, وانشطار في وحدتها وآليات حياتها, وفرقة بعد اجتماع, وخلافٍ بعد وفاق.

وتسلُّم قيادتها من جيل جديد هو على الأقل: إسلامي في الاسم, وعقد النكاح, وتسجيل المواليد, أجنبي في اللسان والذوق والرأي والتفكير يسهم في قتل روح أمته وفي طمس جوهرها. ألا إن هذه الموجة الطاغية التي اجتالت العالم الإسلامي جلب: " التعليم الأجنبي " لثقيف ناشئتها هي في الحقيقة مؤامرة على الدين والأخلاق والمروؤات واللغة والتاريخ إن الوليد المسلم الذي يرمى به أبواه في أخضان هذه المدارس الاستعمارية: إما أن يخرج مسلماً خواء مفرغاً من مقوماته من حيث لا يشعر مشحوناً بمقومات غيره في دينه وثقافته, يستخدمونه لأغراضهم وغاياتهم. وإما ردة إلى دين باطل كالنصرانية. وإما ردة إلى غير دين: " **اللادينية** " نعوذ بالله من ذلك, ونسأله الثبات على الإسلام. إن علي أولياء الأولاد أن يتقوا الله في أنفسهم, وفي أولادهم, فلا يدفعوا بهم إلى هذه المدارس, التي تصدهم عن دينهم, وتمرض أخلاقهم, وتوهن عقيدتهم, وأن كل تهذيب بلا إسلام فلا خير فيه, وكل تأديب من غير تقوى الله لا أثر له [54_58_29].

المطلب الثالث

نماذج من أقوال العلماء وبيانتهم وفتاويهم عن المدارس الأجنبية[1]

في صحفية الفتح الإسلامية لمحب الدين الخطيب محاضرة بعنوان: المدارس التبشيرية :

جاء فيها: فحرام أن يُسلم الوالد ولده والأخ أخاه إلى المدارس التبشيرية لتأخذه عدة سنوات ثم بعد حين ترده إلى أهله وأمته وبلاده ولداً مزيفاً ما كان فيه قد أُذ منه وما أُعطيه ففاسد لا جدوى منه ولا منفعة.

وقال الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله تعالى: أخرجت هذه المدارس من أبنائنا أعداء لنا وأعواناً لعدونا.

قال الشيخ حسن مشاط رحمه الله تعالى (وهو من علماء المسجد الحرام):

أفيقوا أيها الأولياء استيقظوا من نوم الغفلة وارجعوا إلى ربكم الجليل ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار واعلموا أنكم إذا سمحتم لأولادكم بدخول تلك المدارس فقد سمحتم لهم بدخول الكنائس وشهود طقوس الكفر وسماع الطعن في دين الإسلام, وبكل ما تنهى عنه الشريعة الغراء وتأباه الفضيلة الإنسانية.

وتنبهوا أنكم بذلك آثمون في حق الله تعالى وحق دينكم وأمتكم وحق أولادكم وعشيرتكم, عاصون لله ولرسوله أشد العصيان مخالفون بذلك ما أوجبه الله عليكم نحو أولادكم من تعليهم التعاليم الإسلامية وصونهم من كل ما يخالف ذلك.

وقال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله تعالى: يجب الحذر والتحذير من دخول المدارس الأجنبية التي تدرس فيها العلوم الضارة...فكيف يرضى من عنده دين وعقل أن

---

[1] - مقال للكاتب - فهد بن عبدالعزيزبن عبدالله الشويرخ - موقع طريق الإسلام.

يضع ولده وفلذة كبده ويسلمه لمدارس أجنبية قد عُلِم عداؤها لدين الإسلام...ولم تؤسس إلا لصد الناس عن دين الله وتوحيده.

ووجه هذا السؤال لركن الفتوى بموقع الشبكة الإسلامية:

أشكركم كثيرا على هذا الموقع وأريد أن تجيبوني حول الفتوى التي أقولها لكم: ابني عمره 5 سنوات ونصف ولدي ابن ثان عمره 3 سنوات ونصف وابني ذو الخمس سنوات يدرس في مدرسة أجنبية خاصة خلال سنتين واقترحت على زوجي أن ننقله من هذه المدرسة إلى مدرسة عربية مستقلة بالدولة، وابني الثاني أيضا يكون في تمهيدي أول مع أخيه الكبير، لأن ابني ذو الخمس سنوات سيصبح السنة القادمة في أول ابتدائي وإذ أرغب أن يتواجد في مدرسة عربية مستقلة والمتواجدة لدينا في دولة قطر وخاصة أن جميع المدرسات أغلبهن من أهل السنة ولكن المدرسة الأجنبية كما تعلمون أكثرهم من الشيعة وغير ذلك حتى في كتابة اسم ابني عبد الله تقوم مدرسة اللغة العربية وجنسيتها لبنانية، أو أردنية بكتابة اسمه هكذا: عبداااه . وقد نويت أن أكتب ملاحظة للمدرسة وأخبرها بتصحيح كتابة لفظ الجلالة، علما بأن ابني الكبير ما شاء الله في المنزل دائما يقوم بإقامة الصلاة ويصلي حسب ما يعلم، لأنه يذهب مع والده إلى المسجد ويستمع جيدا هناك ويأتي للمنزل ويقوم بنفس ما يفعل الإمام فحرام أن يبقى في مدرسة أجنبية خلال السنوات القادمة في المراحل الابتدائية وحقيقة زوجي رفض فكرتي، بل قام بتسجيل ابني في مدرسة أجنبية أخرى بحكم أن اللغة الانجليزية في الدراسة أقوى من المدرسة الحالية ويعلم الله أنه حاليا تأتي مدرسة لمنزلنا وهي لبنانية لتأسيس ابننا عبدالله حتى ينجح في الاختبار ويوافقوا على التسجيل له عندهم، وهذه المدرسة لست مرتاحة لها بسبب عدم الستر ولم أكن أريد أن يدرس أبنائي في أي مدرسة أجنبية فقمت بنصيحة زوجي بأن يغير فكرته ونقوم بتسجيلهم في مدرسة عربية مستقلة، لأنها توجد

قريبة من منزلنا، لكنه يرفض ويقول عندما يصلون مرحلة الإعدادية سوف يدرسون في مدرسة مستقلة خاصة بالشباب وأنا أعلم أنه يحصل في مدرسة أجنبية بعض الأمور التي يغرسونها في ذهن الطفل حيث يقومون بعلامة على أيديهم بشكل نجمة وهو بالأصح يعني شعار الصليب وأخبرت المدرسة قبل ذلك ولكن لا حياة لمن تنادي، فماذا أفعل حيال ذلك ويعلمون أطفالنا عند الذهاب للحمام أن لا يغسلوا أنفسهم مجرد قضاء الحاجة ويقومون بالتنظيف فقط بالمحارم وأخبرت زوجي بما يحصل في المدارس الأجنبية، وعندما يأتي للمنزل ينظف نفسه بالماء وأخبرته عن رسمة شعار الصليب على ظهر يد الطفل فلا يعلق وهو مقتنع أن الطفل في مراحل عمره هذه يستوعب أكثر وسريعا لتعلم اللغة الأجنبية وأنا لا أؤيده في ذلك وأخبرته أن الذي يجب أن نفتخر به لغتنا وهي لغة القرآن ولا يجوز أن نفتخر بلغة غير لغتنا، إذ أنني أسعد كثيرا عندما يكون ابني متوفقا في اللغة العربية وأهتم بذلك من الناحية هذه أكثر ولا يسعدني كثيرا أن يتوفق في اللغة الانجليزية، أو يتحدث بهذه اللغة حيث أذكر ابني أنني تعلمت اللغة العربية الفصحى جيدا من خلال مدرسات علمونا حق التعليم والتعليم الجيد حتى أصبحت لا أخطئ في الكتابة، أو الحديث باللغة الفصحى، فماذا أفعل؟ ويعلم الله أنني أدعو أن لا يوفق زوجي في هذا الأمر ويكون الأمر الأخير لصالح الأبناء وأن يدرسوا في مدارس عربية مع تمام العلم أنني غير راضية أبدا من تصرفات وتفكير زوجي، أرجو التوجيه وكيف أنصح زوجي؟ وهل له تأثير من ناحية على الأبناء إذا أتموا دراستهم في هذه المدارس؟ وهل عليه ذنب إن بقي أبناؤه في مدارس أجنبية؟ انصحوني ماذا أفعل لتوجيه زوجي؟ ولكم جزيل الشكر.

الإجابة : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، وبعد:

فنشكر لك حرصك على تنشئة أولادك تنشئة صالحة، ثم حرصك على اللغة العربية لغة القرآن والشريعة، ثم نشكر لك وعيك وإدراكك لمخاطر تعليم الأولاد في المدارس الأجنبية، ونسأل الله أن يكلل مسعاك مع زوجك بالتوفيق والنجاح، فالمسألة بالفعل خطيرة للغاية، ولكن للأسف كثير من المسلمين لا يدركون الأمر على حقيقته، ولذلك ننصحك بمدارسة هذا الأمر والإحاطة التفصيلية بمخاطره قبل التحدث مع زوجك، لأن الحديث المجمل غالبا لا يكون مقنعا، ولا يستبين منه قدر الخطر، ولتحقيق ذلك باختصار وعلى عجالة راجعي فتوانا السابقة عن هذه المدارس وأهدافها وأخطارها وهي برقم: 8080.

ثم اطلعي على ما كتبه العلامة بكر أبو زيد في رسالته الهامة: المدارس العالمية الأجنبية . وتجدينها على هذا الرابط:

ونرجو إن اطلع عليها زوجك أن يقف على حقيقة هذه المدارس فيقاطعها، ومما قاله الشيخ في رسالته هذه: لا يستريب مؤمن بعد أن يعرف حال المدارس الأجنبية وآثارها السيئة على المسلمين أفراداً وجماعات وأمة أنها من أعظم المنكر فيجب بغضها وإنكارها وإعلان البراءة منها. اهـ.

وقال فيها أيضا: لا يحل لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُلقي بأولاده إلى التهلكة في أحضان المدارس الأجنبية وهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، ولا يعلمون من الإسلام شيئاً قليلاً ولا كثيراً، فيتلقون الكفر والإلحاد والشر والفساد، وناهيك بأثر ذلك على فِطَر الصغار الأغرار، والنبي صلى الله عليه وسلم أخبر بأنه: ما من مولود إلا يُولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه . فكل مولود فإنه يولد على فطرة الإسلام، ولو ترك على حاله ورغبته لما اختار غير الإسلام لولا ما يعرض لهذه الفطرة من الأسباب المقتضية لإفسادها وتغييرها، وأهمها التعاليم الباطلة والتربية السيئة الفاسدة، وقد أشار إليها النبي صلى

الله عليه وسلم بقوله: فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه ـ أي: أنهما يعملان مع الولد من الأسباب والوسائل ما يجعله نصرانياً خالصاً، أو يهودياً أو مجوسياً، ومن هذا: تسليم الأولاد الصغار الأغرار إلى المدارس الكفرية، أو اللادينية بحجة التعلم فيتربون في حجرهم ويتلقون تعليمهم وعقائدهم منهم، وقلب الصغير قابل لما يلقى فيه من الخير والشر، بل ذلك بمثابة النقش على الحجر، فَيُسَلِّمونهم إلى هذه المدارس نظيفين، ثم يستلمونهم ملوثين، فالويل كل الويل لمن تسبب في ضلال ابنه وغوايته. اهـ.

وقد نقل فيه الشيخ ـ رحمه الله ـ عدة فتاوى لكبار العلماء والمفكرين والهيئات والمؤسسات العلمية المعتبرة، كاللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء والأزهر الشريف.

بيان من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء حول: حكم فتح المدارس الأجنبية في بلاد المسلمين:

وقد قام ثلة من علماء الأقطار الإسلامية – شكر الله سعيهم – في الشام ومصر والجزيرة العربية وغيرها ببيان خطر هذه المدارس على المسلمين، وأنها امتداد للهجمات الشرسة من أعدائهم للقضاء على الإسلام في قلوب المسلمين وحياتهم.

وامتدادًا لتلك الجهود المباركة من علماء الأمة؛ فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء تقرر ما يلي:

أولًا: فتح المدارس والكليات الأجنبية في بلاد المسلمين وسيلة من وسائل الغزو المنظم ضد المسلمين من قبل أعدائهم؛ لاسيما (المنصّرون)، وأنها خطة خبيثة كشف عن حقيقتها الغيورون على مصالح هذه الأمة، وسبق أن صدر من هذه اللجنة فتوى برقم (20096)، وتاريخ 22 /12 /1418هـ في التحذير من وسائل التنصير، ومنها: فتح المدارس الأجنبية في بلاد المسلمين.

ثانيًا: بناء على ما تقدم: فإنه لا يجوز للمسلمين فتح المدارس والكليات الأجنبية، ولا تشجيعها، ولا الرضا بها، ولا إدخال أولاد المسلمين فيها؛ لأنها من وسائل الهدم والتدمير للعقيدة الإسلامية والأخلاق السوية، وهذا ضرر ظاهر، وفساد محقق يجب دفعه، وسد الذرائع الموصلة إليه. ويزداد الأمر تحريمًا فتح هذه المدارس في جزيرة العرب؛ لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**لا يَجْتَمِعُ دِينَانِ فِي جزيرةِ العَرَب**) [موطأ مالك" (2 /892 رقم والبيهقي في "السنن الكبرى]، ولأنَّه صلى الله عليه وسلم أَوْصَى بإخراج الكفار منها[متفق عليه].

ثالثًا: لا يجوز لمسلم بناء ولا تأجير الأماكن والمحلات للمدارس والكليات الأجنبية؛ لأن ذلك من التعاون على الإثم والعدوان، والله عز وجل يقول: (**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**) [المائدة: 2].

رابعًا: يجب على جميع المسلمين – رعاةً ورعيّةً – العناية بتعليم الأولاد ذكورًا وإناثًا الإسلام الحق عقيدةً وأحكامًا وأخلاقًا وآدابًا، ولا يجوز تفريغ برامج التربية والتعليم من ذلك، ولا مزاحمة دين الإسلام بغيره من العقائد والمذاهب والآراء الباطلة.

خامسًا: ليعلم كل مسلم استرعاه الله رعيَّة أن الله عز وجل سيسأله عن هذه الأمانة التي حملها؛ فإن كان أدّاها على الوجه الأكمل ونصح لها فليحمد الله، وإن كان غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، قال الله تعالى: (**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**) [الأنفال: 27]، وقال جل شأنه: (**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**) [التّحريم: 6].وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**كُلُّكم رَاعٍ، وكلكم مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِه**)[رواه البخاري]، وقال أيضًا عليه الصلاة والسلام: (**ما مِن عبد يَسْتَرْعِيهِ الله رَعِيَّةً، يموتُ يومَ يموت وهو غَاشٌّ لرعيَّتِه؛ إلا حَرَّمَ الله عليه الجنّة**)[متفق عليه][1].

---

[1] - **اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء - كتاب "فتاوى وبيانات مهمة.." (ص29) – شبكة الألوكة.**

الفصل الرابع عشر

الهوية الإسلامية في مواجهة المؤامرات والغزو الفكري

مدخل : هل ذُكرت المؤامرة في القرآن الكريم؟

المبحث الأول : ما الذي حدث في التاريخ؟

المبحث الثاني : الغزو الفكري للأمة الإسلامية في عصرنا.

المبحث الثالث : آثار الغزو الفكري في وسائل الإعلام.

المبحث الرابع : أساليب مواجهة المؤامرة على الإسلام.

مدخل

هل ذُكرت المؤامرة في القرآن الكريم؟

من المعلوم أن لفظ (مؤامرة) لم يذكر في كتاب الله، وإنما وردت بعض الكلمات والألفاظ التي تحمل تقريبا نفس المعنى الذي يتداوله الناس الآن.

ومما ذكر في القرآن الكريم بهذا المعنى:

قوله تعالى : (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ * كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا) سورة الطارق (15- 17).

قوله تعالى : (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) سورة الأنفال (30).

وقوله تعالى : (وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) سورة إبراهيم (46).

إذن فالمؤامرة موجودة بل خطيرة للغاية فلماذا تنكرون على أصحاب نظرية المؤامرة وتهاجمون كلامهم؟

فالله سبحانه وتعالى الذي أخبرنا بأن مكرهم لتزول منه الجبال، أخبرنا أيضا بمآلات ونتاج هذا المكر والكيد في الدنيا والآخرة حيث قال في كتابه الكريم:

قوله تعالى : (فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) سورة غافر (25).

وقوله تعالى : (أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ) سورة الطور (42).

وقوله تعالى : (اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) سورة فاطر (43).

وهذه بشرى الله تعالى بأن كيد الكافرين في ضلال وأنهم هم المكيدون وأن الكيد يرتد عليهم بل يكون سببًا في تدميرهم لكي تطمئن قلوب المؤمنين ولا يصيبهم الرعب والخوف، لأن الإنسان إذا سيطر عليه الخوف والذعر فلن يفعل شيئا بل ربما يستسلم، وسيكون فريسة سهلة لأعداء الله، وقد نجح أعداء الأمة إلى حد كبير في نشر الوهن بين المسلمين وأقنعوا بعضهم للأسف، ويساعدهم في ذلك مجموعة من غلاة نظرية المؤامرة.

ومن هنا أقول: إن من يخوفك بمؤامرات البشر ولا يذكر لك الصورة كاملة من مآلات هذه المؤامرات وكيفية التصدي لها في كتاب الله، فقد يكون هذا الذي يزعم أنه يحذرك منها هو بعينه من جنود أعداء الأمة –وإن زعم غير ذلك– فهو يمهد الطريق لهم عبر صرف الناس عن تدبير الله وقدرته، إلى خوارق البشر وقدرتهم على تدبير الأحداث وصناعتها وإتمام مخططاتهم[1] .

[1] - **مقال هل ذكرت المؤامرة في القرآن الكريم؟ - مصطفى الشرقاوي – موقع شؤون إسلامية – بتصرف كبير.**

المبحث الأول

ما الذي حدث في التاريخ؟

لقد خرجت الأمة المؤمنة تنشر الإسلام في الأرض فأزالت قوى الباطل ودكتها دكًّا، وأقامت في مكانها دولة الإسلام، واستولت هي على مراكز القوة فأصبحت أكبر قوة في الأرض، وشملت قوتها كل جانب، فصارت في يدها القوة الحربية والسياسية والاقتصادية، وكان ذلك كله تحقيقًا لوعد الله للمؤمنين من هذه الأمة في قوله الكريم:(**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**) سورة النور: (55)

فما الذي غير الحال بعد ذلك، وسلب مراكز القوة من يد المسلمين؟

ربما يقال: ضعفت قوتهم الحربية بينما ازدادت قوة أعدائهم فتغلبوا عليهم. فنقول: نعم، تلك هي الأسباب الظاهرة، ولا شك، ولكن قراءة التاريخ بالأسباب الظاهرة وحدها لا تؤدى إلى الحقيقة، بل قد تضلل عن الحقيقة يقول الله تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**) (سورة الرعد: الآية 11) . (**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) سورة الأنفال: (53).

والذي يشغل النفوس المؤمنة هو الأيمان.. والذي يتغير في النفوس هو حقيقة الإيمان.

فحين تكون الأمة (**متقدمة**) في الإيمان، يتحقق لها وعد الله بالاستخلاف والتمكين والتأمين، وحين تكون (**متخلفة**) يحدث تغيير النعمة (**أي سلبها**) ويذهب عن الأمة الاستخلاف والتمكين والتأمين.

فسلب التجارة من يد المسلمين، واستيلاء أوروبا الصليبية عليها، له أسبابه الكامنة في التخلف العقيدي الذي أصاب الأمة في مجموعها، والتقلص والضمور التي ترتب عليه في كل اتجاه.

فتضاؤل القوة الحربية الذي مكن الأعداء من أجزاء متزايدة من العالم الإسلامي هو ذاته، أثر من أثار التخلف العقيدي.ولكن آثار التخلف العقيدي في الميدان الاقتصادي الخاص لا تحتاج إلى تأكيد.

وإذا سلمنا بأن التجارة الخارجية قد سلبت من أيدي المسلمين لسبب قاهر لا يقدرون على رده، فهل تتوقف ثروة العالم الإسلامي على التجارة وحدها في ذلك الحين أو في أي حين؟

إنَّ بلاد المسلمين من أقصاها إلى أقصاها هي – بقدر من الله – أغنى بقعة في الأرض، وأكثرها خيرات، وقد كانت . وما تزال حتى هذه اللحظة . لم تستثمر الاستثمار الكامل، الذي يستغل كل مواردها.

والسبب في عدم الاستثمار هذه الثروات هو التقاعس، والتواكل، والضعف العلمي، ووهن العزم، والانصراف عن عمارة الأرض، والرضى بالفقر على أنه من قدر الله لا ينبغي السعي إلى تغييره خوفًا من الوقوع في خطيئة التمرد على قدر الله.

إن الأمة غير الإسلامية يمكن أن تنال القوة والتمكين في الأرض بالبعد عن الله، بل كلما زادت بعدًا عن الله زادت في القوة والتمكين.. كما هو الحال أوروبا الكافرة الجاحدة اليوم، لأن هذا من السنن الربانية في معاملة الكفار: قال تعالى: **(فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ)** سورة الأنعام: (44) لفترة من الزمن يقدرها الله.. ثم يأتي التدمير: **(حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)** سورة الأنعام: الآية 44، 45).

أما أمة الإسلام فإنها تعامل بسنة خاصة.. لا يمكَّنوا إلا على الإيمان، فإذا انحرفوا زال عنهم التمكين، ذلك لأن الله لا يريد لهم أن يفتنوا بالتمكين وهم منحرفون عن طريقه، فيزيدوا

انحرافا حتى يصلوا إلى الكفر فتأخذهم سنة الكافرين: قال تعالى: (**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**)) سورة هود عليه السلام: الآيتان (15- 16).

فمن رحمته سبحانه بهذه الأمة أنه لا يمكنها أبدًا وهي منحرفة عن السبيل لكي تعود إليه، فيمكنها وهو راض عنها، ويدخر لها في الآخر ما يدخره لعباده الصالحين)[1] .

[1] - **و اقعنا المعاصر– محمد قطب - ص (182).**

المبحث الثاني

الغزو الفكري للأمة الإسلامية في عصرنا

مؤامرات أعداء الله على الإسلام وأهله كثيرة، وكل مؤامرة لها خطورتها على المسلمين، لكن أشد هذه المؤامرات خطورة على الإسلام وأهله المؤامرة الفكرية ثم المؤامرة الأخلاقية، فإن تأثر المسلمين بأفكار الغرب وأخلاقه أحد أسباب انهزام المسلمين نفسياً واجتماعياً وسياسياً واقتصادياً، فلابد من تصحيح المفهوم الإسلامي وحل قضايانا بسرعة قبل الزيادة في الألم، واستفحال سيطرة الكفر وأهله علينا.

ولهذا نقول : (يخطئ من يظن أن الحرب بين الإسلام وأعدائه قد وضعت أوزارها ، إنما الحق أن أعداء الإسلام يدبرون لحربه كل يوم وسيلة، ويحشدون للوقوف في وجهه كل يوم قوة، وليس خطر الكلمة والفكرة بأقل من خطر الجندي والسلاح في المعركة الضارية التي يشنها أعداء الإسلام عليه. شنوا حرب التشويه والتخريب للإسلام منهجه وتاريخه، ورجاله وتراثه ولغته وقرآنه، وتحالفوا وتآزروا وابتكروا حديث الوسائل وخبيث التيارات والأساليب، فغزوا المسلمين في قلوبهم وأفكارهم وأخلاقهم وأزيائهم وشنوا على العالم الإسلامي من الغارات مالا يخفي أمره على كل ذى بصيرة، وقفت الصهيونية والتبشير والاستعمار ، والمبادئ والنظريات والفلسفات يشد بعضها أزر بعض في حرب الإسلام وأهله. ومن مجموع تلك الوسائل والأساليب كان الغزو الفكري للمسلمين)[1] .

ومن هنا : أدى تفتيت العالم الإسلامي إلى انقسامه إلى دول متخمة الثراء إلى حد البطر، وأخرى معدمة إلى حد الفاقة، وبسبب انتشار الفقر أهملت عمليات التنمية البشرية والمادية، فقد أهمل التعليم، وبإهماله تفشت الأمية، وأهملت الرعاية الصحية، وبذلك تفشت الأمراض وساءت الأحوال الصحية، كما أهملت التنمية الزراعية والصناعية والاجتماعية، وبإهمالها

---

[1]- **الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام - نشر جامعة الإمام محمد بن سعود 1401 هـ 1981م - ص (5) بتصرف، بحث أعده الدكتور / على عبد الحليم.**

تقلص الاقتصاد، وزادت الديون وغرقت الأمة في الربا، ولم يعد هناك مجال للأخذ بأسباب التقدم العلمي أو التقني، ويرجع السبب الرئيسي في فقر الدول الإسلامية إلى هذا التفتيت الذي لم يجعل لأي منها القدرة على القيام بذاتها، فغالبية الدول المعاصرة لا تمثل كيانات حقيقية نمت من خلال التفاعلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية على المدى التاريخي الطويل كما تنمو الدول عادة، ولكن في غالبيتها كيانات رسمت حدودها الراهنة الاستعمارية العالمية، وحافظت عليها لتبقى الأمة على هذه الصورة من التفتيت الذي لا يمكن أيًّا منها من تشكيل وحدة اجتماعية اقتصادية متكاملة أو شبه متكاملة.

وبهدف الحيلولة دون قيام أدنى قدر من التعاون بين الأشقاء، ودون تحرك المال الإسلامي بين الدول الإسلامية على شكل استثمارات تعين على تنشيط عمليه التنمية، قامت الدول الكبرى بترتيب سلسلة من الانقلابات العسكرية، والانقلابات المضادة لتحدث جوًّا من عدم الاستقرار السياسي والفوضى الاقتصادية، التي لا تشجع على تحرك أية أموال بينها، حتى لاتجد فوائض الدول الغنية فيها طريقها إلا إلى خزائن وبنوك الدول الكبرى[1].

وقد أدى إفقار الدول الإسلامية إلى تفشى الأمية بين البالغين من أبنائها بصورة مزعجة، تتراوح نسبتها بين 50 % . 80 % بمتوسط حوالي 58 % بينما تقل نسبة الأمية في الدول الغنية عن 2 %، ولا تتعدى هذه النسبة 45 % في المتوسط في دول العالم الثالث ما يعنى بوضوح أن أعلى نسبة للأمية بين البالغين في العالم اليوم هي الدول الإسلامية) [2].

فالتخلف الاقتصادي الذي أحاط بالعالم الإسلامي لا يحتاج إلى جهد في بيان أسبابه الحقيقية في حياة الأمة.نعم، لقد كانت هناك أسباب خارجية قوية أسهمت في هذا التخلف ولكنها وحدها لاتبرره وتفسره.

---

[1] - الغزو الفكري في حياة المسلمين منافذ دخُوله.. وَوَسَائل مُقاومته – إعداد الدكتور عُمَر يُوسف حَمزة (كليه الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة قطر- قسم التفسيروالحديث) - مجلة مجمع الفقه الإسلامي - جـ٧.

[2] - قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر، د. زغلول راغب النجار، كتاب الأمة، الطبعة الأولى صفر1409هـ: ص (26).

لقد ترك الغزو الفكري أثارًا عصيبة في المجتمع الإسلامي في كافة نواحيه الثقافية والتعليمية والتشريعية والأخلاقية والاجتماعية.

وبذل المستشرقون والمبشرون كل ما في وسعهم وطاقتهم سائرين على الوسائل والطرق التي تحقق أهدافهم، فحاولوا استغلال حركات الإصلاح الإسلامية، يقول (كامفماير) المستشرق الألماني: إن الأب بانيرث المبشر الألماني يرى أن: حركة الإصلاح الإسلامي على النحو الذي يسير فيه الآن يجب أن تقابل من المسيحية الغربية بالتشجيع ،ويتساءل هذا المستشرق: هل يستطيع الإسلام أن يستعيد وحدته الداخلية في ظل التجزئة السياسية القائمة وتحت تأثير الآراء العصرية والعلوم الغربية؟

وهل سيكون الإسلام عند ذلك عدوًّا للغرب أم صديقًا وحليفًا، أم أن الإسلام في سبيله التي التفتت إلى وحدات قومية تعكس كل منها التأثيرات الأوروبية على طريقتها الخاصة و بأسلوبها المستقل؟

ويبرز الكاتب في إجابته على هذه الأسئلة ثلاث نقاط:

1/ أهمية الكتلة العربية وخطورتها في نظره.

2/ أهم العوامل التي تستمد منها هذه الأمة وحدتها هي الاشتراكية في اللغة العربية الفصحى واشتراكها في العناية بالتراث الإسلامي القديم وتاريخه وآدابه.

3/ يتمنى أن يحدث في مصر ما حدث في تركيا من قطع كل صلة بالماضي الإسلامي واستبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية.

ويهتم الغربيون بأن يجرى التعليم في البلاد الإسلامية على الأسلوب الغربي والمبادئ الغربية والتفكير الغربي كوسيلة لفرنجة البلاد الإسلامية وتغريبها، يقول (جب) : هذا هو السبيل

الوحيد فقد رأينا المراحل التي مر بها طبع التعليم بالطابع الغربي في العالم الإسلامي ومدى تأثيره على تفكير الزعماء المدنيين وقليل من الزعماء الدينيين .[1]

ومن أقوى الوسائل التي تمكن بها (الغزو الفكري) من الوصول إلى هدفه:

هي التربية والتعليم والثقافة الأجنبية، إذ بواسطة ذلك تم الاتصال بالمسلمين.. وقد دخل الغزو إلى العالم الإسلامي من باب يخيل إلى السطحيين من النَّاس أنه الباب الطبيعي، إذ حمل اسم العلم والمعرفة والتمدن، ومن يحارب ذلك إلا الجاهل الأحمق؟

يقول (القس زويمر) : (المدارس أحسن ما يعول عليه المبشرون في التحكم بالمسلمين)[2].

لقد أقبل المسلمون على هذه المدارس بكثرة كاثرة، يزدردون مناهجها، ولا يميزون بين صحيحها من فاسدها، وقد بنيت هذه المناهج على أسس تختلف عن أسس الإسلام الصحيحة في العقيدة والشريعة والنظرة إلى الكون والحياة والإنسان، على أن هذه المدارس كانت تساندها جمعيات كثيرة تمدها بالمال وبكل ما تحتاجه، ونستطيع أن ندرك أهمية هذه المدارس في أعمالها التخريبية باهتمام المستعمرين بها ،إذ أنهم ما دخلوا بلدًا إلا كان ما فعلوه أن فتحوا المدارس.

وقد قال القائد الفرنسي (بيير كيللر) عن المعاهد الفرنسية في لبنان:(فالتربية الوطنية كانت بكاملها تقريبًا في أيدينا، وفي بداية حرب عام 1914 .1918م كان أكثر من اثنين وخمسين ألف تلميذ يتلقون دروسهم في مدارسنا، وكان بين هؤلاء فتيان وفتيات ينتمون إلى عائلات إسلامية عريقة)[3].

---

[1] - الغزو الفكري والتيارات الإسلامية المعادية للإسلام – المؤلفون : علي عبد الحليم محمود - عبد الستار فتح الله سعيد - علي جريشة - عبد الكريم يونس الخطيب - أحمد بشير - عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني - ص (481).

[2] - الغارة على العالم الإسلامي – تأليف ل -شاتليه -نقله إلى العربية مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب - ص 48، الطبعة الثانية 1384هـ.

[3] - الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، للدكتور محمد محمد حسين: 2/ 272، الطبعة الثانية.

وقد أدت هذه المدارس دورًا عجزت عن أدائه أجهزة التبشير والاستشراق كلها، ويكفينا أن نعلم أن مؤتمر (أدنبرج) التبشيري الذي عقد عام 1910م وحضره 1200 من مندوبيه كان مما قرره ما يأتي:"اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى في عاصمة السلطنة العثمانية على أن معاهد التعليم الثانوية التي أسسها الأوروبيون كان لها تأثير على حل المسألة الشرقية يرجح على تأثير العمل المشترك الذي قامت به دول أوروبا كلها[1].

ويقول المبشر (تكلى) : (إن الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي مقدس أمرًا صعبًا جدًّا)[2].

ويقول المستشرق (هاملتون جب) : (لقد استطاع نشاطنا التعليمي والثقافي من طريق المدرسة العصرية والصحافة أن يترك في المسلمين – ولو من غير وعى منهم – أثرًا يجعلهم في مظهرهم العام (لا دينيين) إلى حد بعيد، ولا ريب أن ذلك هو اللب المثمر في كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الإسلامي على حضارته من آثار.[3] ولم يعد دعاة الشر يقنعون بالكلام فحسب، ولم يعد شرهم مقصورًا على محاولة نشر سمومهم بالدعاية لها، فقد نجحوا في التسلل إلى مناصب تمكنهم من أن يدسوا برامجهم ومناهجهم على المسؤولين من رؤسائهم وينفذونها في صمت، ودعاة الشر هؤلاء يعملون في ميادين كثيرة لا يكاد يخلو منهم ميدان، ولكن أخطر ما يكون إفسادهم إذا تسلل إلى ميدان التعليم، ولهم أساليب خبيثة في الوصول إلى أهدافهم)[4] ؛ ولقد تغلغل الغزو الفكري إلى أجهزة التعليم، وتمت السيطرة على التعليم قلبًا وقالبًا وفلسفة وتنظيمًا، ومحتوى ومستوى، وتمويلًا وإرادة، ومناهجًا وطريقة، وتدريسًا ولغة، ومدرسين وإدارة.

---

[1] - الغارة على العالم الإسلامي: ص (57).

[2] - التبشير والاستعمار للأستاذين مصطفي الخالدي وعمر فروخ: ص88، الطبعة الثانية1957

[3] - من التبعية إلى الأصالة - للأستاذ أنور الجندي: ص 132 - طبعة دار الاعتصام القاهرة (1977م).

[4] - انظر مزيدًا من التفصيل في كتاب: حصوننا مهددة من داخلها - الدكتور محمد محمد حسين، المكتب الإسلامي، الطبعة الخامسة.

المبحث الثالث

أثر الغزو الفكري في وسائل الإعلام

إن الغزو الفكري لم يقف على مناهج التعليم فحسب، في حربه مع الإسلام، وإنما تعدى ذلك إلى أداة أخرى لا تقل خطرًا إن لم تكن أخطر، تلك هي وسائل الإعلام على تنوعها واختلافها.

لقد أدرك المستعمرون ما لهذه الوسائل الإعلامية من خطر فاستخدموها إستخدامًا ناجحًا في غزوهم الفكري المنظم لأمة الإسلام.

يقول المؤلفان الدكتور مصطفى خالدي – الدكتور عمر فروخ[1] : (التبشيرية الأجنبية: إن الصحافة لا توجه الرأي العام فقط، أو تهيئه لقبول ما ينشر عليه بل هي تخلق الرأي العام ؛ ووسائل الإعلام المتخلفة من صحافة وإذاعة وتليفزيون وسينما مسخرة لإشاعة الفاحشة، والإغراء بالجريمة، والسعي بالفساد في الأرض بما ترتب على ذلك من زعزعة للعقيدة في النفوس، وتحطيم للأخلاق والقيم والمثل.. وهما ـ العقيدة والأخلاق ـ أساس لبناء الإسلام فإذا انهدم الأساس فكيف يقوم البناء؟ وأجهزة الإعلام أشد خطرًا من المدارس والجامعات، فهي تخاطب جميع فئات الأمة؛ متعلمين وغير متعلمين، وصغارًا وكبارًا، ونساء ورجالًا، وحضريين وريفين، وأغنياء وفقراء، وقد شكلت هذه الأجهزة وفق قيم ومناظر بعيدة عن الإسلام عقيدة وشريعة)[2].

وإذا كانت السيطرة على أجهزة التعليم والتشريع متعذرة في بعض البلاد فإن التغلغل إلى أجهزة إعلامه الداخلية، وإغراق سوقه بمنتجات إعلامية موجهة وجهة تغريبية يضمنان تطبيع أجياله تطبيعًا مدمرًا.

---

[1] - التبشير والاستعمار في البلاد العربية (عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى اخضاع الشرق للاستعمار الغربي)

[2] - وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، ص(72).

وإذا كانت المدارس تقوم بتدريس الدروس الدينية، والمساجد ما زالت عامرة بالمصلين فإن توجيه عشرات أجهزة الإعلام توجيهًا تغريبيًّا يضمن حدوث خلل نفسى، وتناقض وجدانى، وتمزق عقلى، وإزدواج في الشخصية.وبذلك استطاع الغزو الفكري أن يخلق أجيالًا وفق قيم معينة تتصادم مع قيم أخرى مبثوثة هنا وهناك.

وهذه من أخبث حيل التشويه في فكر المسلمين وقيمهم، فإذا كانت المدارس تضم ملايين، فإن الإذاعة والتلفاز تتعامل يوميًّا مع ملايين أكثر عددًا، وأقل حصانة، وإذا كانت الدول الإسلامية تستطيع فرض رقابة على مدارسها وجامعاتها، إلا أنها لا تستطيع أن تفرض سلطتها على البرامج الإذاعية التي تبث من عواصم دول أجنبية، كما لا تستطيع أن تحكم في الأفلام السينمائية وأفلام الفيديو، وإن كثيرًا من الأفلام والشرائط تهرب بطرق بعيدة عن رقابة الدولة.

والعالم اليوم أصبح أشبه بقرية صغيرة، وزالت الحدود والحواجز أمام أجهزة الإعلام المتطورة في هذا العصر.

وإن كثيرًا من الإذاعات المسموعة والمرئية داخل الأقطار الإسلامية وخارجها إنما تجرى على سياسة إشباع الشهوات، لا التوجيه والإرشاد، والإرشاد كثيرًا من برامجها يفسد ولا يصلح، فقصصها المسلسلة مثار للفزع الذي يقلق النفوس ويسقم الناشئة ويجنح بطبائعهم إلى الانحراف.

المبحث الرابع

أساليب مواجهة المؤامرة على الإسلام

أنجع وسيلة لذلك هي الوعي والاستعداد النفسي والأخلاقي ؛ وهذا النوع من الاستعداد يسبق تجييش الجيوش وحشد الموارد الاقتصادية والترسانات العسكرية، ذلك لأن حشد الترسانات والموارد، بدون أن يكون هناك وعي واستعداد نفسي وأخلاقي، سوف ينهار حتماً بفعل آليات المؤامرة نفسها، الظاهر منها والخفي.

ركائز المواجهة الستة : ثم ثوابت ستة لا بد منها لكي يكتمل وعينا بأبعاد المؤامرة:

أولاً:معرفة المؤامرة جزء من عقيدتنا: والتحسب لها أمر رباني قال تعالى : **(يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ)** (الأعراف/27).

يطلق القرآن على مؤامرة الشيطان أسماء من بينها: عمل الشيطان، وكيده، وفتنته، وخطواته، وعبادته، وأُخوته، وولايته..الخ. وكون مؤامرة الشيطان تهيمن على ما سواها من مؤامرات صغيرة واحد من أهم جوانب الوعي بالمؤامرة.

ثانياً : ليست المؤامرة ضد فئة بعينها من الناس: بل ضد البشرية بأسرها. والمأساة أن المؤامرة تقوم على استخدام الناس أنفسهم أدوات لها، واستعدائهم بعضهم ضد بعض حتى لا يبقى شخصان إلا ويناصب أحدهما الآخر العداء.

ثالثا: ضرورة أن تدرك أن المؤامرة موجهة ضدك أنت شخصياً: ويمكنك أن تنتصر فيها لوحدك إنْ أبى الآخرون المشاركة في التصدي لها، ويمكن أن تخسر أنت معركتها وإنْ ربحها الآخرون. لذلك لا مجال لليأس والتباكي واتهام الآخرين بالتخاذل. في التصدي للمؤامرة فقال تعالى : **(كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ)** (المدثر/38)، وقال تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)** (المائدة/105)، وقال تعالى : **(أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ)** (النجم/38).

رابعاً: هناك مؤامرات يحيكها بنو البشر بعضهم ضد بعض: لكن هذه ليست إلا **مؤيمرات تكتيكية** تخدم المؤامرة الإستراتيجية العظمى المتمثلة في خطة الشيطان لإغواء البشر وإهلاكهم على الضلال. ومن هذه المؤامرات الصغيرة نشاط الماسونية والصهيونية والمستنورين، والقوى الإمبريالية، والأطماع الشوفينية، وغير ذلك من القوى الشريرة الواضحة والخفية. ونستفيد من ذلك أنه يجب ألا تنسينا **المؤيمرات** ضرورة التحسب الدائم للمؤامرة الكبرى.

علينا أن نتذكر دائماً أن المؤامرات الصغرى حلقات تفضي إلى المؤامرة الكبرى، وبالتالي لا يمكن إلحاق الهزيمة بها جميعها، والنجاة من شرها جميعها، إلا باستهداف المؤامرة الكبرى في المقام الأول. بعبارة أخرى: عدونا الأول، والأخطر، والمحض هو الشيطان، وكل عدو آخر غيره يأتي في المحل الثاني.

خامساً : بدلاً من الانجرار وراء التخوين واتهام الآخرين بالانتماء للماسونية مثلا يجب، في المقام الأول، أن يتأكد كل واحد منا، كل يوم من أنه، شخصياً، لا يخدم المؤامرة بطريقة ما.

سادسا : إغواء الشيطان لنا لا يتم فقط بالوسوسة في صدورنا: فالشيطان يقوم بعمل مادي يصل إلى حد حشد الجنود راكبين وراجلين: **(وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ)** (الإسراء/64). نحن نعرف الوسوسة، لكن القرآن الكريم ذكر العشرات من الطرق التي يستخدمها الشيطان لإغوائنا، فهو يدعونا، ويأمرنا، ويوقع بنا، ويصدنا، ويستحوذ علينا، وينسينا، وينزغ بيننا، ويزيّن لنا، ويحزننا، ويلقي في روعنا، ويوحي لنا، ويعدنا، ويمنينا، ويمسنا، ويستزلنا، ويتبعنا، ويتخبّطنا، ويسوّل لنا، ويضلنا، ويستفزنا، ويستهوينا، ويحضرنا، ويشاركنا...الخ، وغير ذلك مما نصّ عليه القرآن الكريم.

يقول الدكتور راغب السرجاني [1]: أي المؤامرات أشد على المسلمين؟ أتراها المؤامرة السياسية، أم العسكرية، أم الاقتصادية، أم التفريقية بين الشعوب والأفراد، أم الأخلاقية، أم

---

[1] **-كتاب تحريك قضية فلسطين بالمفاهيم الصحيحة وبسرعة - فلسطين حتى لا تكون أندلسا أخرى - ج ١ [راغب السرجاني] – موقع المكتَبَةُ الشَّامِلَةُ السُّنِّيَّةُ.**

الفكرية؟ كثير من الناس من الممكن أن يختار المؤامرة العسكرية؛ لأنها تبيد أعداداً كبيرة من البشر في وقت سريع، كلنا نجعل في بالنا قصف الأباتشي، وقتل العشرات أو المئات رقم يلفت الأنظار.

وبعض الناس قد يختار المؤامرة السياسية التي تضيع الحقوق، وتضحك على الشعوب، وتقنع الشعوب أنها أخذت حقها وقد ضاع منها كل شيء.

وقد يختارون المؤامرة الاقتصادية التي تجوع الأمم وتقتل الأفراد، لكن مع خطورة هذه المؤامرات جميعاً فإن أخطرها على الإطلاق هي المؤامرة الفكرية متبوعة بالمؤامرة الأخلاقية، وأنا أعلم أن الجميع يعلم خطورة المؤامرة الأخلاقية على الأمة الإسلامية، إلا أن المؤامرة الفكرية أشد وأنكى في المسلمين، يا ترى ما هو الفرق بين المؤامرة الفكرية والمؤامرة الأخلاقية؟ وما هو الذي يجعل المؤامرة الفكرية أشد، مع كون المؤامرة الأخلاقية من أبشع الأشياء أو المؤامرات التي يمكن أن توجه إلى قلب الأمة الإسلامية؟ سأعطيكم أمثلة على ذلك: السيدة التي تخرج بلا حجاب، وعلتها في ذلك أنها ترى نفسها أجمل بدون حجاب، أو تسعى للزواج، أو لا تجد القدرة على التغيير، أو مكسوفة من صديقتها، هذه المرأة تعاني من مشكلة أخلاقية، فهي تعلم أين الحق وتتبع غيره لضعف في نفسها، بينما السيدة التي تخرج بلا حجاب؛ لأنها ترى أن الحجاب موضة قديمة كما يقولون، ولباسه رجعية وتخلف وجمود، هذه المرأة تعاني من مشكلة فكرية.

أي المشكلتين أخطر: الرجل الذي يأخذ رشوة، ويقول: آخذها لأن ظروفي صعبة، ولولا الظروف الصعبة لم أفعل ذلك.اللهم سامحني؟ هذا الرجل يعاني من مشكلة أخلاقية، بينما الرجل الذي يقول: لا، هذه ليست رشوة، هذه إكرامية، أو هذا حق مكتسب نتيجة مجهود معين فعلته، ويبدأ في تقنين الرشوة، هذه مشكلة فكرية.

كذلك في أمور العبادات، الرجل الذي لا يصوم ويقول: والله أنا أجوع بسرعة، أو أنا لا أعرف أن أركز وأنا صائم، أو لا أستطيع أن أترك السجائر، أو أن أصحابي كلهم ليسوا

بصائمين؟ فهذا رجل طبعاً عنده مشكلة أخلاقية خطيرة، لكن الرجل الذي يقول: إن الصيام هذا يقلل الإنتاج، أو إن الصيام فعل خطأ قد يؤخرنا إلى الوراء.

تستغربون هذا الكلام، لكن هذا الكلام حصل، وقاله زعيم أمة عربية، زعيم توفاه الله، كان **يقول:** إن الصيام يقلل الإنتاج، ويضعف من الطاقة؛ ولذلك ينصح شعبه ألا يصوم، إي والله كان يقول ذلك.

أو يقول: إن الصيام شرع لأجل الشعور بالفقراء وأنا أشعر بهم، فلماذا الصيام؟! هذا الرجل وأمثاله يعانون من مشكلة فكرية خطيرة جداً، حتى الفقهاء يقولون: إنه من ترك الصيام وهو يقدر عليه تكاسلاً فهو فاسق، أما من تركه إنكاراً له فهو كافر.

أيضاً في قضية فلسطين قد يقول شخص: أنا أعرف كل الذي يحصل في فلسطين، وبودي أن أساعد، لكنني أرى كذا وكذا من الأمور، فلن أساعدهم، وربنا غفور رحيم، هذا الرجل له دور، لكنه لا يريد أن يقوم بهذا الدور، فهذه مشكلة أخلاقية، فهو رجل لا يوجد فيه نخوة، ولا يوجد فيه شهامة أو حمية لهذا الدين، لكن هناك رجل ثانٍ يقول: ما لنا ولفلسطين، نحن نعيش في بلد وفلسطين بلد ثانٍ، فهذا الرجل الأخير يعاني من مشكلة فكرية.

إذاً المؤامرة الفكرية أعمق وأخطر من المؤامرة الأخلاقية وكلاهما خطير، المؤامرة الفكرية تقلب الباطل حقاً، وتقلب الحق باطلاً، فقد يقاتل المرء حتى الموت من أجل قضية خاطئة، ولو عبث العابثون بفكرك لضاعت حياتك وراء أهداف باطلة لا تساوي في ميزان الله ولا في ميزان الإسلام شيئاً، انظر إلى قول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:**(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا)** [الكهف:103 - 104]، سبحان الله! وشخص ينشر فساداً وإباحية وفسقاً ومجوناً ويشجع أفلام العري، ويسمح بظهور النساء شبه عاريات، ثم يظن أنه يقاتل من أجل تنوير الشعوب وتحرير الفكر، ومن أجل توسيع المدارك، بل قد يضحي من أجل ذلك بوقته،

وصحته، ومجهوده وماله، هؤلاء هم (**الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**) [الكهف:104][1].

---

[1] - قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى : لا بد للإسلام من خطة إيجابية يواجه الغزو الثقافى بها فى مواجهة التيارات الفكرية الهاجمة علينا أصدرت عدة مؤلفات تتحدث عن النظام الاقتصادى الإسلامى، كما تصورته من كتاب الله وسنة رسوله وتطبيقات الخلافة الراشدة، وكان يغلب علي.

تأمل فى هذه القصة التى ذكرها الشيخ الكبير محمد رشيد رضا قال:

إن الخديوى إسماعيل استدعى رفاعة الطهطاوى وخاطبه: " يا رفاعة، أنت أزهرى تعلمت فى الأزهر وتربيت به، و أنت أعرف الناس بعلمائه، و أقدرهم على إقناعهم بما ندبناك له..إن الفرنجة قد صارت لهم حقوق ومعاملات كثيرة فى هذه البلاد، وتحدث بينهم وبين الأهالى قضايا، وقد شكا الكثيرون إلىّ أنهم لا يعلمون أيحكم لهم أم عليهم فى هذه القضايا؟ ولا يعرفون كيف يدافعون عن أنفسهم.. لأن كتب الفقه التى يحكم بها علماؤنا معقدة وكثيرة الخلاف، فاطلب من علماء الأزهر أن يضعوا كتاباً فى الأحكام المدنية الشرعية تشبه كتب القانون فى تفصيل المواد واطراح الخلاف، حتى لا تضطرب أحكام القضاة، فإن لم يفعلوا وجدتنى مضطراً للعمل بقانون " نابليون " الفرنسى "!!

قال رفاعة الطهطاوى . مجيباً الخديوى : يا أفندينا: إنى سافرت إلى أوربا، وتعلمت فيها، وخدمت الحكومة، وترجمت كثيراً من الكتب الفرنسية، وقد شخت، وبلغت إلى هذه السن، ولم يطعن فى دينى أحد، فإذا اقترحت الآن هذا الاقتراح بأمر منكم طعن علماء الأزهر فى دينى، وأخشى أن يقولوا: إن الشيخ رفاعة ارتد عن الإسلام آخر عمره؛ إذ يريد تغيير كتب الشريعة وجعلها مثل كتب القوانين الوضعية.. فأرجو أن يعفينى أفندينا من تعريض نفسى لهذا الاتهام؛ لئلا يقال: مات كافراً. فلما يئس الخديوى.. أمر بالعمل بالقوانين الفرنسية ..

والقصة المحزنة تحكى فساد الأمراء والعلماء جميعاً، وتكشف أن ما أصاب المسلمين من شتات وخزى ليس بلاء يؤجرون عليه، ولكنه عقاب يستحقونه "وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون."

ولقد كنت أسأل نفسى: نحن نكافح هذه القوانين المستوردة من الخارج وما تتضمنه من فساد وإلحاد، فكيف دخلت بلادنا، وماذا كان موقف العلماء منها يوم جاءت، ولِم لمَ يموتوا دون تحكيمها فى مجتمعنا؟

ثم علمت أن موتنا الأدبى هو الذى مهد لقبولها واستقرارها.. ومع نهضتنا الإسلامية الحالية بدأت تشريعات جنائية ومدنية تستقى من ينابيع الإسلام الأصيلة، ولا ريب أننا نملك أعظم ثروة تشريعية فى القارات الخمس غير أنها دفينة فى صحائف مهجورة ومصبوبة فى قوالب قديمة، ونستطيع أن نسترشد بها فى إقامة صرح قانونى إسلامى شامخ..

ويبقى قبل ذلك وبعده أن يزدهر الفقه الدستورى عندنا، ويتخلص من أوهام العصور المتخلفة ورعايا حكام الجور.. يبقى أن تتحول كلمة " الخلافة الراشدة " مفصلة: " إن رأيتم خيراً فأعينونى وإن رأيتم شراً فقومونى ".. إلخ.. إلى مواد مفصلة لدستور إسلامى يمنع الطغيان، وينعش الأمم، ويضع سياجاً متيناً حول كل حق خاص أو عام.. وقبل أن نحتقر كلمة " ديمقراطية " ونجبه قائليها نقدم العوض الإسلامى عنها وعن آثارها القريبة والبعيدة.

وأى حرج فى أن ننتفع بتجارب الماضى الطويل عندنا وعند غيرنا ونحن نضع الدساتير؟ وما يقال فى الجانب السياسى يقال فى الجانب الاقتصادى.. إن ديننا يروع بما حوى من تعاليم تحقق الأخوة وتضمن الكرامة وتحارب الجوع والذل والبطالة والضياع.. ثم إنه حرم الاحتكار والاستغلال والربا والترف.وجملة النصوص القرآنية والأحاديث النبوية فى هذا الميدان تكون صورة اجتماعية زاكية راقية.

ولا نقول: تكوّن مذهباً اجتماعياً مستقلاً، فإن الآثار الإسلامية الموصولة بهذا الشأن لا تعدو أن تكون فروعاً من الشجرة الكبيرة التى تضم تعاليم الإسلام جمعاء، أو بتعبير آخر هى بعض شعب الإيمان التى تبلغ الستين أو السبعين شعبة .

الفصل الخامس عشر

أخطر الأفكار والمذاهب الهدامة التى تحاربها الهوية الإسلامية

مدخل.

المبحث الأول : مفهوم الإلحاد والرد على الملحدين بالثوابت العقلية والحقائق العلمية.

المطلب الأول : مفهوم الإحاد وأقوال بعض الملاحدة التي تقشعر منها الأبدان.

المطلب الثاني : الرد على الملحدين بالثوابت العقلية والحقائق العلمية.

المبحث الثاني : الهوية الإسلامية ترفض العلمانية رفضاً باتاً.

المطلب الأول : مفهوم العلمانية والأقوال الخبيثة لبعض العلمانيين وآثارها على العالم الإسلامي.

المطلب الثاني : الإسلام يرفض العلمانية جملة وتفصيلا.

المبحث الثالث : موقف الهوية الإسلامية من التنويريين.

المطلب الأول : مفهوم مصطلح التنوير.

المطلب الثاني : بين التنوريين والعلمانيين.

المطلب الثالث : أهداف التنويريين الجدد.

المبحث الرابع : الهوية الإسلامية ترفض الليبرالية رفضا قاطعا.

المطلب الأول : مفهوم الليبرالية والأسس التي تقوم عليها.

المطلب الثاني : الحكم الشرعي على الليبرالية.

مدخل [1]

من المصائب العظمى، والبلايا الكبرى التي ابتلي بها العالم الإسلامي بعد سقوط الخلافة العثمانية ظهور العلمانية التي ظلت تعمل على هدم الإسلام وإقصائه من حياة المسلمين ثم تلت العلمانية مذاهب وأفكار أخر لا تقل خطورة عنها إن لم تكن أخطر ومن الأفكار الإلحاد والفكر التنويري والليبرالية وكل هذه المذاهب عمل أعداء الإسلام على نشرها عبر القنوات الفضائية، والمواقع الإلكترونية والمقاهي الليلية المغلقة، وشبكة التواصل الاجتماعي، والفيسبوك، وتويتر والكتب، والمقالات، والصحف، والمجلات.. وغيرها.

وللأسف كل هؤلاء قد زاد شرهم في الآونة الأخيرة، وبدؤوا يصرحون بكفرهم وزندقتهم عبر الوسائل الإعلامية السابقة، مع أنهم وُلِدُوا في بيئة مسلمة، ومن أبوين مسلمين، ولكن الشياطين اجتالتهم عن الدين القويم إلى هذا المسلك المنحرف، قال تعالى: (**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**) سورة يس (60) .

وروى مسلم في صحيحه من حديث عياض المجاشعي: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ**) .

---

[1] - هذا الفصل ملخص من مجموعة مقالات : الأول: الإلحاد: تعريفه، و أقسامه، وصوره، وكيف نواجه موجة الإلحاد المعاصرة؟ النميري بن محمد الصبار – شبكة الألوكة الشرعية.الثاني: الإلحاد المعاصر: جذوره و آثاره أحمد خضر المحمد - موقع رواء.الثالث: خطر الإلحاد و انتشاره في بلاد المسلمين -الكاتب: د. أمين بن عبدالله الشقاوي - موقع طريق الإسلام.

المبحث الأول

مفهوم الإلحاد والرد على الملحدين بالثوابت العقلية والحقائق العلمية

المطلب الأول : مفهوم الإحاد وأقوال بعض الملاحدة التي تقشعر منها الأبدان.

المطلب الثاني : الرد على الملحدين بالثوابت العقلية والحقائق العلمية.

المطلب الأول

مفهوم الإحاد وأقسامه وأقوال بعض الملاحدة التي تقشعر منها الأبدان

أولًا: تعريف الإلحاد:

لغةً: ميل عن استقامة، يقال: ألحد الرجل، إذا مال عن طريق الاستقامة.

الإلحاد هو: الميل عن الحق الذي أنزله الله جل وعلا في كتابه، وبعث به رسوله صلى الله عليه وسلم إلى ضد ذلك من الباطل والضلال؛ كما قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ**﴾ [محمد: 3]، وقال تعالى: ﴿**فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ**﴾ [يونس: 32].

يمكن أن يعرَّف الإلحاد المعاصر: بأنه تيارٌ فكريٌّ يستخدم الوسائل البحثية الحديثة، ومناهج البحث العلمي المعاصرة في الدعوة إلى فكرةٍ عدميةٍ أساسُها إنكار وجود الخالق، وأنّ المادة أزليةٌ، وهي الخالق والمخلوق في الوقت نفسه، وأنّ الحقائق العلمية تؤيّد اعتقاداتهم.

ثانيًا: أقسامه: الإلحاد له أقسام[1] وما يهما هنا القسم الأول : وهو إنكار وجود الله جل وعلا، واعتقاد أنه ليس للعالم ربٌّ يخلق ويدبر ويميت ويحيي، وليس له إله يعبد ويقصد؛ كما كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يهلكنا الليل والنهار، والدهر هو الذي يهلكنا، ويُميتنا ويحيينا،

---

[1] - وإليك أقسامه باختصار شديد ؛ وهي ثلاثة :

القسم الأول: إنكار وجود الله جل وعلا، واعتقاد أنه ليس للعالم ربٌّ يخلق ويدبر ويميت ويحيي، وليس له إله يعبد ويقصد..إلخ. وهو المذكر أعلاه وهو محل بحثنا.

القسم الثاني: الإلحاد في أسماء الله عز وجل وصفاته، وهو: الميل بها عن الحق الثابت فيها في الكتاب والسنة الصحيحة، وما كان عليه منهاج النبوة في إثبات اللائق به جل وعلا، ونفي ما لا يليق به، والدليل على هذا القسم: قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: 180].

القسم الثالث: الإلحاد في آيات الله عز وجل، و آيات الله عز وجل هي الدالة على عظمته ووحدانيته، وهي تنقسم إلى قسمين: الأول: الآيات الكونية القدرية. والآخر: الآيات الشرعية الدينية.

وكان إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة، قالوا: يا خيبة الدهر، فيجعلون تلك الأفعال عائدةً إلى الدهر ويسبونه؛ كما قال تعالى فيهم: ﴿**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**﴾ [الجاثية: 24].

ولذلك نهاهم الله عز وجل عن ذلك؛ كما ثبت ذلك في الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم، يقول: يا خيبة الدهر، فلا يقولن أحدكم: يا خيبة الدهر؛ فإني أنا الدهر أقلّب ليله ونهاره، فإذا شئت قبضتهما**) أخرجه مسلم.

ثالثاً : وأقوال بعض الملاحدة التي تقشعر منها الأبدان :

قول أحدهم: الله والشيطان وجهان لعملة واحدة، وقال أيضًا: الانتحار نصر على الله.

وقال آخر: عليك أن تثبت وجود الله علميًّا وبالصور، وبعدها تثبت أنه هو من خلق الذبابة التي تَتَحَدَّوْنَ فيها العالم.

وقال آخر: بالنسبة للقرآن فهو لون أدبي معروف لدى العرب، قبل الإسلام، وبعد الإسلام.

وقال آخر: أعتقد أن الأديان مجرد تراث وفلكلور. وقالت إحداهن: إن كان الله في قسوته يتمثل بوجه أمي، فهو غاضب على الدوام علينا، قال تعالى: (**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا**) [الكهف:5].

وقد سبق هؤلاء الملحدون مثلهم كثير، قال تعالى: (**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ**) [المائدة: 64].**وقال تعالى:** (**وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ**) [الأنعام: 91].

وحكى الله عن فرعون قوله: (**يَاأَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي**) [القصص: 38].

وحكى الله عن كفار قريش قولهم في القرآن:(**وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**)[الفرقان:5].

فهؤلاء هم قدوتهم ومثلهم الذي يتبعونه، وأخطر ما في هؤلاء الملحدين، زعم بعضهم أنه مسلم، بل ربما ادعى الصلاح والإصلاح، كما حكى الله عن قائدهم فرعون لعنه الله عندما قال: (**مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ**) [غافر:29][1].

[1] - **خطر الإلحاد و انتشاره في بلاد المسلمين -الكاتب: د. أمين بن عبدالله الشقاوي - موقع طريق الإسلام**

المطلب الثاني

الرد على الملحدين بالثوابت العقلية والحقائق العلمية[1]

أمسى الإلحاد ديناً جديدًا له رجاله واعتقاداته ووسائله، وهذا يستدعي من علماء الإسلام ودعاته جهودًا أكبر في التعريف بهذه الظاهرة، وتبيان كيدها ومحاربتها للإسلام وتشريعاته، بل إظهار عدائها الماكر للفضائل والأخلاق الحميدة التي ما زال منها بقيةٌ لدى أتباع الديانات السماوية.

أولاً:الرد على قول الملاحدة: إن الطبيعة هي التي أوجدت هذا الكون بالثوابت العقلية:

هؤلاء نوجه لهم هذا السؤال: ماذا تريدون بالطبيعة؟ هل تعنون بالطبيعة ذوات الأشياء؟ أم تريدون بها السنن والقوانين والضوابط التي تحكم الكون؟ أم تريدون بها قوة أخرى وراء هذا الكون أوجَدته وأبدَعته؟

إذا قالوا: إن الطبيعة هي القوانين التي تحكم الكون، وهذا تفسير الذين يدَّعون العلم والمعرفة من القائلين: إن الطبيعة هي الخالق، فهم يقولون: إن هذا الكون يسير على سنن وقوانين تسيِّرُه وتنظم أموره في كل جزئية، والأحداث التي تحدث فيه تقع وفق هذه القوانين، مثله كمثل الساعة التي تسير بدقة وانتظام دهرًا طويلًا، فإنها تسير بذاتها بدون مسيِّر.

وهؤلاء في واقع الأمر لا يجيبون عن السؤال المطروح: من خلق الكون؟

ولكنهم يكشفون لنا عن الكيفية التي يعمل الكون بها، هم يكشفون لنا كيف تعمل القوانين في الأشياء، ونحن نريد إجابة عن موجِد الكون، وموجِد القوانين التي تحكُمُه.

---

[1] - ملخص من مقالين : الأول : نبذة مختصرة عن كيفية الرد العقلي على من أنكر أو شك في وجود الله – للكاتب : ساعد عمر غازي ؛ والثاني : الرد العلمي على من ينكر وجود الله - للشيخ صلاح نجيب الدق.

إن ادعاءَ الإنسان – بعد كشفِه لنظام الطبيعة – أنه قد كشف تفسير الكون ليس سوى خدعة لنفسه؛ فإنه قد وضع بهذا الادعاء حلقة من وسط السلسلة مكان الحلقة الأخيرة.إن الطبيعة لا تفسر شيئًا (من الكون)، وإنما هي نفسها بحاجة إلى تفسير.

ثانياً : علماء الإسلام قديما وحديثا يردون ردا عقلياً على كذبة أن الطبيعة هي الموجدة للكون:

أ– الردود العلمية والعقلية من العلماء قديماً على كذبة أن الطبيعة هي الموجدة للكون:

1– حُكي عن الإمام أبي حنيفة: أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى، فقال لهم: دعوني فإني مفكر في أمر قد أُخبرت عنه؛ ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة، فيها أنواع من المتاجر، وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها وتخترق الأمواج العظام حتى تتخلص منها، وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد، فقالوا: هذا شيء لا يقوله عاقل، فقال: وَيْحَكُمْ! هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع؟! فبُهت القوم، ورجعوا إلى الحق، وأسلموا على يديه.

2– وحكي عن الإمام مالك: أن الرشيد سأله عن ذلك؛ فاستدل باختلاف اللغات والأصوات والنغمات.

قلت : أنَّ للطبيعة أن توجد الآلاف من الأصوات والنغمات المتنوعة والمختلفة عن بعضها البعض منذ فجر التاريخ وإلى يومنا هذا لسائر الكائنات الحية من البشر والطيور والحيوانات التي لا حصر لها ولا عد ... فسبحان الله الخالق العظيم.

3 – وحُكي عن الشافعي: أنه سُئل عن وجود الصانع، فقال: هذا ورق التوت، طعمه واحد، تأكله الدود فيخرج منه الإبريسم، وتأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاة والبعير والأنعام فتلقيه بعرًا وروثًا، وتأكله الظباء فيخرج منها المسك، وهو شيء واحد.

4 – وحُكي عن الإمام أحمد بن حنبل: أنه سئل عن ذلك فقال: ها هنا حِصن حصين أملس، ليس له باب ولا منفذ، ظاهرُه كالفضة البيضاء، وباطنه كالذهب الإبريز، فبينا هو كذلك إذ انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير، ذو شكل حسن وصوت مليح، يعني بذلك البيضة إذا خرج منها الدجاجة.

5– وقال الإمام الخطابي: "ثم أمَر في آية أخرى بالنظر فيهما – أي في خلق السموات والأرض – فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿**قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ [يونس: 101]، يعني – والله أعلم – مِن الآيات الواضحات، والدلالات النيرات، وهذا لأنك إذا تأملت هيئة هذا العالم ببصرك، واعتبرتها بفكرك، وجدته كالبيت المبني المعدِّ فيه جميع ما يحتاج إليه ساكنه من آلة وعتاد، فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض مبسوطة كالبساط، والنجوم منضودة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر، وضروب النبات مهيأة للمطاعم والملابس والمآرب، وصنوف الحيوان مسخرة للمراكب، مستعملة في المرافق، والإنسان كالملك للبيت المخول ما فيه، وفي هذا دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتدبير وتقدير ونظام، وأن له صانعًا حكيمًا، تام القدرة، بالغ الحكمة"

6– قال ابن كثير: "فإن مَن تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية واختلاف أشكالها وألوانها وطباعها ومنافعها، ووضعها في مواضع النفع بها محكمة – علِم قدرة خالقها وحكمته وعِلمه وإتقانه وعظيم سلطانه".

7– قال ابن القيم رحمه الله تعالى : "على أنك لو تأملت قولك: طبيعة، ومعنى هذه اللفظة، لدلك على الخالق البارئ لفظُها، كما دل العقول عليه معناها؛ لأن طبيعة فعيلة بمعنى مفعولة؛ أي: مطبوعة، ولا يحتمل غير هذا البتة؛ لأنها على بناء الغرائز التي ركبت في الجسم ووضعت فيه؛ كالسجية والغريزة والبحيرة والسليقة والطبيعة؛ فهي التي طبع عليها الحيوان وطبعت فيه، ومعلوم أن طبيعةً مِن غير طابع لها محال؛ فقد دل لفظ الطبيعة على البارئ تعالى كما دل معناها عليه، والمسلمون يقولون: إن الطبيعة خلقٌ من خلق الله مسخَّر مربوب، وهي سنته في خليقته التي أجراها عليه، ثم إنه يتصرف فيها كيف شاء، وكما شاء،

فيسلُبها تأثيرها إذا أراد، ويقلب تأثيرها إلى ضده إذا شاء؛ ليرى عباده أنه وحده الخالق البارئ المصور، وأنه يخلق ما يشاء كما يشاء، و﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [يس: 82]، وإن الطبيعة التي انتهى نظر الخفافيش إليها إنما هي خلق من خلقه بمنزلة سائر مخلوقاته؛ فكيف يحسُنُ بمن له حظ من إنسانية أو عقل أن ينسى من طبعها وخلقها، ويحيل الصنع والإبداع عليها، ولم يزِل الله سبحانه يسلبها قوتها ويحيلها ويقلبها إلى ضد ما جعلت له حتى يرى عباده أنها خلقه وصنعه مسخرة بأمره: ﴿**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأعراف: 54]؟!"[1].

ب- الردود العلمية والعقلية من العلماء حديثاً على كذبة أن الطبيعة هي الموجدة للكون:

يقول وحيد الدين خان في كتابه الإسلام يتحدى : (كان الإنسان القديم يعرف أن السماء تمطر، لكننا اليوم نعرف كل شيء عن عملية تبخُّر الماء في البحر، حتى نزول قطرات الماء على الأرض، وكل هذه المشاهدات صور للوقائع، وليست في ذاتها تفسيرًا لها؛ فالعلم لا يكشف لنا كيف صارت هذه الوقائع قوانين؟ وكيف قامت بين الأرض والسماء على هذه الصورة المفيدة المدهشة، حتى إن العلماء يستنبطون منها قوانين علمية).

وأما الذين قالوا: نعني بالطبيعة الكون نفسه، فإننا لا نحتاج إلى الرد عليهم؛ لأن فساد قولهم معلوم مما مضى، فهذا القول يصبح ترديدًا للقول المشهور: إن الشيء يوجد نفسه؛ أي: إنهم يقولون: الكون خلق الكون؛ فالسماء خلقت السماء، والأرض خلقت الأرض، والكون خلق الإنسان والحيوان، والعقل الإنساني يرفض التسليم بأن الشيء يوجِد نفسه، ونَزيد الأمرَ إيضاحًا فنقول: والشيء لا يخلق شيئًا أرقى منه؛ فالطبيعة من سماء وأرض ونجوم وشموس وأقمار لا تملِك عقلًا ولا سمعًا ولا بصرًا، فكيف تخلُقُ إنسانًا سميعًا عليمًا بصيرًا؟! هذا من المستحيل أن يكون.

---

[1] - مفتاح دار السعادة – لابن القيم - (1/ 262).

ثالثاً : الرد على الملحدين بالحقائق العلمية الثابتة من حولنا:

سوف نذكر بعض الحقائق العلمية الموجودة في هذا الكون لنرد بها على الذين ينكرون وجود الله تعالى، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

الحقيقة الأولى : الماء واحد والأرض واحدة والنبات مختلف: نقول للذين ينكرون وجود الله تعالى: انظروا أيها العقلاء: ينزل المطر من السماء على الأرض، فيخرج منها أقوات وثمرات، مختلفة الألوان والطعوم والروائح، يعيش الإنسان عليها، وتخرج من الأرض أيضًا أعشابٌ وحشائش متنوعة تعيش عليها سائر الحيوانات.(تفسير الرازي جـ3 صـ476).

نسألكم أيها العقلاء: هل الطبيعة هي التي جعلت الماء واحدًا والأرض واحدة والنباتات مختلفة الألوان والطعوم والروائح، أم أن هذه الأشياء أوجدت نفسها بنفسها؟!

نريد منكم جوابًا وكلمة حقٍّ، إن كنتم منصفين.

إن اختلاف النباتات في اللون والطعم والرائحة دليلٌ واضحٌ على وجود إله عظيمٍ، خالقٍ لهذا الكون، مستحقٍّ للعبادة وحده.

وصدق الخالقُ العظيم حيث يقول في كتابه العزيز: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [النحل: 10، 11].

وقال سبحانه: ﴿**وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [الرعد: 4].

الحقيقة الثانية : مراحل نمو الجنين في بطن أمه: أثبَت علماء الطب الحديث أن تكوين الجنين في بطن أمه يمر بعدة مراحل متتابعة، بانتظام دقيق: فيكون أولًا نطفة، ثم تتحول إلى

علقة، ثم تتحول إلى مضغة، تامة الخلقة أو غير تامة الخلقة، ثم تتكون بعد ذلك العظام، ثم تغطى باللحم حتى بدايات الحركة والحياة قبل الخروج إلى العالم[1].

نقول للمنكرين لوجود الله تعالى: هل الطبيعة أو الصدفة هي التي جعلت الجنين في بطن أمه يمر بهذه المراحل المختلفة قبل خروجه إلى الدنيا؟!

إن ثبوت هذه الحقيقة العلمية الباهرة دليلٌ واضحٌ لعقلاء العلماء الذين يعترفون بوجود خالق عظيم لهذا الكون. قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ**﴾ [الحج: 5].

ونقول للمنكرين لوجود الله تعالى: أثبت علماء الطب الحديث أن الجنين في بطن أمة محاطٌ بثلاثة أغشية، وهذه الأغشية تظهر بالعين المجرد كأنها غشاء واحد، وهذه الأغشية هي التي تسمى: (1) المنباري، (2) الخوربون (3) الفائضي[2].

وبعد ثبوت هذه الحقيقة العلمية، نسأل الملحدين: هل الطبيعة أو الصدفة هي التي أحاطت الجنين بهذه الأغشية الثلاث؟!

إن العقلاء من العلماء يقولون: لا، إن وجود هذه الأغشية الثلاث حول الجنين دليلٌ واضحٌ على وجود الخالق العظيم، الذي خلَق كل شيء بحكمة بالغة.

قال سبحانه: ﴿**يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ**﴾ [الزمر: 6].

---

[1] - كشاف الإعجاز العلمي - للدكتور/ نبيل هارون ص(19: ص20).

[2] - التبيان .للصابوني ص 132: 131).

الحقيقة الثالثة : رؤية الله تعالى: يقول المنكر لوجود الله تعالى: إذا كان الله موجودًا، فلماذا لا نراه كما نرى الشمسَ والقمر والجبال والبحار وغيرها؟!

ونحن نسأل هذا الملحد: هل لك رُوحٌ في جسدك، وعقل في رأسك؟! فلا بد للملحد أن يقول: نعم، إن لي رُوحًا في بدني، وعقلًا في رأسي، فإن كان هكذا، فهل رأيتَ رُوحك وعقلك؟ فسوف يقول: لا.

فهذا الملحد قد أقرَّ بوجود ما لم يرَه، واعترف بثبوت ما لم يشاهِدْه، وإنما أقر واعترف بوجود الروح والعقل؛ لظهور أثرهما، فإن كان الأمر هكذا، فلا بد له أن يعترف بوجود الله؛ لأن كل المخلوقات الموجودة في هذا الكون مِن آثار قدرته سبحانه، ودلائل عِلمه وحكمته.

إذا لم يستطِعْ هذا الإنسان الجاحد لوجود الله تعالى رؤيةَ رُوحه التي في جسده، فكيف يستطيع أن يرى الله تعالى الذي خلق هذه الرُّوح.

الحقيقة الرابعة : لكل إنسان رائحة خاصة به: أثبت الطب الحديث أن لكل إنسان رائحة خاصة به تميزه عن غيره من سائر البشر، من أجل ذلك تستخدم الشرطة الكلاب البوليسية في تعقُّب المجرمين.

نسألكم أيها الملحدون: هل الطبيعة أو الصدفة هي التي جعلت لكل إنسان، من مليارات البشر، رائحةً خاصة به، بحيث لا تشبه رائحة إنسانٍ آخر؟!

ننتظر منكم جوابًا، فإن قلتم: نعم، الطبيعة هي التي جعلت لكل إنسان رائحة خاصة به.

قلنا لكم: لماذا لا تتكلم الطبيعة وتعلن أنها هي التي فعلت ذلك؟!

لقد أثبت القرآن الكريم هذه الحقيقة العلمية منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة، وقد جعل سبحانه معرفة هذه الحقيقة كرامةً اختَصَّ بها نبيَّه يعقوب صلى الله عليه وسلم؛ يقول الله تعالى: ﴿**وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ**﴾ [يوسف: 94].(كشاف الإعجاز العلمي لنبيل هارون صـ 31).

الحقيقة الخامسة : لكل إنسان بصمات أصابع خاصة به: يا من تنكرون وجود الله تعالى وتصدِّقون الاكتشافات العلمية، نقول لكم: أثبت العلم الحديث عدم تشابُهِ بصمات إنسان مع بصمات إنسان آخر؛ ولذا فقد استخدمت الشرطة هذه البصمات في الكشف عن المجرمين؛ (التبيان للصابوني صـ 133: 132).

نسألكم يا من تنكرون وجود الله تعالى: هل الطبيعة أو الصدفة هي التي جعلت لكل إنسان، من مليارات البشر، بصمات لأصابعه خاصة به، بحيث لا تشبه بصمات إنسانٍ آخر؟! لماذا لا تتكلم الطبيعة وتعلن أنها هي التي فعلت ذلك؟!

إن عدم تشابه بصمات إنسان مع بصمات إنسان آخر دليلٌ واضح لكلِّ إنسانٍ عاقل على وجود خالقٍ عظيمٍ لهذا الإنسان.وصدق الله تعالى حيث يقول في كتابه العزيز: ﴿**بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ**﴾ [القيامة: 4].

الحقيقة السادسة : الحيوان المنوي الذي يتكون منه الإنسان: نقول للذين ينكرون وجود الله تعالى: إنكم تصدِّقون الاكتشافات العلمية، ولا شك في ذلك.

فنقول – وبالله تعالى التوفيق –: اكتشَف الطب الحديث أن هذا السائل من منيِّ الإنسان يحوي حيوانات صغيرة تسمى (الحيوانات المنوية)، وهي لا ترى بالعين المجردة، إنما ترى بالمجهر، وكل حيوان منها له رأس ورقبة وذيل، يشبه دودة العلق في شكلها ورسمها، وأن هذا الحيوان يختلط بالبويضة الأنثوية فيلقحها، فإذا ما تم اللقاح انطبق عنق الرحم فلم يدخل شيء بعده إلى الرحم، وأما بقية الحيوانات فتموت.(التبيان في علوم القرآن للصابوني صـ132).

نسأل الذين ينكرون وجود الله تعالى: هل الطبيعة هي التي جعلت الحيوان المنوي يشبه العلق في الشكل والرسم؟! لماذا لم تتكلم الطبيعة وتقُلْ: أنا التي فعلت ذلك؟!

إن وجود الحيوان المنوي، على هذه الصورة، لا يمكن أن يوجد صدفة، وإنما هو دليلٌ على وجود خالقٍ عظيمٍ قادرٍ على صُنع ذلك. قال جل شأنه: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ**﴾ [العلق: 1، 2].

وقال سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ [الواقعة: 58، 59].

قال الإمام القرطبي (رحمه الله): قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾ [الواقعة: 58]؛ أي: ما تصبُّونه من المنيّ في أرحام النساء، ﴿ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ﴾ [الواقعة: 59]؛ أي: تصوّرون منه الإنسان، ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ [الواقعة: 59] المقدّرون المصوّرون؛ (تفسير القرطبي جـ17 صـ216).

الحقيقة السابعة : البعوضة: نقول للذين ينكرون وجود الله تعالى: اكتشف العلماء أن البعوضة لها مائة عين في رأسها، ولها في فمها ثمانية وأربعون سنَّة، ولها ثلاثة قلوب في جوفها بكل أقسامها، ولها ستة سكاكين في خرطومها، ولكل واحدة وظيفتها، ولها ثلاثة أجنحة في كل طرف، ومزودة بجهاز حراري يعمل مثل نظام الأشعة تحت الحمراء، وظيفته أن يعكس للبعوضة لون الجلد البشري في الظلمة إلى لون بنفسجي حتى تراه، والبعوضة مزودة أيضًا بجهاز تخدير موضعي يساعدها على غرز إبرتها دون أن يحس الإنسان، وما يحس به الإنسان كالقَرْصة هو نتيجة مص الدم منه، والبعوضة مزودة أيضًا بجهاز تحليل دم؛ فهي لا تستسيغ كل الدماء، ومزودة بجهاز لتمييع الدم حتى يسري في خرطومها الدقيق جدًّا، ومزودة بجهاز للشم تستطيع البعوضة من خلاله شم رائحة عرق الإنسان من مسافة تصل إلى كيلومتر؛ (موسوعة الرد على الملحدين ـ الدكتور هيثم طلعت ـ جـ1 سرور صـ60).

وهنا سؤال للملحدين الذين ينكرون وجود الله تعالى: هل الطبيعة هي التي وضعت هذه الأجهزة داخل البعوضة؟! فإذا أجبتم بـ: نعم، قلنا لكم: لماذا لم تخبرنا الطبيعة بذلك؟!

إن عقلاء العلماء يقولون: إن وجود هذه الأجهزة بهذه الطريقة الدقيقة، داخل هذه الحشرة الصغيرة، دليلٌ واضحٌ على وجود خالقٍ، حكيمٍ عظيمٍ، لهذا الكون الكبير.

وصدق الله تعالى حيث يقول في كتابه الكريم: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [الحج: 73، 74].

الحقيقة الثامنة : الماء المالح لا يختلط بالماء العَذْب: قال الله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا**﴾ [الفرقان: 53].

نقول للذين ينكرون وجود الله تعالى: أنتم تصدقون الاكتشافات العلمية؟ سيقولون: نعم.

فنقول لهم: أثبت العلم الحديث استحالة اختلاط ماء البحر بماء النهر، وإلا كان مِلحًا أُجاجًا؛ وذلك بفضل خاصية الانتشار الغشائي (الأسموزي)، التي تدفع جزيئات الماء العذب إلى الانتشار داخل الماء المالح، وليس العكس، عبر السطح الفاصل بينهما (الحاجز أو البرزخ)، وفي هذا الصدد أيضًا تجدر الإشارة إلى معجزة بقاء ماء البحار والمحيطات دون تجمُّد؛ إذ يطفو الثلج المتجمد فوقها ليحفظ بقية الماء من التجمد، ويحفظ حياة الأسماك والأحياء البحرية، ولتستمر الملاحة فيه، ويرجع ذلك لخاصيةٍ وهَبها الله الماء دون سائر المواد الأخرى، إن كثافته تقل (لا تزيد كغيره) بالتجمُّد؛ (كثافة الثلج أقل من كثافة الماء السائل).(كشاف الإعجاز العلمي للدكتور/ نبيل هارون ص63، ص64).

نقول للذين ينكرون وجود الله تعالى: هل الطبيعة هي التي فعلت ذلك؟! لماذا لم تتكلم الطبيعة وتقُلْ: أنا التي منعت اختلاط ماء البحر المالح بماء النهر العَذْب؟!

سبحان الله! هذا الاكتشاف العلمي دليلٌ على وجود إلهٍ عظيمٍ قديرٍ خلَق ذلك الكون بحكمة بالغة.

الحقيقة التاسعة :عسل النحل: قال الله تعالى: ﴿**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [النحل: 68، 69]. فالنحل تتغذَّى على الأزهار، ويخرج من بطونها العسل، وهذا

العسل الذي يخرج من بطون النحل يعتبر طعامًا ودواءً شافيًا، وهو مختلف الألوان، منه الأبيض والأصفر، والأحمر والأسود، وغير ذلك، بإثباتات علمية باتفاق العلماء جميعهم.

نسأل الذين ينكرون وجود الله تعالى سؤالًا: هل الطبيعة هي التي فعلت ذلك؟ وإذا كانت الإجابة بـ: نعم، نقول: هل يمكن أن يشارك الإنسان النحل فيأكل نفس الأزهار لينتج العسل؟ هل الصدفة هي التي فعلت ذلك؟

العقل السليم لا بد أن يعترف بوجود إله عظيم خلق المصانع والمصافي في بطون النحل؛ ليخرج من بطونها العسل الشافي الصافي.

الحقيقة العاشرة :لبن الحيوانات: قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ**﴾ [النحل: 66].

قال الإمام ابن كثير (رحمه الله): يقول تعالى: ﴿**وَإِنَّ لَكُمْ**﴾ أيها الناس ﴿**فِي الْأَنْعَامِ**﴾ وهي: الإبل والبقر والغنم، ﴿**لَعِبْرَةً**﴾؛ أي: لآيةً ودلالةً على قدرة خالقها وحكمته ولُطفِه ورحمته، ﴿**نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ**﴾ وأفرد ها هنا الضمير عَوْدًا على معنى النَّعَم، أو الضمير عائدٌ على الحيوان؛ فإن الأنعام حيواناتٌ؛ أي: نسقيكم مما في بطن هذا الحيوان، وفي الآية الأخرى: ﴿**مِمَّا فِي بُطُونِهَا**﴾ [المؤمنون: 21]، ويجوز هذا وهذا. **وقوله:** ﴿**مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا**﴾؛ أي: يتخلَّص الدمُ بياضه وطعمه وحلاوته من بين فرثٍ ودمٍ في باطن الحيوان، فيسري كلٌّ إلى موطنه، إذا نضج الغذاء في معدته، تصرف منه دمٌ إلى العروق، ولبنٌ إلى الضرع، وبولٌ إلى المثانة، ورَوثٌ إلى المخرج، وكل منها لا يشوب الآخر ولا يمازِجُه بعد انفصاله عنه، ولا يتغير به، وقوله: ﴿**لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ**﴾؛ أي: لا يغَصُّ به أحدٌ).

نسأل الذين ينكرون وجود الله تعالى: مَن الذي خلق هذه المصفاة في بطون الإبل والأبقار والأغنام والماعز؟! هل هي الطبيعة أم الصدفة؟! ونحن نعلم أن الطبيعة لا ترى ولا تسمع ولا تنطق، وأنها ميتة، وإذا كانت غير ذلك لماذا لم تتكلم وتقُلْ: أنا خلقتُكم؟!

الحقيقة الحادية عشرة : سقف المنزل والأعمدة: نقول للملحدين الذين ينكرون وجود الله تعالى: أليس سقفُ المنزل يدل على وجود أعمدة أو قواعد في علم الهندسة المعمارية؟ سيقولون: نعم، فنسألهم السؤال التالي: من الذي رفع السماء بدون أعمدة؟ هل الطبيعة أو الصدفة؟ ولماذا يُبنَى سقف المنزل بالأعمدة؟ أليس كما تقولون بالطبيعة أو الصدفة؟! إذا كان كذلك، يجب أن يكون السقف بلا أعمدة مثل السماء، أو تكون السماء بأعمدة مثل السقف، ولكن السماء بدون أعمدة.

فنقول للملحدين: الله تعالى هو الذي رفع السماء بقدرته من غير أعمدة، كما ترونها.قال سبحانه: ﴿**اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ**﴾ [الرعد: 2].

الحقيقة الثانية عشرة : الكهرباء: الكهرباء غير ملموسة ولا محسوسة، ولا يمكن رؤيتها، وضوء المصابيح يدل على وجود الكهرباء، وكل الأشياء التي تعمل بالكهرباء تدل عليها، وإذا لمسها الإنسان تعرَّض لصدمة كهربائية.

نسأل الذين ينكرون وجود الله تعالى: أتؤمنون بوجود الكهرباء، سيقولون: نعم، مع أنهم لم يروا الكهرباء، ولكنهم شاهدوا آثارها أمام أعينهم، فنقول لهم: اتفقنا نحن وأنتم على أن الأثَرَ يدل على المسير.

نقول لهم: أيها العقلاء، ألا يدل وجودُ السموات والأرض، وتتابُعُ الليل والنهار، ونزول المطر، والطيور التي تحلق بأجنحتها، والحيوانات التي تسير على الأرض، وهذه الجبال الرواسي، وغير ذلك من عجائب الكائنات – على وجود إلهٍ عظيمٍ قديرٍ قد خلق هذه الأشياء؟!

قال الله تعالى:﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ**

﴿وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: 190، 191].

فائدة مهمة : هناك مراجع تعينك في إثبات وجود الله على منكريه، ومنها:

- قصة الإيمان لنديم الجسر. - الإيمان والحياة ليوسف القرضاوي.
- العقيدة في الله لعمر الأشقر. - العلم يدعو إلى الإيمان لوحيد الدين خان.
- جميع مؤلفات الشيخ عبد المجيد الزنداني ومن أهمها الإيمان والتوحيد.
- جميع مؤلفات الدكتور زغلول النجار.
- ردود علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين (500 سؤال وجواب في الرد على أهل الكتاب) – لمؤلفه : العلامةمحمد ياسين بن عيسى الفاداني المكي أبو الفيض

المبحث الثاني

الهوية الإسلامية ترفض العلمانية رفضاً باتاً

المطلب الأول:مفهوم العلمانية والأقوال الخبيثة لبعض العلمانيين وآثارها على العالم الإسلامي.

المطلب الثاني:الإسلام يرفض العلمانية جملة وتفصيلا.

المطلب الأول

مفهوم العلمانية والأقوال الخبيثة لبعض العلمانيين وآثارها على العالم الإسلامي [1]

أولاً : معنى كلمة العلمانية:

كلمة العلمانية لا توجد في معاجم اللغة العربية القديمة، وقد وردت في بعض المعاجم الحديثة ومن ذلك ما ورد في المعجم الوسيط (العَلْماني): نِسْبَة إِلَى الْعَلْم بِمَعْنى الْعَالَم (أي الدنيا) وَهُوَ خلاف الديني أَو الكَهَنُوتي. (المعجم الوسيط . جـ2 صـ647).

تعريف العلمانية عند الدول الغربية: تقول دائرة المعارف البريطانية مادة (secularism) العلمانية: هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها.

وذلك أنه كان لدى الناس في العصور الوسطى رغبةٌ شديدة في العزوف عن الدنيا والتأمل في الله واليوم الآخر، وفي مقاومة هذه الرغبة أخذت العلمانية تعرِض نفسَها من خلال تنمية النزعة الإنسانية؛ حيث بدأ الناسُ في عصر النهضة يظهرون تعلُّقهم الشديد بالإنجازات الثقافية والبشرية، وبإمكانية تحقيق مطامحهم في هذه الدنيا القريبة.

وظل الاتجاه إلى العلمانية يتطوَّر باستمرار خلال التاريخ الحديث كله، باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية.

المعنى الصحيح للعلمانية: هو فصلُ الدين عن جميع جوانب الحياة، السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والعِلمية، سواءٌ بالنسبة للأمة أو الأفراد، ثم تختلف الدول أو الأفراد في موقفها من الدين بمفهومه الضيق المحدود، فبعضها تسمح به، كالمجتمعات الديمقراطية الليبرالية،

---

[1] - **بحث بعنوان : الإسلام في مواجهة العلمانية - الشيخ صلاح نجيب الدق – شبكة الألوكة الشرعية – بتصرف يسير.**

وتسمى منهجها (**العلمانية المعتدلة**)؛ أي: إنها مجتمعات لا دينية، ولكنها غير معادية للدين، وذلك مقابل ما يُسمى (**العلمانية المتطرفة**) أي المضادة للدين، ويعنون بها المجتمعات الشيوعية وما شاكلها، وبالنسبة للإسلام ليس هناك فرق بين المسميين (**العلمانية المعتدلة والعلمانية المتطرفة**)، فكل ما ليس دينيًّا من المبادئ والتطبيقات، فهو في الحقيقة مضاد للدين، فالإسلام واللادينية نقيضان لا يجتمعان أبدًا، ولا واسطة بينهما.

ويقول البعض : العلمانية مصطلح أوربي النشأة صيغ حديثًا في الفكر الغربي في منتصف القرن التاسع عشر على يد مفكر ثوري بريطاني يُدعى جورج يعقوب هوليوك، وذلك في سنة 1851م؛ حيث يعتبر هذا المفكر هو أول من صاغ مصطلح العلمانية كنظرية فلسفية، ثم انتقل هذا المصطلح إلى اللغة العربية حديثًا مع مترجمات الفلسفة المادية، وظهرت العلمانية في أوروبا لأول مرة في عصر النهضة، كرد فِعل لاتجاه العصور الوسطى التي ساد فيها اتجاه الناس نحو الرهبانية[1]. (وسيأتي بيان ذلك بالتفصيل في المبحث الأول).

ثانياً : الأقوال الخبيثة لبعض العلمانيين:

يقول أحد الباحثين الغربيين: إن الفصل بين الدولة والدين في الدول الغربية ساعد على انصهار اليهود في هذه المجتمعات.

لقد حُلت المشكلة اليهودية في دول غرب أوربا بتحرر الدولة من الدين، ولكن مع تحرر اليهود من الاضطهاد سيطرت اليهودية على المجتمع بأسره، وأصبحنا نواجه مشكلة تحرير المجتمع من اليهودية.

ويقول آخر: إن اليهود يرفضون سيطرة الدين على الدولة أو الكنيسة على الدولة؛ لأن هذا معناه أن تصبح الديانة المسيحية على أولادهم، لذلك كانوا أول من نادى بفصل الكنيسة على الدولة.

---

[1] - **دراسات في العِلمانية لعزت عبد المجيد أبو بركة صـ (12) وصـ (30).**

وسرعان ما سيطر اليهود على ميادين الفكر والثقافة والطب والعِلْم والصحافة، وتركوا لغيرهم مراكز السلطة، وإن كانوا يحركونها من خلال محافلهم الماسونية، وما ينشرون فيها من فساد لتحطيم كل القيم الإنسانية.

لقد أدرك اليهود أنهم لن يستطيعوا السيطرة على أوروبا إلا من خلال نشر الإلحاد بالله والكفر بجميع الأمور الغيبية، وإقامة الحسابات الرياضية والرغبات المادية؛ قال حكماء اليهود في بروتوكولاتهم: (**يجب علينا أن ننتزع فكرة الله ذاتها من عقول غير اليهود، وأن نضع مكانها عمليات حسابية ورغبات مادية**)[1]. وأدركوا كذلك أنهم لن يحقِّقوا هذا الهدف إلا من خلال المنظمات الماسونية التي تأخذ على عاتقها محاربة الدين في كل مكان.

فقد جاء في إحدى الكلمات التي أُلقيت في مؤتمر الشرق الأعظم الماسوني، قول أحدُ أقطاب اليهود: (**يجب ألا تقتصر الماسونية على شعب دون غيره، ولتحقيق الماسونية العالمية يجب سحق عدونا الأزلي الذي هو الدين مع إزالة رجاله**)، ولذا فقد أفسد اليهود حياة أوربا الفكرية والعقائدية والأخلاقية والاجتماعية[2].

ثالثاً : بعض آثار العلمانية على العالم الإسلامي[3] :

كان لتسرب العلمانية إلى المجتمعات الإسلامية أسوأ الأثر على المسلمين في دينهم ودنياهم، ويمكن أن نوجز بعض الآثار السيئة التي جنتها المجتمعات الإسلامية من تطبيق العلمانية:

(1) رفض التحاكم إلى كتاب الله تعالى، وإقصاء الشريعة الإسلامية عن كافة مجالات الحياة، والاستعاضة عن ذلك بالقوانين الوضعية المقتبسة عن أنظمة الكفار، واعتبار الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية تخلفًا ورجعية.

---

[1] - بروتوكولات حكماء صهيون ص158:159.

[2] - العلمانية و أثرها في أوربا للدكتور محمد رشاد عبد العزيز ص88: ص91.

[3] - بحث بعنوان : الإسلام في مواجهة العلمانية - الشيخ صلاح نجيب الدق – شبكة الألوكة الشرعية – بتصرف يسير.

(2) جعل التعليم خادمًا لنشر الفكر العلماني وذلك بالطرق التالية:

أ- بث الأفكار العلمانية في ثنايا المواد الدراسية.

ب- تقليص الفترة الزمنية المتاحة للمادة الدينية إلى أقصى حد ممكن، وتكون في آخر اليوم الدراسي وقد لا تؤثر في تقديرات الطلاب.

ج- منع تدريس نصوص معينة لأنها واضحة صريحة في كشف باطلهم وتزييف ضلالاتهم.

د- تحريف النصوص الشرعية عن طريق تقديم شروح قصيرة وناقصة لها، بحيث تبدو وكأنها تؤيد الفكر العلماني، أو على الأقل لا تعارضه.

(3) إذابة الفوارق بين حملة الرسالة الصحيحة، وهم المسلمون: وبين أهل التحريف والتبديل والإلحاد، وصهر الجميع في إطار واحد. فالمسلم والنصراني، واليهودي، والشيوعي، والمجوسي، وغيرهم يتساوون أمام القانون، لا فضل لأحدٍ على الآخر إلا بمقدار الاستجابة لهذا الفكر العلماني.

(4) نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية، وتهديم بنيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى في البنية الاجتماعية وذلك عن طريق:

أ- القوانين الوضعية التي تبيح الرذيلة ولا تعاقب عليها.

ب- وسائل الإعلام المختلفة التي لا تكل ولا تمل من محاربة الفضيلة ونشر الرذيلة.

ج- محاربة الحجاب وفرض السفور والاختلاط في المدارس والجامعات والمصالح والهيئات.

إن أعداء الإسلام لم يكتفوا بإبعاد الشريعة الإسلامية عن مجالات الأنظمة السياسية والاقتصادية والتعليمية والإعلامية فحسب، بل تمادوا في الاعتداء على أنظمة الأسرة المسلمة، وهذا أمر في غاية الخطورة؛ لأن تلك الأنظمة جاءت ملائمة لطبيعة الإنسان وغرائزه، حتى لا يحيد ويصرف تلك الغرائز في المحرمات.

(5) الدعوة إلى القومية أو الوطنية: وهي دعوة تعمل على تجميع الناس تحت جامع من الجنس، أو اللغة، أو التاريخ، أو المكان، أو المصالح المشتركة، أو وحدة الحياة الاقتصادية، على ألا يكون الدين عاملًا من عوامل الاجتماع، بل الدين من منظار هذه الدعوة يُعدُّ عاملًا من عوامل التفرق والشقاق، ولا شك أَنَّ الفكرة القومية أو الوطنية وفدت إلى ديار المسلمين من الغرب، والذي دعا إليها أشخاص ليسوا بمسلمين، ولقد أثارت الدعوة إلى القومية طوائف أخرى تعيش في المنطقة، ودفعتها لأن ترفع نفس الراية، ففي السودان دعا سكان الجنوب إلى بعث القومية الزنجية، وفي الشمال الإفريقي ارتفعت أصوات بقومية بربرية؛ كرد فعل للقومية العربية، وفي العراق دعا سكان الشمال إلى بعث القومية الكردية، وفي الهند ظهر مسلمون يفخرون بالانتساب إلى القومية الهندية، ولهذا كانت الآثار القومية السيئة لا حد لها.

(6) الدعوة إلى أخذ الحضارة الغربية دون وعي ولا تمييز : قام بهذه الفكرة كثيرٌ من دعاة التضليل للأمة الإسلامية عند ضعف المسلمين وتفرقهم، حيث زعموا أن سبيل التقدم والنهضة، هو السير خلف ركاب الغربيين، والأخذ بمنهجهم وطريقتهم في كل شيء، حتى نكون مثلهم في الحضارة الحديثة، بخيرها وشرها، ونتيجة لتلك الدعوات المغرضة من أدعياء الفكر، ذهب كثير من أبناء المسلمين إلى الدول الأوروبية، لإكمال تعليمهم، وغالبًا ما يتأثر هؤلاء الطلاب بعادات الغرب وأفكاره.

(7) الادعاء بأن الشريعة الإسلامية لا تتوافق مع الحضارة الحديثة :وهذا الزعم جاء نتيجة لاحتكاك أبناء الأمة الإسلامية بالحضارة الغربية الحديثة، فظنوا – جهلًا – أن الإسلام لا يتوافق مع الحياة العصرية، ولا ينسجم مع متطلبات الإنسان في هذا العصر، بل قالوا: إن

الشريعة الإسلامية هي السبب في التخلف والرجعية، وأن السبيل إلى التخلص من هذا الداء، والنهوض بالأمة إلى التقدم والحضارة هو نبذ الإسلام وتعاليمه[1].

[1] - **العلمانية وموقف الإسلام منها لحمود الرحيلي ص (387-343).**

المطلب الثاني

الإسلام يرفض العلمانية جملة وتفصيلا

الإسلام يرفض العلمانية رفضًا قاطعًا، سواء أكانت العلمانية بمعنى فصل الدين عن الحياة، أم بمعنى اللادينية؛ لأنها دعوة ضد الإسلام.

فالدولة في الإسلام ضرورة لا بد منها، وذلك لإنفاذ الأحكام الشرعية، وصيانة الحقوق، ووصول الدين إلى أهدافه وأغراضه في حفظ الدين والنفوس والعقول والأعراض والمال وغيرها.

أمَّا إذا أبعد الإسلام عن الحكم وعطلت صلاحياته، فستصبح كثيرٌ من أحكامه وتشريعاته حبرًا على ورق؛ لأنه لا يمكن تنفيذ تلك الأحكام من قبل الفرد وحده، وذلك كالجهاد في سبيل الله تعالى، وتنفيذ القصاص، وجباية الزكاة، وتأمين الطرق، ونشر الأمن، وفض الخصومات وما شابه ذلك.

إن الإسلام جاء عقيدة تنظم علاقة الناس بربهم، وشريعة تدير جميع شئون الحياة كلها، والدين عند الله تعالى هو الإسلام، والإسلام كما يدلُّ عليه اسمه هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك.

وقد شملت أوامر الله ونواهيه الحياة بأسرها، فليس هناك جانب من جوانب الحياة أو شيء من نظمها إلا ولله تعالى فيه حكم، فحياتنا العقدية، والاجتماعية، والتربوية والاقتصادية، والسياسية، وضع لنا أصول التعامل فيها، وفصل لنا بعض جوانبها تفصيلًا؛ قال تعالى: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ (النحل:89).

ويمكن أن نوجز حكْم الإسلام في العلمانية كما يلي:

(1) العلمانية من الجانب العقدي تعني التنكر للدين وعدم الإيمان به، وترك العمل بأحكامه، وحدوده، وهذا كفر صريح.

(2) العلمانية في الجانب التشريعي تعني فصل الدين عن الدولة، أو فصل الدين عن الحياة كلها، وهذا يعني الحكم بغير ما أنزل الله.

وقد فصَّلَ علماء العقيدة الحكْم بهذا على النحو التالي:

(أ) إذا وقع الحكم بغير ما أنزل الله تعالى والحاكم (سواء أكان فردًا أم مجموعة) يرى أن حكم الله غير صالح أو غير جدير، أو أن حكم القوانين أصلح وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس، أو اعتقد أن حكم القوانين مساوية لحكم الله ورسوله، أو اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله، ونحو ذلك، فهو كفر اعتقاد مخرجٌ عن الملة، وهو من نواقض الإسلام.

(ب) وإذا وقع الحكم عن جهل، أو ضعف، أو لهوى في نفس صاحبه، أو لغرض دنيوي، مع الاعتقاد بأن حكم الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم – أحق وأصلح وأجدر، وأنه أفضل من القوانين الوضعية، فهذا كفرٌ عملي، (لا يُخرج صاحبه عن الإسلام)، وهو فسق وظلم تقام الحجة على صاحبه، ويبين له الحق، ويجب على المسلم أن يتوب إلى الله تعالى، ويرجع إليه.

ويدل على ذلك فهم السلف لقوله تعالى:﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ (المائدة:44).

روى ابنُ جرير الطبري عن ابن عباس قوله: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾، قَالَ: (**مَن جَحَدَ ما أنزلَ اللهُ فقد كَفَرَ، ومَن أقرَّ به ولم يحكم، فهو ظالمٌ فاسقٌ**)، (إسناده حسن)

قال عكرمة رحمه الله تعالى : عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾، معناه: ومن لم يحكم بما أنزل اللهُ جاحدًا به فقد كفر، ومن أقرّ به ولم يحكم به فهو ظالمٌ فاسقٌ؛ (تفسير البغوي جـ 3صـ 61).

قال الإمام أبو العز الحنفي (رحمه الله): وَهُنَا أَمْرٌ يَجِبُ أَنْ يُتَفَطَّنَ لَهُ، وَهُوَ: أَنَّ الْحُكْمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَدْ يَكُونُ كُفْرًا يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ، وَقَدْ يَكُونُ مَعْصِيَةً: كَبِيرَةً أَوْ صَغِيرَةً، وَيَكُونُ كُفْرًا: إمَّا مَجَازِيًّا، وَإِمَّا كُفْرًا أَصْغَرَ، عَلَى الْقَوْلَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ. وَذَلِكَ بِحَسَبِ حَالِ الْحَاكِمِ: فَإِنَّهُ إنِ اعْتَقَدَ أَنَّ الْحُكْمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ غَيْرُ وَاجِبٍ، وَأَنَّهُ مُخَيَّرٌ فِيهِ، أَوِ اسْتَهَانَ بِهِ مَعَ تَيَقُّنِهِ أَنَّهُ حُكْمُ اللَّهِ -: فَهَذَا كَفْرٌ أَكْبَرُ. وَإِنِ اعْتَقَدَ وُجُوبَ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَعَلِمَهُ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ، وَعَدَلَ عَنْهُ مَعَ اعْتِرَافِهِ بِأَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِلْعُقُوبَةِ، فَهَذَا عَاصٍ، وَيُسَمَّى كَافِرًا كُفْرًا مَجَازِيًّا، أَوْ كُفْرًا أَصْغَرَ. وَإِنْ جَهِلَ حُكْمَ اللَّهِ فِيهَا، مَعَ بَذْلِ جُهْدِهِ وَاسْتِفْرَاغِ وُسْعِهِ فِي مَعْرِفَةِ الْحُكْمِ وَأَخْطَأَهُ، فَهَذَا مُخْطِئٌ، لَهُ أَجْرٌ عَلَى اجْتِهَادِهِ، وَخَطَؤُهُ مَغْفُورٌ؛ (شرح العقيد الطحاوية لأبي العز الحنفي جـ2صـ45).

ومن المعلوم أن الحكْمَ بما أنزل الله تعالى في الشريعة الإسلامية يعني الحكْم بالكتاب والسُّنة على السواء.

كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾ (النساء:59).

(3) العلمانية من الجانب الأخلاقي تعني: الانفلات والفوضى في إشاعة الفاحشة والرذيلة والشذوذ، والاستهانة بالدين والفضيلة، وسنن الهدى، وهذا ضلال مبين وفساد في الأرض، ومن العلمانيين من يرى أن السُّنن والآداب الشرعية والأخلاق الإسلامية إنما هي تقاليد موروثة، وهذا تصور جاهلي منحرف.

العلمانية في حُكْمِ الإسلام دعوةٌ مرفوضةٌ؛ لأنها دعوة إلى حُكْمِ الجاهلية، أي إلى الحكْم بما وضعَ الناسُ، لا بما أنزل اللهُ، واللهُ تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ (المائدة:48:50)[1].

[1] - **العلمانية وموقف الإسلام منها. لحمود الرحيلي ص : (394-400)**

المبحث الثالث

موقف الهوية الإسلامية من التنويريين

المطلب الأول : مفهوم مصطلح التنوير وتاريخه.

المطلب الثاني : بين التنوريين والعلمانيين.

المطلب الثالث : أهداف التنويريين الجدد.

المطلب الأول

مفهوم مصطلح التنوير وتاريخه

يقول د/ عاطف العراقي في كتابه (العقل والتنوير:ص 14): (قد لا أكون مبالغًا إذن إذا قلت بأننا الآن في أمس الحاجة إلى السعي نحو التنوير الثقافي، التنوير الذي يقوم على تقديس العقل، والإيمان بأن الثقافة الخالدة، إنما هي الثقافة الإنسانية التي تتخطى حدود الزمان والمكان، وبحيث تتحرر من العادات والتقاليد والرجعية، وتنطلق ساعية إلى تحقيق سعادة الإنسان، بما تتضمن من آداب وعلوم وفنون سامية رفيعة، وعن طريق التنوير نستطيع إرساء نظام ثقافي عربي جديد.

إن أوروبا لم تتقدم إلا عن طريق السعي بكل قوتها وابتداء من عصر النهضة نحو تحقيق مبدأ التنوير، وبحيث وجدنا ثقافة أوروبية جديدة، تختلف في أساسها ومنهجها عن ثقافة العصور الوسطى).

ويقول ويقول د/ مراد وهبة في كتابه (مدخل إلى التنوير:ص 30): "خلاصة القول: إن مهمة التنوير الأساسية لم تكن معرفة طبيعة الإنسان، وإنما تغيير المجتمع من أجل تغيير سلوك الإنسان، على أسس عقلانية ومادية".

ويقول الدكتور محمد السيد الجليند [1]: إن مصطلح التنوير –كغيره من المصطلحات العَلمانية– وفد إلينا من الغرب ضمن مجموع المصطلحات التي غزت ثقافتنا المعاصرة خلال حركة الاتصال الحديثة بين مصر والعالم الغربي –خاصة فرنسا– خلال القرنين الأخيرين.

ولقد نشأ هذا المصطلح في ظروف تاريخية عاشتها دول أوروبا شرقًا وغربًا، كانت ثقافة الشعوب في أوروبا خلالها قاصرة على ما تمليه عليهم سدنة الكنيسة ورجالها، وكانت السيطرة

---

1 - نقلا من كتابه : (فلسفة التنوير بين المشروع الإسلامي والمشروع التغريبي - ص 12 – 17).

الثقافية واللاهوتية وتفسير الظواهر الطبيعية خاضعة لرجال اللاهوت الكنسي، لا يجوز مخالفتها، باعتبار ذلك وحيًا لا تجوز مخالفته.

ومن المعروف تاريخيًا أن موقف الكنيسة وآراء رجالها كانت في العصور الوسطى تمثل الجهل والتخلف والخرافة، فلقد طلبوا من المسيحيين الإيمان والإذعان لآرائهم في تفسير الظواهر الكونية مدعين أن الدين (**الكنيسة**) يختص بتفسير هذه الظاهرة، وإن الخروج عليها كفر وإلحاد، ويكون جزاؤه الطرد من رحمة الكنيسة. ومن المفيد أن ننبه هنا إلى أن موقف الأديان من الكون وظواهره هو الإيمان بما هو موجود على ما هو عليه في الوجود، دون أن يفرض الدين تفسيرًا معينًا لهذه الظاهرة أو تلك، تاركًا ذلك كله لمنطق العلم وما يصل إليه العقل من اكتشافات وعلاقات بين الأسباب والظواهر، دافعًا للعقل أن يعمل ويكتشف القوانين ويدرك العلاقات، جاعلاً الكون كله خاضعًا لسلطان العقل بحثًا واكتشافًا وتسخيرًا وتوظيفًا.

ومن هنا كان الكون كله آية دالة على خالقه، وكان أكثر العلماء اكتشافًا لقوانين الكون وأكثرهم إدراكًا للعلاقات أشدهم خشية لخالق هذا الكون.

المطلب الثاني

بين التنويريين والعلمانيين[1]

لم يعد هناك فرق جوهري بين الفكر العلماني والتنويري حول الموقف من سيادة الشريعة، فالأمر المحوري بينهما أن السيادة ترجع للامة وليست للشريعة، وهي السلطة العليا التي تعود اليها جميع السلطات الثلاث، وبهذا فهي تملك حق التشريع، والجهة المخولة في إصدار القوانين سواءً وافقة الشرع أم خالفته، وهذا يشمل التشريعات الإدارية التنظيمية كما يشمل التشريعات القضائية التي تشمل التشريعات الجنائية والشخصية والمالية وكافة أنواع التشريعات التي تخص الحكم بين الناس، كما تشمل السياسات العامة التي تعود إليها كافة أنشطة الدولة .. وهذه التشريعات صاحب السلطة والسيادة فيها هو الله جل جلاله، وإعطاء الامة حق التشريع فيها هو الحكم بغير ما انزل الله، وهو التحاكمإلى الطاغوت، لأن الحكم لله تعالى، وتحقيقه من العبادة لله تعالى، يقول تعالى: **(إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ)** سورة يوسف: من الآية (40).

ويقول تعالى: **(فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)** سورة النساء: (59).

وهذه النصوص هي في الحكم بين الناس، وليس في العقائد الإيمانية القلبية، وهي في التطبيق للشريعة وليس في اعتقاد الشريعة. وقد كان الخلاف مع التنويريين أول الأمر حول آليات الديمقراطية ومدى موافقتها للمقاصد الشرعية، ولكنهم تجاوزوا ذلك إلى المطابقة التامة للعلمانيين في جعل السيادة للأمة وهي الجهة العليا التي تعطي الشرعية للشريعة أو غيرها، وبهذا لم يعد هناك فرق بينهم وبين العلمانيين إلا في الاسم، وهذه نتيجة طبيعية لمن يجعل

---

1 - ومقال بعنوان :سيادة الشريعة .. (الحد الفاصل بين الإسلام والعلمانية) – عبد الرحيم بن صمايل السلمي - موقع طريق الإسلام .

المفاهيم الوضعية حاكمة على الشريعة ثم يقوم بتحريف الشريعة لتتوافق معها، وهذا مخالف للمنهج الاسلامي الذي يجعل الشريعة هي الحاكمة، ثم يحكم من خلالها على المفاهيم الوضعية، كما انها نتيجة طبيعية لمن جعل زاده الثقافي دراسات العلمانيين العرب، بل يروجها ويبيعها وينصح بها باسم الانفتاح !! وقد هالني تمدح بعضهم وافتخاره بالانتقال الجديد في الخطاب التنويري من الكلام حول آليات الديمقراطية الى الجدل حول سيادة الشريعة، وظنه انهم احدثوا نقلة في الخطاب السلفي حسب زعمه، وما درى انها انتكاسة فكرية، وسقوط منهجي، وتحول خطير نحو العلمنة !! فأي فخر للانتقال الى الأسوأ، وأي مدح في الحط من سيادة الشريعة ؟!!

وهذه المنهجية المنحرفة هي التي جعلت التنويريين ينطلقون من منطلق علماني في اغلب المفاهيم السياسية الجديدة كمفهوم المواطنة، والحرية، والطائفية وغيرها، ففي هذه المفاهيم وغيرها يتم شرحها بما يتطابق مع الفكر العلماني تماما، فالمواطنة هي التعامل مع المكونات المجتمعية على اساس وطني مصلحي وليس على اساس ديني، والحرية هي عدم المنع للاختيارات الشخصية للأفراد ولو كانت محرمات ظاهرة، ويحق للفرد ان يعبر عن رأيه ومعتقده ويدعو اليه ولو كان كفرا صريحا (**حرية المنافقين**)، والطائفية هي التعامل مع التيارات الفكرية والفرق المخالفة للسنة من منطلق عقدي، وهذه المفاهيم المنحرفة يجمعها استبعاد المنطلق الديني، وتحجيم المنهج الاسلامي في التعامل الاجتماعي، وجعله اختيارا خاصا لا يتحرك في الحياة ويحكمها، وأخص مكونات الفكر الليبرالي العلماني نزع الالزام في الشريعة الربانية، ولهذا فاخصر تعريف لليبرالية (**منع المنع**)، فماذا ابقى هذا التياراللفكر العلماني والليبرالي؟!

المطلب الثالث

أهداف التنويريين الجدد[1]

يمكن تحديد أهم مقومات وغايات خطاب التنويريين الجدد على النحو التالى:

أولًا: الإيمان بالعقلانية وبأهمية الرؤية الفلسفية والنظرة النقدية، وفى الوقت ذاته التمسك بثوابت الدين، والإيمان العميق بأن الدين حياة بالمعنى الشامل للحياة، وأن الخلل لا يكمن فى الدين ذاته، لكن فى الفهم القاصر للدين، وفى رجال الدين الذين كانوا دائمًا آفة الدين.

ثانيًا– إدراك أن الدين مقوم جوهرى من مقومات هذه الأمة، وأن تمسك الناس به واحترامهم لثوابته، هو وجه من وجوه الواقع لا ينكره إلا غافل، وبالتالى فإن أصحاب المشاريع الفكرية التى تعادى الدين أو تُهمشه داخل منظومتهم الفكرية هم قوم يحرثون فى الماء.

ثالثًا: إدراك أن للأمة ثوابتها التى يجب أن تظل فوق النقد والتطاول والتجريح، وأنه لم يعد من المجدى اليوم أن يقضى المثقفُ التنويريُّ الجديد عمره فى خصومة مع الدين وماضيه وتراثه؛ فيَنبذه سياقه ومجتمعه، ويعيش ويرحل دون فاعلية أو تأثير رغم ما قد يحققه لذاته من شهرة ونجومية وثروة.

رابعًا: إدراك أن لا مستقبل لعقل يعادى الإيمان، ولا إيمان يعادى العقل؛ بل إن المستقبل هو للعقل المؤمن الذى ينطلق من يقين ونور إيمانه بالله ليوجه سهام نقده لكل قوى الشر من البشر والدول الذين نصّبوا أنفسهم آلهة من دون الله، وأخذوا على عاتقهم أن يصير الحق باطلًا والباطل حقًا.

---

1 - مقال : التنويريون الجدد.. الدوافع والغايات د. أحمد عبدالعال عمر(عضو هيئة التدريس بقسم الفلسفة، كلية الآداب جامعة الوادي الجديد، باحث أول بمركز المخطوطات بمكتبة الإسكندرية سابقًا) – موقع مجلة المصري اليوم.

خامسًا: إن الهدف الأساسى للتنويريين الجدد هو الاستفادة من تجارب وفكر الغرب، وإعادة اكتشاف ما فى الدين والتراث من طاقات روحية وحضارية، والمواءمة بينهما وبين مقتضيات العقل والعصر، والسعى لإحداث تغيير فى بنية العقل العربى المعاصر ومنطلقات تفكيره، ودفعه إلى أن يعيش عصره دون أن يفقد هويته وخصوصيته الثقافية ورسالته الحضارية.

المبحث الرابع

الهوية الإسلامية ترفض الليبرالية رفضا قاطعا

المطلب الأول : مفهوم الليبرالية والأسس التي تقوم عليها.

المطلب الثاني : الحكم الشرعي على الليبرالية.

المطلب الأول

مفهوم الليبرالية والأسس التي تقوم عليها

أولاً : مفهوم الليبرالية :

الليبرالية فكر ظهر في الدول الأوروبية قبل سنوات طويلة، ثم انتقلت لبلاد المسلمين كما انتقل غيرها من الأفكار، وهي مذهب رأسمالي ينادي بالحرية المطلقة في الفكر والسياسة والاقتصاد، وينادي بقبول الآخر أيًّا كان ومهما كانت أفكاره، ولو كانت متعارضة مع الدين.

فمثلاً يقبل الليبراليون عبدة الشيطان، ولا يمانعون من بقائهم في المجتمع، ولهم كافة الحرية في إظهار عقائدهم وأفكارهم، ولا يجوز لأية جهة إقصاؤهم.

وهي مذهب فكري يركز على الحرية الفردية ، ويرى وجوب احترام استقلال الأفراد ، ويعتقد أن الوظيفة الأساسية للدولة هي حماية حريات المواطنين ، مثل حرية التفكير ، والتعبير ، والملكية الخاصة ، والحرية الشخصية وغيرها.

ولهذا يسعى هذا المذهب إلى وضع القيود على السلطة ، وتقليل دورها ، وإبعاد الحكومة عن السوق ، وتوسيع الحريات المدنية.

تقول الموسوعة البريطانية : نادراً ما توجد حركة ليبرالية لم يصبها الغموض ، بل إن بعضها تنهار بسببه .

ثانياً : الأسس التي تقوم عليها الليبرالية.

1. تقديس العقل في مقابل التهوين من شأن النصوص .

2. تقديم المصلحة المتوهمة على النص ؛ حيث اعتقدوا أن العقل له الصلاحية الكاملة والأهلية التامة في أن يستقل بإدراك المصالح والمفاسد ، بعيدا عن نور الوحي .

3. دعوى تعدد قراءات النص الواحد؛ فالفلسفة المعاصرة أخذت في بعض تقاريرها بهذا المذهب الفاسد ، فصححوا كل الأديان والمذاهب الباطلة ، ولم يجعلوا لنصوص القرآن والسنة منزلة ولا حرمة .

4. القطيعة التامة مع مصادر التلقي والاستدلال عند المسلمين والتزهيد , بل التشويه المتعمد للتراث الإسلامي عقيدة وشريعة.

5. إحياء التراث الفلسفي والعقلي ، على حساب التراث النقلي .

6. الهزيمة النفسية أمام الأعداء من خلال إلغاء أصول الولاء والبراء ، وقواعد الجهاد ، والترويج بأن المسلمين متخلفون , ولا يمكن أن يتقدموا أبدا .

7. طمس معالم الأخلاق الإسلامية , وذلك عن طريق الانحلال والتفسخ الأخلاقي

8. إقصاء الشريعة عن الحكم وعزلها عن الحياة وحصرها في نطاق المسجد والعبادات الشخصية وهو ما يعرف بـ (العلمانية) أو اللادينية .

فالدعوة الليبرالية في حقيقتها هي : العلمانية وإن وجد فاصل بينهم فهو رقيق جدا ، وكأنهما وجهان لعملة واحدة ، واسمان لمسمى واحد.

المطلب الثاني

الحكم الشرعي على الليبرالية

ومما سبق يتبين لنا أن الليبرالية بهذا المفهوم الذي يشرحه المفكرون والمؤرخون ، تشتمل على الكثير مما يخالف الإسلام .

وقد سئل فضيلة الشيخ صالح الفوزان السؤال الآتي :

ما قول فضيلتكم في الدعوة إلى الفكر الليبرالي في البلاد الإسلامية . وهو الفكر الذي يدعو إلى الحرية التي لا ضابط لها إلا القانون الوضعي ، فيساوي بين المسلم والكافر بدعوى التعددية ، ويجعل لكل فرد حريته الشخصية التي لا تخضع لقيود الشريعة كما زعموا ، ويحاد بعض الأحكام الشرعية التي تناقضه ؛ كالأحكام المتعلقة بالمرأة ، أو بالعلاقة مع الكفار ، أو بإنكار المنكر ، أو أحكام الجهاد .. الخ الأحكام التي يرى فيها مناقضة لليبرالية . وهل يجوز للمسلم أن يقول : (أنا مسلم ليبرالي) . وما نصيحتكم له ولأمثاله ؟

فأجاب بقوله: المسلم هو المسلم لله بالتوحيد ، المنقاد له بالطاعة ، المتبرئ من الشرك وأهله .

فالذي يريد الحرية التي لا ضابط لها إلا القانون الوضعي : هذا متمرد على شرع الله ، يريد حكم الجاهلية وحكم الطاغوت ، فلا يكون مسلماً .

والذي ينكر ما علم من الدين بالضرورة ، من الفرق بين المسلم والكافر ، ويريد الحرية التي لا تخضع لقيود الشريعة ، وينكر الأحكام الشرعية من الأحكام الشرعية الخاصة بالمرأة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومشروعية الجهاد في سبيل الله : هذا قد ارتكب عدة نواقض من نواقض الإسلام ، نسأل الله العافية .

والذي يقول : (إنه مسلم ليبرالي) : متناقض إذا أريد بالليبرالية ما ذُكر ، فعليه أن يتوب إلى الله من هذه الأفكار ليكون مسلماً حقا .

قال الفقهاء -رحمهم الله-: وإنْ جَحَدَ وجوب العبادات الخمس المذكورة في حديث "بُني الإسلام على خمس"، أو جَحَدَ شيئًا منها -أي من العبادات الخمس ومنها الطهارة من الحدثين- كفر، أو جَحَدَ حِل الخبز واللحم والماء، أو أَحَلَّ الزنا ونحوه كشهادة الزور واللواط، أو أحلَّ ترك الصلاة، أو جَحَدَ شيئًا من المحرمات الظاهرة المجمع على تحريمها كلحم الخنزير والخمر وأشباه ذلك أو شك فيه، ومثله لا يجهله.

كفر الشك: فالفكر اللبرالي قائم لا يعتقد عقائد جازمة، فلا يوجد يقينيات، وكل شيء قابل للنقاش والخلاف.

رفض الحكم بالشرع المطهر، واستحلال الحكم بالقوانين الوضعية: وهذا كفر أكبر مجمع عليه: **(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ)** [المائدة:44]، وقال الحق -جل شأنه-: **(فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً)** [النساء:65]

وأخيرًا: أنقل جواب سماحة والدنا وشيخنا العلامة صالح الفوزان في الليبرالية؛ حيث سئل: ما قول فضيلتكم في الدعوة إلى الفكر الليبرالي في البلاد الإسلامية؟!

فقال الشيخ: "إن المسلم هو المستسلم لله بالتوحيد، المنقاد له بالطاعة، البريء من الشرك وأهله، فالذي يريد الحرية التي لا ضابط لها إلا القانون الوضعي؛ هذا متمرد على شرع الله، يريد حكم الجاهلية، وحكم الطاغوت، فلا يكون مسلمًا، والذي يُنكر ما علم من الدين بالضرورة؛ من الفرق بين المسلم والكافر، ويريد الحرية التي لا تخضع لقيود الشريعة، ويُنكر الأحكام الشرعية؛ من الأحكام الشرعية الخاصة بالمرأة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومشروعية الجهاد في سبيل الله، هذا قد ارتكب عدة نواقض من نواقض الإسلام، نسأل الله العافية. والذي يقول: إنه مسلم ليبرالي متناقض إذا أريد بالليبرالية ما ذُكر، فعليه أن يتوب إلى الله من هذه الأفكار؛ ليكون مسلمًا حقًّا".

الفصل السادس عشر

الهوية الإسلامية لا تقبل الخرافات

حرّر النبي صلى الله عليه وسلم عقول البشر بوحي من الله من الخضوع للخرافات والدجل والارتهان للأصنام والمعبودات الباطلة أو التصديق بأفكار مناقضة للعقل كالقول بأن لله ابناً من البشر وبأنه ضحّى به دون خطيئة أو ذنب منه فداءً للبشر.

خيّم على العقل العربي قبل بعثة النّبي محمّد صلى الله عليه وسلم كثير من الاعتقادات والأساطير التي تناقض العقول السليمة التي لا تقبل ما لم يتوافق معها، ومن أهم ما اعتقده الجاهليون دون إعمال للفكر والعقل هو: اعتقاد النفع والضر في حجارة وأخشاب منحوتة بالأيدي، عبدوها مع الله أو من دونه، وخافوا من انتقامها بزعمهم وخوّفوا الأتباع الذين بدورهم عطّلوا عقولهم عن إدراك الخطأ من الصّواب في مثل تلك الاعتقادات.

فأرسل الله النبي محمّداً صلى الله عليه وسلم بدين الإسلام الذي كرّم الإنسان بالعقل وجعله مناط التكليف بواجبات الدين وأوامره ونواهيه، ورفع الإصر والمؤاخذة عن المجنون الذي فقد عقله، والصغير الذي لم يكتمل نموه العقلي، كما دعا وحثّ بل وجازى على إعمال العقل في البحث عن حقائق الكون والعلوم، ونهى وحرّم كل ما من شأنه أن يؤثّر على العقل كالمسكرات بأنواعها.

وأوّل ما بدأ الإسلام بتطهيره من الخرافات والدّجل هو العقيدة التي خاطبت العقل لإقناعه بصواب الحق الذي جاء به القرآن، وبطلان ما عليه الجاهليون من اعتقادات باطلة كاعتقاد تعدد الآلهة، من ذلك قوله تعالى: ﴿**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ [المؤمنون: 91].

يقول محمد الغزالى رحمه الله تعالى : إن الإسلام تضمن كغيره من الديانات السماوية بحثًا فى عوالم أخرى غير محسوسة، وهو حديث محدد البدايات والنهايات، غير أن الخياليين والخرافيين من الناس وسعوا دائرة الكلام فى هذه العوالم المغيبة، وأقحموها فى شئون مادية كثيرة، ونسبوا إليها من التصرفات والآثار ما يبرأ منه الدين، وما شردت به الحياة العادية.

والمسلم يلتزم ما ورد فحسب، وهو لن يخالف معلومًا من الدين بالضرورة، ولكن من حقه تكذيب الأخبار التى يقصها الواهمون، كما أنه من حقه حراسة الحقائق المادية والدينية من شغب المنحرفين، فإن تصديق السحر والشعوذة وخلط المعارف الطبية بأعمال الشياطين الخفية، لا صلة له بالدين.

ويقول الغزالى أيضا : إن صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم فى معايشهم وعلاقاتهم كانوا نماذج لنضج التفكير وسلامة الحواس ودقة الأحكام، ولم تتلوث الحياة الاجتماعية فى العالم الإسلامى بهذه الأوهام إلا فى عصور التخلف وغفلة الفقهاء، إذ خلط المسلمون بين عالم الغيب وعالم الشهادة، إذ يلبس بعض المتدينين هذا بذاك، وقد انتشر هذا اللغو فى أمصار وأقطار شتى فوقف تقدمها العلمى ورسب فى الأذهان أن حقائق الأشياء غير ثابتة، وأن قوانين الكون غير مضبوطة، ويستحيل أن ترقى أمة يسودها هذا الفكر المكذوب.

ولقد كان من رحمة الله بالأمة الإسلامية أن سلفها الصالح سلم من هذا الداء، وأن النبى وأصحابه وتابعيهم بإحسان لم يعرفوا هذه الظلمة، فسعدت بهم الدنيا، ورشدت بهم الحياة، وبلغوا أمانات الوحى بصدق، وغرسوها فى أرجاء الأرض بقدرة، فكانت الحضارة الإسلامية بركة على الإنسانية كلها، ولو أن تلامذة محمد غرتهم هذه الأوهام عن الكون والكائنات ما فتحوا مصرًا ولا هدوا قطرًا ولا أعقبوا أثرًا.

والإسلام دين يطارد الخرافة من الفكر، والرذيلة من القلب، والزيغ عن الخطو، والشرود عن السيرة، بل هو إيجابى فى هذه المجالات كلها، فهو يشكل المشاعر والأفكار الإنسانية تشكيلًا يجتذب العقل إلى الحق والفؤاد إلى الفضيلة، ويقتاد البشر من نواصيهم ليثبتهم على

الصراط المستقيم، وأن ما لا يلاحظ أحيانًا على بعض المتدينين من صدأ عقلى وكسل ذهنى هو محض علل شخصية أو بيئات متأخرة ولا علاقة له بالدين.

ويعرج الغزالى إلى الحديث عن العبادات التى فرضها الله، وكذلك ما استحب من التسبيح، إذ يقول إنه عندما استحب لنا الدين مثلًا أن نسبح الله ونحمده ونكبره ثلاثة وثلاثين، فالمراد الأهم إيقاظ القلب لتنزيه الله وشكره وإعظامه، بيد أن بعض المتعبدين يتيه عن هذه الغاية، ويظن أن العدد مقصود لذاته، وأن له سرًا مغيبًا مرهوبًا، ويجتهد أن يبلغ هذا العدد ترديدًا باللسان، وإن كان القلب غافلًا، ويظن أنه قد أدى العبادة المستحبة وإن كان ذكر الله لم يتسلل إلى باطنه بشعاع مضىء ولا إلى سلوكه بخلق ذكى، وما أكثر المتدينين الذين يتقنون من الدين هذا الجانب، ويحرصون عليه ويذهلون عما وراءه أو يفرطون.

ويتساءل الغزالى، إذن ما جدوى إيمان الشفتين وتزويق الظواهر، وقد يقبل البعض هذا الإيمان، لأنه أفضل على كل حال من الإلحاد الذى شارع فى عصرنا ولوث الآفاق، إلا أننا نلفت النظر إلى شىء خطير، هو أن مستقبل الإيمان أمام هذا الإلحاد الزاحف منوط بيقظة البصائر وحدة المشاعر وطول التضحية، وشدة البذل، وأن الإيمان الخامد والذكر القليل لا يغنيان فتيلًا فى ميدان يتطلب الصدق والجد، وإذا لم يفلح الدين فى شد زناد الفكر والشعور إلى أبعد مدى مستطاع فحقيق به أن ينهزم وحقيق بأتباعه أن يبادوا، فاحترام الشكل أمر حسن قانونًا وعرفًا، لكن التهويل فيه والتعويل عليه أمر عجيب[1].

[1] - **نقلا عن كتاب ركائز الإيمان – للشيخ محمد الغزالي .**

الخاتمة[1]

إذا سألنا أي شخص مسلم: ما أسباب تشتتنا؟ سيجيبك بـ: فرقنا حب السلطة والمال، فرقتنا المذاهب، فرقنا الاستخراب، فرقتنا الحدود الوهمية، فرقتنا الوطنية المزيفة، لكن إذا سألته: ما الذي يجمعنا: سيجيب بـ يجمعنا الدين الإسلامي، وهذا هو مربط الفرس والحل الحقيقي الجذري والواقعي الذي سيلم شملنا.

للأسف ركزنا كثيرا على ما يشتتنا، وتجاهلنا ما يجمعنا، وساعد على ذلك غياب موجهين لا يخافون في الله لومة لائم من حكام وعلماء ومؤرخين إلا من رحم ربي، لنكون صريحين جدا، الصليبيون لا يريدون ولا يتمنون نهوض أمة محمد مرة أخرى، ولا يتخيلون أنفسهم في زمن سليمان القانوني، أو سليم الأول أو حتى طارق بن زياد و صلاح الدين الأيوبي، ولا يتخيلون أيضا بروز قائد من هذه الأمة يحاول لم شملها ويكسر شوكتهم كما فعل الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي والأمير عبد القادر الجزائري ويوسف بن تاشفين وعبد الرحمان ناصر، هؤلاء كانوا بحق من رموز الأمة الذين لا نسمع لهم خبرا لا على الشاشات الفضائية ولا في موقع التواصل.

نحن المسلمون، لدينا مسلمة مفادها "أننا أمة لا تموت أبدا" تجرعنا ونتجرع الأحزان والمآسي في كل البقاع وفي كل الأزمنة، من بداية رسالة الإسلام على يد قادة قريش وفي محاكم التفتيش بشتى أنواع التعذيب على يد الإسبان، وفي القرن الماضي على يد أعتى الجيوش الصليبية ولا زلنا نتجرع من هذا الكأس مزيدا من التقتيل والتهجير من طرفهم، ووصل الحقد إلى البوذيين الذين شردوا مئات الآلاف من المسلمين، وكل هذا لسبب وحيد أننا مسلمون، ورغم ذلك صامدون، صابرون على هذا الابتلاء الرباني الذي يحمل رسائل لكل مسلم.

---

1 - و اقع الأمة.. بين أمجاد الماضي ومآسي الحاضر - الأستاذ أوعقى حميد – مدونات – الجزيرة نت.

أؤمن أن أمتنا إذا ثارت، فلن تتوقف، فالمعروف عنها عبر جميع الأزمنة خلال حكم المسلمين يسود العالم سلم وطمأنينة، لذلك علينا أن نعيد النظر في أنفسنا أولا قبل البحث عن تغيير شامل، إصلاح النفس وتطعيمها بشتى العلوم الدينية والدنيوية وتهذيبها وتقويتها، أؤمن أن العلم هو مفتاح نهضة الأمم.

ولنا في أمتنا خير مثال، ففي أيام ازدهارها وازدهار العلوم فيها خرجت وأنتجت لنا نوابغ وعلماء في جميع المجالات، ونذكر بعضهم على سبيل المثال لا الحصر، ثابت بن قرة الذي أكاد أجزم أن أغلب قراء هذا المقال لا يعرفونه، والذي أستحضر ما قاله فيه المؤرخ والكاتب الأمريكي ديورانت ويل: "إن العالم الإسلامي ثابت بن قرة هو العالم الذي أفاد علماء الغرب فيما بعد في تطبيقاتهم وأبحاثهم الرياضية في القرن السادس عشر، والتي كانت أساسا لظهور الحضارة الغربية المعاصرة". وعبد الرحمان بن عوف والرازي وابن الهيثم والطبراني وعباس بن فرناس ابن رشد وبن خلدون والكثير الكثير...

تمر على أمتنا أيام عصيبة، وخصوصا في الواقع الحاضر، لذلك يتوجب على كل مسلم غيور على دينه أن يحاول بما استطاع من علم ومعرفة أن يمرر رسائل التفاؤل والمضي قدما لبناء مستقبل مشرق لأمة أعزها الله بالإسلام وهو المنهج القويم الذي أشاد به العدو قبل الصديق وحاربوه قبل ظهوره، والاستسلام ليس من شيم المسلم، لذلك يبقى التفاؤل في غد مشرق ليس ببعيد.. عندما تحقق وحدة الأمة وتتوحد أقطارها إلى كتلة واحدة تحت المسمى "العالم الإسلامي الكبير.

أختم بحثي هذا بهذا الدعاء النبوي العظيم ﷺ: (اللهم لك الحمدُ كلُّه ، اللهم لا قابضَ لما بسطتَ ، و لا مُقَرِّبَ لما باعدتَ ، و لا مُباعِدَ لما قرَّبتَ ، و لا مُعطِيَ لما منعْتَ ، و لا مانعَ لما أَعطيتَ اللهم ابسُطْ علينا من بركاتِك و رحمتِك و فضلِك و رزقِك ، اللهم إني أسألُك النَّعيمَ المقيمَ الذي لا يحُولُ و لا يزولُ اللهم إني أسألُك النَّعيمَ يومَ العَيْلَةِ ، و

الأمنَ يومَ الحربِ ، اللهم عائذًا بك من سوءِ ما أُعطِينا ، و شرِّ ما منَعْت منا اللهم حبِّبْ إلينا الإيمانَ وزَيِّنْه في قلوبِنا ، وكَرِّه إلينا الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ واجعلْنا من الراشدين اللهم توفَّنا مسلمِين ، و أحْيِنا مسلمِين و ألحِقْنا بالصالحين، غيرَ خزايا، ولا مفتونين اللهم قاتِلِ الكفرةَ الذين يصدُّون عن سبيلِك ، و يُكذِّبون رُسُلَك ، و اجعلْ عليهم رِجزَك و عذابَك قاتِلِ الكفرةَ الذين أُوتوا الكتابَ ، إلهَ الحقِّ) صححه الألباني في صحيح الأدب المفرد.

فهارس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
1	مقدمة.	3
2	مدخل : نشأة الهوية الاسلامية.	8
3	الفصل الأول : مفهوم الهوية الإسلامية وأثرها على والسلوك.	12
4	المبحث الأول : مفهوم الهوية الإسلامية في حق الفرد والمجتمع.	13
5	المبحث الثاني: أثر الهوية في سلوك المسلم.	16
6	الفصل الثاني : مفهوم الاعتزاز بالهوية الإسلامية وصور من التاريخ.	18
7	المبحث الأول : مفهوم الاعتزاز بالهوية الإسلامية.	19
8	المبحث الثاني: صور من الاعتزاز بالهوية الإسلامية في عصر النبوة والخلافة الراشدة.	22
9	المبحث الثالث: صور من الاعتزاز بالهوية الإسلامية أيام الخلافة العباسية والأندلسية.	27
10	المبحث الرابع: صور من الاعتزاز بالهوية الإسلامية أيام المماليك والدولة العثمانية.	30
11	المبحث الخامس: صور من الاعتزاز بالهوية الإسلامية في عصرنا الحاضر.	32
12	الفصل الثالث : هوية المسلم توثق علاقته بربه الخالق العظيم.	38
13	المبحث الأول : المفهوم الشامل لعلاقة العبد بربه جل وعلا.	39
14	المبحث الثاني : علينا أن نصلح علاقتنا بربنا جل وعلا.	42
15	المبحث الثالث : معرفة الله تعالى هي أقصر الطرق لإصلاح علاقتنا به.	44
16	الفصل الرابع : هوية المسلم توثق علاقته بالقرآن الكريم.	48
17	مدخل : القرآن الكريم منة الله تعالى لهذه الأمة.	49
18	المبحث الأول : نماذج من حال السلف مع القرآن الكريم.	51
19	المبحث الثاني : واجباتنا تجاه القرآن الكريم (10 حقوق) .	53
20	الفصل الخامس : هوية المسلم توثق علاقته بنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم.	65
21	استفتاح : قصيدة رائعة في مدح الحبيب صلى الله عليه وسلم.	66
22	المبحث الأول : محبة الحبيب صلى الله عليه وسلم في قلب كل مسلم.	67

23	المبحث الثاني : العلامات الدالة على محبته صلى الله عليه وسلم.	69
24	الفصل السادس : تعلق المسلم ببيوت الله تعالى دليل على هويته الإسلامية.	77
25	استفتاح : قصة رائعة في محبة المسجد والتعلق به.	78
26	المبحث الأول : الصلاة في المسجد نعمة الله تعالى وتوفيق.	81
27	المبحث الثاني : صفات الْمُعَلَّقَة قلوبُهُم ببيوت الله تعالى.	84
28	الفصل السابع : هوية المسلم توثق علاقته بإخوته المؤمنين.	87
29	المبحث الأول : الأخوة بين المؤمنين عقيدة ومحبة.	88
30	المبحث الثاني : مواثيق المحبة والأخوة بين المؤمنين.	92
31	المبحث الثالث : الأخوة الإيمانية : فضائل وحقوق.	95
32	الفصل الثامن : هوية المسلم تؤطِّر لعلاقته بغير المسلمين.	102
33	المبحث الأول : النظرة الإسلامية العامة لغير المسلمين.	103
34	المبحث الثاني : أقسام غير المسلمين وكيفية التعامل معهم.	105
35	المبحث الثالث: نماذج عملية لعلاقة المسلم بغير المسلم من واقعنا المعاصر.	110
36	المبحث الرابع : حكم تهنئة أهل الكتاب بأعيادهم.	115
37	الفصل التاسع : هوية المسلم قائمة على الثوابت والمسلَّمات الشرعية.	120
38	مدخل.	121
39	المبحث الأول : ملامح تقسيم الإسلام إلى الثوابت والمتغيرات.	123
40	المبحث الثاني : ما هي الثَّوابت وَالمتغيرات والشريعة الإسلامية.	126
41	المبحث الثالث : ضوَابت المتغيرات في الشريعة الإسلامية.	130
42	الفصل العاشر : محاسن الإسلام ومزاياه على غيره من الأديان والمذاهب والأفكار.	134
43	الفصل الحادي عشر : مظاهر تنكر المسلم للهوية الإسلامية وأسبابه.	151
44	مدخل : مثل ضربه الشاعر محمد إقبال لزحزحة الأمة عن دينها.	152
45	المبحث الأول : الجذور التاريخية للتنكر للهوية الإسلامية.	154
46	المبحث الثاني : مظاهر التنكر للهوية الإسلامية.	157

47	المبحث الثالث : أسباب التنكر للهوية الإسلامية.	159
48	الفصل الثاني عشر : ضرورة إحياء الهوية الإسلامية والمحافظة عليها.	162
49	مدخل : الإسلام يعلو ولا يعلى عليه.	163
50	المبحث الأول: إحياء الهوية الإسلامية هو الطريق الصحيح لإحياء الأمة الإسلامية.	165
51	المبحث الثاني : وسائل الحفاظ على الهوية الإسلامية.	169
52	الفصل الثالث عشر : عالمية الهوية الإسلامية وتحديات العولمة.	174
53	مدخل : مفهوم العولمة وبدايتها.	175
54	المبحث الأول : العلاقة بين الهوية الإسلامية والعولمة.	177
55	المبحث الثاني : مفهوم العالمية وعالمية الاسلام.	183
56	المبحث الثالث : التأثير السيئ للمدارس الأجنبية على الهوية الإسلامية.	190
57	المطلب الأول : حقيقة المدارس الأجنبية.	191
58	المطلب الثاني :مختارات من كتاب :المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية.	194
59	المطلب الثالث : نماذج من أقوال العلماء وبيانتهم وفتاويهم عن المدارس الأجنبية.	197
60	الفصل الرابع عشر : الهوية الإسلامية في مواجهة المؤامرات والغزو الفكري.	203
61	مدخل : هل ذُكرت المؤامرة في القرآن الكريم؟	204
62	المبحث الأول : ما الذي حدث في التاريخ؟	206
63	المبحث الثاني : الغزو الفكري للأمة الإسلامية في عصرنا.	209
64	المبحث الثالث : آثار الغزو الفكري في وسائل الإعلام.	214
65	المبحث الرابع : أساليب مواجهة المؤامرة على الإسلام.	216
66	الفصل الخامس عشر : أخطر الأفكار والمذاهب الهدامة التى تحاربها الهوية الإسلامية.	221
67	مدخل.	222
68	المبحث الأول : مفهوم الإلحاد والرد على الملحدين بالثوابت العقلية والحقائق العلمية.	223
69	المطلب الأول : مفهوم الإحاد وأقوال بعض الملاحدة التي تقشعر منها الأبدان.	224
70	المطلب الثاني : الرد على الملحدين بالثوابت العقلية والحقائق العلمية.	227

71	المبحث الثاني : الهوية الإسلامية ترفض العلمانية رفضاً باتاً.	240
72	المطلب الأول : مفهوم العلمانية والأقوال الخبيثة لبعض العلمانيين وآثارها على العالم الإسلامي.	241
73	المطلب الثاني : الإسلام يرفض العلمانية جملة وتفصيلا.	247
74	المبحث الثالث : موقف الهوية الإسلامية من التنويريين.	251
75	المطلب الأول : مفهوم مصطلح التنوير وتاريخه.	252
76	المطلب الثاني : بين التنويريين والعلمانيين.	254
77	المطلب الثالث : أهداف التنويريين الجدد.	256
78	المبحث الرابع : الهوية الإسلامية ترفض الليبرالية رفضا قاطعا.	258
79	المطلب الأول : مفهوم الليبرالية والأسس التي تقوم عليها.	259
80	المطلب الثاني : الحكم الشرعي على الليبرالية.	261
81	الفصل السادس عشر : الهوية الإسلامية لا تقبل الخرافات.	263
82	الخاتمة.	266
83	فهارس الموضوعات.	269